

الدين والسياسة
في الإسلام

تأليف

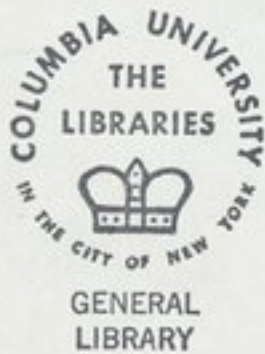
الشيخ المصطفى المصطفى
علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين
الحسيني النعماني

الطبعة الأولى

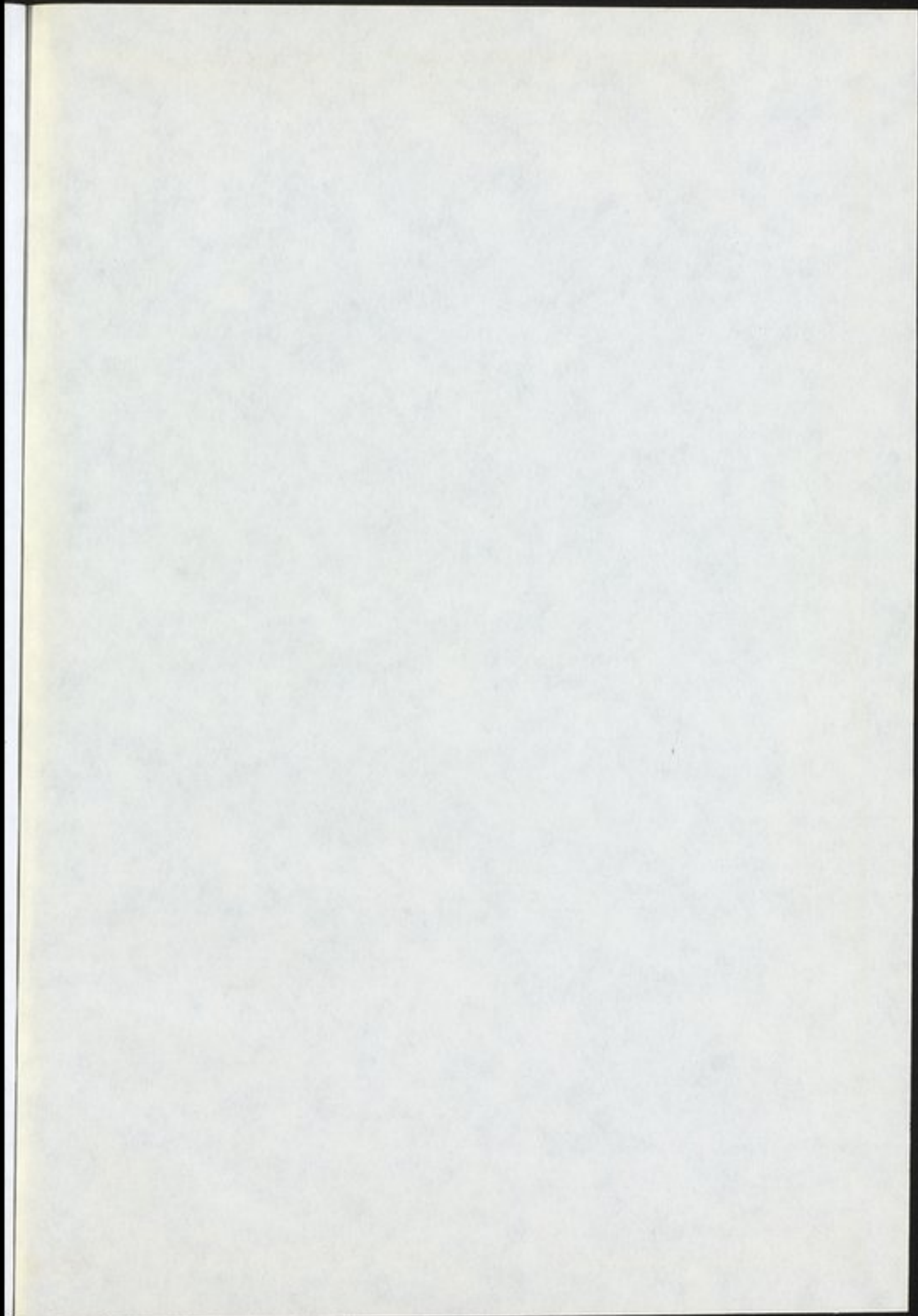
12984167
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0112984167
6545 13400



THE
LIBRARY OF THE
MUSEUM OF
COMPARATIVE ZOOLOGY
AND ANATOMY
HARVARD UNIVERSITY
CAMBRIDGE, MASS.



هدیه از کتابخانه عمومی آیه الله العظمی

مرعشی نجفی قم بکتابخانه

۱۳۵

الدُّرُ الْمُنْتَوَرَةُ

مِنَ الْمَأْثُورِ وَغَيْرِ الْمَأْثُورِ

تألیف

الفقیه المحدث المفسر

علی بن محمد بن الحسن بن زین الدین

الجبعی العاملی

(الجزء الثانی)

KBL

.A497
1977

v. 2

الطبعة الاولى
مطبعة مهر - قم
٥ ١٣٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .
وبعد : فهذا الجزء الثاني من كتاب (الدر المنثور) وفق الله لاكماله بمحمد
صلى الله عليه وآله .

[حديث كون الصيام ثلاثين يوماً]

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضي الله عنه في كتاب العلل وغيره باسناده الى
الحسن بن عبدالله عن آبائه عن جده الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام
قال : جاء نفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله اعلمهم عن
المسائل ، فكان فيما سأله أن قال : لاي شيء فرض الله عز وجل الصوم على أمتك بالنهار
ثلاثين يوماً وفرض على الامم السالفة اكثر من ذلك ؟ فقال النبي صلى الله عليه
وآله : ان آدم لما اكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله على

F44

8/11/15

86/01/15

ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضل من الله عزوجل عليهم ، وكذلك كان آدم يصوم ثلاثين يوماً ففرض الله ذلك على امتي ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » : أي يوماً معدودات «^(١) قال اليهودي: صدقت يا محمد ، فما جزاء من صامها؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلا أوجب الله له سبع خصال : اولها بذوب الحرام من جسده ، والثانية يقرب من رحمة الله ، والثالثة يكون قد كفر خطيئة ابيه آدم ، والرابعة يهون الله عليه سكرات الموت ، والخامسة أمان من الجوع والعطش يوم القيامة ، والسادسة يعطيه الله براءة من النار ، والسابعة يطعمه الله طيبات الجنة . قال : صدقت يا محمد .

اقول : ربما توهم أن الجواب في هذا الحديث غير مطابق للسؤال حيث ان السؤال وقع عن فرض ثلاثين على أمته واكثر على من تقدمها من الامم . ويدفع هذا التوهم أن الجواب يتضمن تكذيب اليهودي والرد عليه في ذلك بأن الصوم لم يكن الاثلاثين فقط على أمته وعلى من تقدمها ، واليهودي أراد اختباره وامتحانه بأنه هل يوافق على ذلك أم لا ، مع كون اليهودي عالماً بما اجابه ظاهراً بسبب تصديقه اياه على ذلك. فقد اجابه عليه السلام على وجه صدقه ورضي به ولم يكذبه صريحاً لكسر أخلاقه ، بل نبهه على أحسن وجه وأتممه بحيث لم ينفر خاطره من أول الامر .

وهذا ظاهر لاغبار عليه ، ونظيره قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام « فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي »^(٢) وقوله تعالى « قل ان كان للرحمن ولد

(١) سورة البقرة : ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) سورة الانعام : ٧٧ .

فانا اول العابدين»^(١) ومثل هذا يقع كثيراً في مثل هذه المقامات لاجل مما شاة
الخصم وجذبه الى قبول الحق والالزام . وفي حديث الرضا عليه السلام
مع المأمون: أن قول ابراهيم « هذا ربي » على الانكار لا الاخبار ، فلا يكون من
هذا الباب .

وفي الحديث دلالة على ما ذهب اليه الصدوق رحمه الله من كون شهر رمضان
ثلثين يوماً ، والجمع بينه وبين ما تقدم مما دل على امكان النقصان غير خفي .
وقوله عليه السلام « والذي يأكلونه تفضل من الله عزوجل عليهم » يحتمل
وجهين :

احدهما: أن فرضه عليهم الجوع والعطش لايتوهم منه انه تعالى منعهم بذلك
ما هو حق لهم ، بل كل ما يأكلونه ويشربونه وغيره تفضل منه تعالى ، فقد فرض
عليهم أن يمتنعوا منه هذه المدة .

الثاني : ان ما يأكلونه اذا أفطروا بعد كل صوم تفضل منه تعالى عليهم ،
بأن يصوموا النهار ويفطروا الليل ويأكلوا ما يشتهون ، فلو فرض عليهم صوم
يومين او أيام مثلا من غير افطار يتخلل بين ذلك بحيث يمكنهم صوم الثلاثين
ولو بمشقة زائدة او أباح لهم اكلا قليلا او مخصوصاً كان ذلك اليه تعالى، فما
يأكلونه كل ليلة تفضل منه . والله اعلم .

[حديث انه تعالى لم يجعل شيء الا بشيء]

ومن ذلك ما رواه في الكتاب المذكور باسناده عن جميل بن دراج عن ابي
عبد الله عليه السلام أنه سأله عن شيء من الحلال والحرام . فقال : انه لم يجعل
شيء الا بشيء .

(١) سورة الزخرف : ٨١ .

اقول: الذى يظهر من معنى هذا الحديث أن السؤال وقع عن التحليل والتحرير هل يكونان بمجرد ارادته واختياره تعالى كون هذا الشيء حلالاً وهذا حراماً كما هو مذهب الاشاعرة ام لا ، فأجابه عليه السلام بأن الحلال لا يكون حلالاً والحرام لا يكون حراماً الالفة تقتضى ذلك وغرض يتعلق به بالمعنى المقرر عند أهل العدل .

فيه دلالة على اثبات الحسن والقبح العقليين وعلى كونه تعالى انما يفعل ما يفعل لغرض وغاية يعود نفعها على المخلوق ونحو ذلك لا لغير ذلك، وقوله تعالى « لا يستل عما يفعل »^(١) لا ينافى ذلك فليفهم . والله اعلم .

[تفسير آية انه ليس من أهلك]

ومن ذلك ما رواه فيه فى قوله تعالى لنوح عليه السلام « انه ليس من أهلك »^(٢) عن ابي عبد الله عليه السلام : ان الله عزوجل قال لنوح عليه السلام انه ليس من أهلك لانه كان مخالفاً له وجعل من اتبعه من اهله . قال : وسألنى كيف تقرأون هذه الاية فى ابن نوح ؟ فقلت : يقرؤها الناس على وجهين انه عمل غير صالح وانه عمل غير صالح . فقال : كذبوا هو ابنه ، ولكن الله عزوجل نفاه عنه حين خالفه فى دينه .

اقول : تكذيبه عليه السلام لهم من حيث القراءتين وانه ليس الاقراءة واحدة وهى كون عمل فعلاً ماضياً فان معناه حيثئذ - والله اعلم - انه عمل عملاً غير صالح بمخالفته لايه ، لا ان عمل مصدر بمعنى المفعول ليكون ولد غيره فيكون عملاً غير صالح .

(١) سورة الانبياء : ٢٣ .

(٢) سورة هود : ٤٦ .

ومثل هذا يستعمل فى مثل هذا المعنى . والله اعلم .

[حديث تأخير استغفار يعقوب لبنيه]

ومن ذلك ما رواه فيه بسنده الى اسماعيل بن الفضل الهاشمى قال : قلت لجعفر بن محمد عليه السلام : أخبرنى عن يعقوب عليه السلام لما قال له بنوه « يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين * قال سوف استغفر لكم ربى »^(١) فأخر الاستغفار لهم . ويوسف عليه السلام قالوا له « تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين * قال لا تثرىب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرحمين »^(٢) قال لان قلب الشاب ارق من قلب الشيخ ، وكانت جنابة ولد يعقوب على يوسف وجنابتهم على يعقوب انما كانت بجنابتهم على يوسف ، فبادر يوسف الى العفو عن حقه وأخر يعقوب العفو لان عفو انما كان عن حق غيره ، فأخرهم الى السحر ليلة الجمعة .

أقول : أما كون قلب الشاب ارق فوجهه ظاهر ، ومعنى باقى الحديث أن الجنابة ومباشرتها انما كانت على يوسف وبسبب ذلك حصلت الجنابة على يعقوب من الحزن وبياض عينيه من البكاء وغيره ، فكان ذلك باعثاً على تأخير الاستغفار الى وقت ترجا فيه الاجابة .

وقول يوسف لهم كان متقدماً على طلبهم من ابيه ، فيحتمل انه لم يكن علم بذلك فأخر استغفاره لهم ثم طلبه منه تعالى فى وقت يمكن فيه اجابة الدعاء وتعويض صاحب الحق عن حقه . وهذا يقتضى عدم الاسراع الى الاجابة ، بخلاف اجابة صاحب الحق نفسه ، فان له أن يترك حقه من غير وجه يقتضى التأخير .

(١) سورة يوسف : ٩٧ - ٩٨ .

(٢) سورة يوسف : ٩١ - ٩٢ .

والحاصل انه لما كان الحق لغيره أخر طلب اسقاطه الى وقت رجا الاجابة .
فان قلت : مساوجه الجمع بين قوله عليه السلام « وجنايتهم على يعقوب
انما كانت بجنايتهم على يوسف » وقوله « لان عفوه انما كان عن حق غيره » ،
والاول يدل على أن جنايتهم كانت على يعقوب ايضاً لكنها بسبب الجناية على يوسف ،
فيعقوب له حق ايضاً بهذه الجناية وبولايته عليه اذ كان طفلاً ، وقوله « والعتو انما
كان عن حق غيره » ظاهره انه لم يكن ليعقوب حق يعفو عنه .

قلت: قد سمي ماتستلزمه الجناية جنائية لكونه مترتباً عليها، فعبّر أولاً بجنايتهم
على يعقوب، ولما كانت الجناية الحقيقية التي وقعت بالمباشرة هي الجناية على
يوسف كان عفوه عن حق غيره ، فلو قتل شخص ولد آخر فجزع الوالد جزعاً
أهلكه أو حصل له منه آفة لم يكن ذلك مضموناً على قاتل الولد وان أمكن حصول
الاثم بذلك . وربما كان طلبهم من يعقوب الاستغفار بسبب ما فعلوا بيوسف عليه
السلام، والذي يظهر من سياق الحديث هذا، وهو ان يستغفر لهم بسبب ما جنوا
على يوسف ، فلا ينافي طلبهم منه الاستغفار بسبب ما ترتب له من الحزن وغيره
في غير هذا المقام او عدمه . والله تعالى اعلم .

[حديث خروج النور من بين أصابع يوسف]

ومن ذلك ما رواه فيه بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما أقبل يعقوب
عليه السلام الى مصر خرج يوسف عليه السلام ليستقبله ، فلما رآه يوسف هم
بأن يترجل ليعقوب ثم نظر الى ما هو فيه من الملك فلم يفعل ، فلما سلم على
يعقوب نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا يوسف ان الله تبارك وتعالى يقول
لك منعك أن تنزل الى عبدي الصالح ما أنت فيه أبسط يدك، فبسطها فخرج من
بين أصابعه نور، فقال: ما هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا انه لا يخرج من صلبك نبي

أبدأ عقوبة لك بما صنعت بيعقوب اذ لم تنزل اليه .
 اقول : معنى النور الذي خرج من بين أصابعه ان النور الذي يكون فى صلب
 الانبياء ويخرج من صلبهم الى نبي آخر ولو بواسطة اخرج من بين أصابع يوسف
 عليه السلام ، فلم يبق معه نور يخرج من صلبه ليكون منه نبي او انبياء .
 هذا ونحوه صدوره عن الانبياء بأول بما لا ينافى مرتبة النبوة كقوله عليه
 السلام « اذكرنى عند ربك »^(١) وغيره مما صدر من الانبياء واجيب عنه، وتفصيل
 ذلك فى كتاب تنزيه الانبياء لسيدنا المرتضى رضى الله عنه وغيره من كتب أصحابنا
 ان صح هذا الحديث ونحوه والله اعلم .
 ومعنى ترجل نزل عن دابته فصار راجلاً خلاف الراكب .

[حديث بكاء شعيب النبي]

ومن ذلك ما رواه فيه بسنده عن انس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
 بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل حتى عمى فرد الله عز وجل عليه
 بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه
 بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله اليه : يا شعيب الى متى يكون هذا ابدأ منك
 ان يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك وان يكن شوقاً الى الجنة فقد ابحتك .
 فقال : الهى وسيدى أنت تعلم أنى ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً الى جنتك،
 ولكن عقد حبك على قلبى فلست أصبر او أراك . فأوحى الله جل جلاله اليه : أما
 اذا كان هذا هكذا فمن هذا سأخدمك كليتى موسى بن عمران . قال الصدوق
 طاب ثراه : يعنى بذلك لا أزال ابكى او أراك قد قبلتنى حبيباً .

اقول قوله تعالى «ان يكن هذا» الخ، لا ينافى علمه تعالى بما فى ضمير شعيب

(١) سورة يوسف : ٤٢ .

عليه السلام من عدم قصده ذلك ، لاحتمال ان يكون معناه ان بكائك ان كان لاجل ما ذكر فقد أجرتك او أبحتك . وهذا لا ينافي العلم ، بل يفيد ان هذا ان كان مطلبك فقد أجبتك اليه ، يفيد ان مثل هذا يجيب به تعالى اذا قصده .

ويحتمل وجهاً آخر ، وهو اختبار شعيب عليه السلام وامتحانه بأنه اذا سمع ذلك ربما عدل عن مقصده الا صلى اليه اذا سمعه ، وعلمه تعالى بعدم عدوله لا ينافي ذلك كما هو جار في نظيره من التكليف بالامر والنهي ، فان الثبات على هذا ونحوه مع سماعه ما يمكن معه العدول مع ثبوت الاختيار مما يترتب عليه زيادة الرفعة والثواب وعلو الدرجة .

ونظير ذلك مثلاً ما قال السلطان لبعض عبيده ان كنت تخدمني لاعطيك مالا عظيماً فقد بذلته لك وان كان لخوف من احد فأنا ظهرك ، مع علمه بأن خدمته ليكون مقبولاً عنده وحاضراً لديه اذا اراد لالماقاله ، فاذا اخبره بذلك ولم يطمع فيما ذكره لة تأكد عنده ما قصده وأقبل عليه زيادة عن الاول .

ومثل هذا قد يجعله تعالى وسيلة الى زيادة القرب والاقبال منه وتحقق العبودية وثباتها من عبده ، فيرتب له على هذا الجواب هذه المنزلة العظيمة من خدمة موسى عليه السلام في الدنيا فما ظنك بمنزلة الآخرة .

ونظير هذا الحديث قوله تعالى لعيسى عليه السلام «أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين»^١ وقوله عليه السلام «ان كنت قلته فقد علمته»^٢ فانه يحتمل ان يكون القصد به الى ان يظهر من عيسى التبري مما افتروه عليه من ذلك مع عدم علمه به . والله اعلم .

وقول الصدوق أو أراك قد قبلتني حبيباً اراد به دفع ما يتوهم من ارادته اراة البصر ، وهذا ان كان تأويلاً منقولاً والافالظاهر أن حملة على معنى ماورد في

كلام امير المؤمنين عليه السلام أقرب الى هذا اللفظ ، وهو قوله لمن قال له هل رأيت ربك ؟ ما كنت أعبد رباً لم أره ، لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان . فيكون شعيب عليه السلام طلب رؤيته تعالى بهذا المعنى ، ولا ينافيه لزوم كون شعيب خالياً من هذه الرؤية ، لان المراد بها حينئذ الرؤية زيادة عما كان عنده منها^(١) .

وبهذا المعنى احاديث في كتاب التوحيد في معنى رؤية النبي صلى الله عليه وآله ربه بقلبه ، وذكر الصدوق رحمه الله هناك هذا بعد قول ابي عبد الله عليه السلام رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه فقال يعنى بقلبه ، وذكر حديثاً يدل على هذا المعنى .

بقي احتمال لقوله عليه السلام « او أراك » وهو ان يكون اراد بذلك الى انقضاء الاجل ورؤيتك في الآخرة بالمعنى المقرر عنداهل الحق . والله اعلم .

[حديث الناس يعقلون ولا يعلمون]

ومن ذلك ما رواه فيه بسنده عن معمر بن يحيى قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : ما بال الناس يعقلون ولا يعلمون ؟ قال : ان الله تبارك وتعالى حين خلق آدم جعل أجله بين عينيه وامله خلف ظهره ، فلما اصاب الخطيئة جعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره ، فمن ثم يعقلون ولا يعلمون .

أقول : الظاهر أن المراد بجعل الاجل بين عينيه والامل وراء ظهره وبالعكس انه سبحانه جعل نظره دائماً الى اجله وموته ، ومن هذا القبيل قولهم « فلان جعل

(١) بين وجهه بقوله تعالى منه الرؤية ومناسبة خدمة موسى عليه السلام ان هذا الامر

مرتب على ما طلبه ، فلا يتوهم عدم المناسبة ، ومناسبة ذلك على تفسير الصدوق ظاهرة « منه » .

الموت نصب عينه»، ومن كان كذلك كان دائماً طالباً للعلم مهتماً بتحصيله، فان الانسان اذا كان الاجل في فكره لنظره اليه دائماً كان ذلك باعثاً على تحصيل ما يتفعله قبل حلوله ومع ذلك لا يدري متى يحل فيجهد نفسه في تحصيل ما هو مطلوب منه من العلم ، بخلاف ما اذا كان وراء ظهره فانه حينئذ غائب أو كالعائب عنه، فلاجل ذلك لا يهتم لتحصيل العلم ويتناسى الموت وقربه فيفتر عزمه عن العمل ويسوف ذلك الى وقت آخر وهكذا، اذ لا محرك له حينئذ على ذلك .

ونحوه الامل، فانه اذا كان وراء ظهره لم يكن بباله حيث لم يره فيقصر أمله ويزيد علمه وعمله، واذا كان الامل بين عينيه كان محط نظره وتناسى الاجل فلا يتعلم ولا يعمل ما هو مطلوب منه .

وهذه كنايات او استعارات تشبيهاً لهما بما يلقي وراء ويكون منظوراً دائماً ، وهو من فصيح الكلام وبلغه .

ولما انعكس الامر في آدم عليه السلام قبل حصول النسل منه كان أولاده كذلك .

والمراد منه السؤال عن عدم العلم مع ثبوت العقل ، ولا ينافي هذا ثبوت العلم لبعض الافراد بالتفاوت، لان العلم المنتفى هو العلم الحاصل لكل عاقل بقدر عقله، وهذا انتفاؤه وتفاوته يكونان بمراعاة الامل والاجل، فبقدر زيادة التفاؤل ونقيصته يقل ويزيد، فالعلم الذي ينبغي لكل أحد لم يحصل باعتبار تقدم الامل وتأخر الاجل ، ولا ينافيه حصوله دون ذلك متفاوتاً . وفي تقديم الامل وتأخير الاجل من الحكمة البالغة ما لا يخفى .

هذا ، والنسخة التي نقلت الحديث منها سقيمة ، وفيها « يعلمون » بتقديم اللام على الميم، ويحتمل أن يكون محرفاً والاصل « يعملون » بتقديم الميم على اللام، وكأنه انسب بالمقام ، وحينئذ فالعلم داخل تحت العمل . والله اعلم .

[حديث تسمية الحسن والحسين عليهما السلام]

ومن ذلك ما رواه فيه باسناده عن عكرمة قال: لما ولدت فاطمة عليها السلام الحسن جات به الى النبي صلى الله عليه وآله فسماه حسناً، فلما ولدت الحسين عليه السلام جاءت به اليه فقالت يا رسول الله هذا أحسن من هذا فسماه حسيناً .

اقول : هذا يحتمل وجهين :

احدهما انه عليه السلام سماه حسيناً بزيادة الياء لكون زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، فزاد في اسمه الشريف الياء لذلك .
والثاني: ان التصغير قد يكون لذلك، فانه يستعمل في نظيره كثير أفكدا فيه، فيكون فيه اشارة الى زيادة حسنه. ومن ذلك قول الشاعر :

ما قلت حبيبي من التحقير بل يعذب اسم الحب بالتصغير

وقول الاخر :

يا ما أميلج غزلا ناشدن لنا

ووقوع مثل هذا مشهور . ويحتمل أن يكون المراد ان الحسن عليه السلام أحسن فلذلك صغر اسم حسين ليفيد أنه دونه في الحسن مع عدم ارادة تحقير في التصغير بل للعدوابة والملاحة ونحوهما، ففيه حيثما يدل على كونه دونه مع تحسين في مقابلة ذلك .

وقولها عليها السلام « هذا أحسن من هذا » يدل على ان الاثنين كانا معها ذلك الوقت . والله اعلم .

[حديث خير الصفوف في الصلاة والجنائز]

ومن ذلك ما رواه فيه باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : خير

الصفوف فى الصلاة المقدم ، وخير الصفوف فى الجنائز المؤخر . قيل : يا رسول الله ولم ؟ قال : ستره للنساء .

أقول : الظاهر ان السؤال بلم عن كون خير الصفوف فى الجنائز المؤخر ، فان كون خيرها فى غيرها المقدم معلوم أو كان معلوماً للسائل .
ووجهه ان المصلى قد لا يعرف كون الذى يصلى عليه رجلاً او امرأة، وكلما كان الرجل بعيداً عن المرأة كانت مستورة عنه بغيره ، فاطرد الحكم لاجل ذلك وان كان الذى يصلى عليه رجلاً . والله اعلم .

[علة صوم ثلاثة ايام فى كل شهراً]

ومن ذلك ما فيه فى علل الفضل بن شاذان رحمه الله فى صوم ثلاثة ايام فى الشهر قال : فان قال فلم جعل أول خميس فى العشر الاول وآخر خميس فى العشر الاخر وأربعاء فى العشر الاوسط . قيل : اما الخميس فانه قال الصادق عليه السلام تعرض كل خميس أعمال العباد على الله عز وجل فأحب ان يتعرض عمل العبد على الله وهو صائم . فان قيل : فلم جعل آخر خميس ؟ قيل : لانه اذا عرض عمل العبد ثلاثة ايام والعبد صائم كان اشرف وافضل من أن يتعرض عمل يومين وهو صائم^(١) ، وانما جعل أربعاء فى العشر الاوسط لان الصادق عليه السلام اخبر ان الله عز وجل خلق النار فى ذلك اليوم وفيه اهلك الله القرون الاولى وهو يوم نحس مستمر فأحب الله ان يدفع العبد عن نفسه نحس ذلك اليوم بصومه .
اقول : هذه العلة المذكورة فى عيون الاخبار، وقد وقع فى النسخ تحريف فى قوله « عمل العبد ثلاثة ايام » فحرف ثلاثة بثمانية فأشكل معناه لذلك ، وكنت

(١) المراد أن العرض يقع لجميع الاعمال من كل خميس لأعمال الاسبوع فقط، وهو منشأ توهم كونها ثمانية « منه » .

قد كتبت عليه قبل أن أراجع كتاب العلل ان هذا اللفظ محرف من النساخ لقرب لفظ ثمانية من ثلاثة اذا كتبنا بغير الف ، ثم رأيت في العلل ثلاثة .

وقوله فيه « أما الخميس » الخ ليس التعليل فيه للاولية والاخرية والوسط ، بل لكون الثلاثة الايام التي يستحب صومها في أول الشهر و آخره ووسطه خميساً واربعاء وخميساً ، فالخميس الاول ليعرض العمل وهو صائم والاربعاء لما ذكر وصوم خميس آخر في آخر الشهر مع انه حصل صوم خميس في اوله ، لان عمل الشهر اذا عرض وفيه صوم ثلاثة أيام كان اشرف وافضل من أن يعرض وفيه صوم يومين وهما الخميس الاول والاربعاء ، فمعنى فلم جعل آخر خميس فلم يصام مع اليومين يوم آخر . والله اعلم .

اشبهه حول البراءة الاصلية

ومن ذلك شبهة أوردت في كون البراءة الاصلية لاتصلح للاستدلال بها وحاصلها انه ورد في الحديث ما معناه « ان في كل شيء حكماً حتى في أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة » ، واذا كان لكل شيء حكم فكيف يقال ببراءة الذمة بعد أن ورد ما يقتضى اشتغالها .

أقول : قد أجبت عن ذلك من سألتني بأنا مكلفون بما يصل اليها حكمه على وجه يجوز لنا العمل به ، وقد نهينا عن قبول خبر الفاسق والمخالف لدين الحق ، وقد ورد عنهم عليهم السلام « كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى » و « الناس في سعة مالم يعلموا » و « لا ينقض اليقين بالشك ابداً » و « ما حجب عن العباد فهو مرفوع عنهم » و « اليقين لا يرفع الا يقين مثله » و « انظروا علمكم هذا عن تأخذونه ، فان في كل خلف منا عدوا لا ينفون عنه تحريف الغافلين وانتحال المبطلين » .

وفى حديث على بن حبيب قال : كتب ابو الحسن الاول عليه السلام وهو فى السجن : واما ما ذكرت يا على ممن تأخذ معالم دينك لاتأخذن معالم دينك عن غير شيعتنا ، فانك ان تعديتهم اخذت دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم، أنهم ائتمنوا على كتاب الله جل وعلا فحرفوه وبدلوه، فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله ولعنة ملائكته ولعنة آباءى الكرام البررة ولعنتى ولعنة شيعتى الى يوم القيامة - الحديث . وغير ذلك .

وقد ورد ايضاً : كل شيء لك حلال حتى تعرف الحرام بعينه فتدعه، وكل شيء طاهر حتى تعلم أنه قذر . ونحوه مما فيه تأييد لذلك .

وما ورد مما تضمن النهى عن تكذيب ما جاء عنهم عليهم السلام وان اتى به قدرى أو غيره ممن خالف دين الحق ، لادلالة فيه لان النهى فيه عن التكذيب وهو الجزم بكونه كذباً ، وهو لايدل على العمل به ، كيف وقد نهوا عن الاخذ عن غير العدل وعدم التكذيب شيء آخر . ووجهه ظاهر ، فانه محتمل للصدق فكيف يحكم فيه بالكذب .

وهذا لايدل على العمل به ، والا لعمل بخبر كل مخبر ، ودين الله وأماؤه يجعل عن ذلك . على أن العمل بذلك يلزم منه الرد على الله وعليهم ، وبمثل هذا يحصل التساهل من امر الدين، فانه لايجتاج الى ماحققه العلماء بل ينظر الى كل ما ورد ويعمل به حيث انه ورد عنهم .

نعم اذا حصلت قرائن تدل على صدقه عمل به من حصلت له لذلك، ولهذا كان المتقدمون رضوان الله عليهم يعمل الواحد منهم بخبر لايعمل به الاخر ولا يعتمد على مجرد روايته له أو العمل به، كما يظهر من عدم عمل الصدوق بكل ما يرويه محمد بن يعقوب بمجرد نقله في كتابه، وكما يرد الشيخ الطوسى أخباراً كثيرة يرويها الكلينى والصدوق ويظهر منهما الاعتماد عليها تارة بالضعف وتارة

بكونها اخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً وان اختلف الاصطلاح فى معنى الضعيف ، و كما يعمل به الصدوق مخالفاً لما يعمل به والده ، و كما يغلط الفضل ابن شاذان فى عدة مسائل فى الميراث .

وبالجملة فمن تتبع كلام المتقدمين رأى مدارهم على ما ترجع عند كل واحد العمل به بقرائن حصلت له من غير اعتماد على مجرد نقل الآخر ، حتى ان السيد المرتضى لم يجوز العمل بالاخبار من حيث هى لكونها اخبار آحاد كما صرح به فى رسالة خبر الواحد وغيرها . فالعجب من دعوى حصول علم لم يحصل لمتقدم ولا متأخر ولم يوافق عليه احد .

اذا تقرر ذلك فهب ان كل شىء ورد فيه حكم فنقول : اما أن يكون ذلك الحكم موافقاً لحكمه قبل ذلك او مخالفاً ، وذلك اما ان يكون التحريم أو الوجوب أو الاباحة أو الكراهة أو الاستحباب أو غير ذلك من أحكام الوضع ونحوها ، ومن المعلوم عند كل عاقل أنا غير مكلفين بذلك الحكم ما لم يصل اليه ، وقد نهينا عن أخذه ممن لا يعتمد على قوله ، فاذا لم ينقل اليه اصلاً وكنا مكلفين به حينئذ لزم تكليفه ما لا يطاق وهو باطل ، وان وصل اليه ممن نهينا عن الاخذ عنه لم نكن مكلفين بذلك بمقتضى قواهم عليهم السلام المتقدم ونحوه .

فمن لم يعمل بالخبر الضعيف عنده ويستند الى البراءة الاصلية مراده بها هذا ، وكذا من يستند اليها مع عدم ظهور خبر أصلاً .

فظهر أن مرادهم بالبراءة الاصلية عدم تحقق التكليف بذلك الحكم حتى يصل اليهم على وجه يقتضى التكليف به ، فما لم يصل حكمه مرفوع ، ومن عمل بخبر ضعيف حث بقرائن مثل شهرة العمل به وغير ذلك كان مما نقل به الحكم عن الاصل المذكور ، وهذه القرائن قد تحصل لمكلف دون آخر ، فيعمل به

من حصلت له دون غيره ، وعليه بناء المتقدمين والمتأخرين ، وهو من وجوه الاختلاف الذى وقع منهم .

فظهر أن ليس المراد الاصل الذى هو الاباحة قبل أن يحكم الله تعالى بشيء فى هذه الشريعة .

على انه اذا قيل بأن الاصل فى الاشياء الاباحة بهذا المعنى ولم نعلم ان الحكم الذى وقع فى نفس الامر موافق لهذا أو مخالف له ، وقد امرنا بالتثبت فى العمل به ونهينا عن العمل كانت ذمتنا بريئة من التكليف به الى ان يحصل موجب ، ومجرد احتمال كون الحكم الوارد فى الواقع مخالفاً لهذا لا يقتضى شغل ذمتنا بذلك ، غاية احتمال ان يكون الامر فى الواقع هكذا ، وهو لا يفيد حتى لو فرض أن جميع ذلك قد نقل عن الرسول والائمة عليهم السلام ولم يصل بعضه الى المكلف على وجه يسوغ له العمل به وكان الواجب عليه التفحص عن ذلك ، فقبل ان يصل اليه مع بذل جهده أي عاقل يكلفه بما فى نفس الامر وخصوصاً فى مثل هذا الزمان وذهاب كثير من كتب الحديث بسبب الجور على اهل الحق .

وما تضمنه بعض الاخبار من ان الاحكام وردت عنهم عليهم السلام لثلايضع من فى اصلااب الرجال وأرحام النساء لا ينافى ذلك ، فانه يمكن ورود ذلك عنهم لاجل ذلك ولكن باهمال المكلفين او عدم قدرتهم وتمكنهم ذهب بعض الاحكام وليس هذا بأعظم من كونهم عليهم السلام منصوبين لاقامة نظام الدين وارشاد الخلق مع عدم انقيادهم جميعاً اليهم وعدم تمكنهم بذلك مما نصبوا له ، فقد نصب تعالى للمكلفين الدليل وأقام لهم الحجة ، وعدم تمام ذلك من تقصير المكلفين لا من المكلف ، ولو أطاعوهم كما هو حقهم لانتشرت جميع الاحكام على وجه

العلم واليقين، وقد قال تعالى « ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »^(١) فترك من ترك العبادة باختياره كتضييع من ضيع نفسه باختياره وتقصيره فكما لا ينافي ترك العبادة ما خلق لاجله لا ينافي تضييع المضيع ما كان لاجل عدمه .

وحيث لم يحصل ذلك بتمامه ولم يبق ما يلتجأ اليه في كل شيء على وجه اليقين والخصوص التجأ الخائفون من الله سبحانه الى المقدور من استخراج الاحكام مما هو موجود ما أمكن ، مع التحفظ بتقوى الله ومراعاة الاحتياطي في العمل ، وذلك قد يختلف بحسب فهم المكلفين وتفاوت أنظار الناظرين ، ولا يكلف الله نفساً الا وسعها .

ومع هذا كله لم يحصل الضياع بحمد الله بالكلية لمن بذل جهده ولم يضل عن الحق من اتبع اهل الحق ، وقد مهد العلماء ما يحصل به النظام ان اتبع الحق بحسب المقدور .

ونرى من نشأ في هذا الزمان وما قاربه ممن يدعون انا نعمل بالحديث لا يكاد يوافق واحدهم الاخر ولم يسلكوا طريقة أحد من المتقدمين والمتأخرين، يظهر ذلك لمن عرف وتتبع مع دعواهم عدم الاختلاف في هذا الطريق ، ولا يعترف واحد منهم بما أفتى به الاخر الا لامرما ، ولا يتحرج فيما يقوله ان هذا مراد الله ورسوله والائمة عليهم السلام مع ظهور قدر بضاعتهم وفهمهم لمعاني الحديث وعدم اتفاهم ، فكل من سلك طريقاً مع دعواه العمل بالحديث سلك الاخر خلافه .

وإذا اشتهرت مسألة افتى كل واحد بما يخالف الاخر، ولو افتوا بجميع المسائل لقل اتفاهم على أمر واحد ، ومن انصف وتتبع ظهر له صحة ذلك ، وقد اغتريهم العوام والجهلة والمائلون الى التساهل في الدين وفي تحصيل العلوم

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .

التي لا يعرف كلام الله ورسوله الا باتقانها ، فضاعت كتب الحديث الموجودة لعدم ضبطها ممن له اهلية الضبط ، وموهوا على ضعيفى العقول بأنا نقول لكم كلام المعصوم ومراده .

والمجتهدون يتكلمون من عند انفسهم وحيث لم يفرقوا بين الاجتهاد المذموم فى الحديث وغير المذموم تمسكوا بالذم الوارد ووقفوا فى اجتهاد غير معقول ورأى غير صواب ، وألقوا مثل ذلك الى من لم يكن ذائقه يعرف ان كلام المجتهدين انما صدر عنهم بعد الفحص عن كلام الله وأمنائه وتكلمهم بما ورد عنهم بحسب ما وصل اليه جهدهم ووسعهم وكان راجعاً الى كلامهم عليهم السلام .

وهذا نظير القاء الصوفية الى الجهلة ورعاغ الناس واشباه البهائم انهم يلقون اليهم عن الله بغير واسطة وعلماء الشرع يتكلمون بوسائط يمكن عدم صدقها . فقا، ضيقت هاتان الفرقتان احكام الله عند الجهلة ومن ينقاد اليهم ، وسعوا على هدم الدين جهدهم ، وأوقعوا الناس فى التساهل فى تحصيل ما يجب تحصيله وضبط ما يجب ضبطه ، وسهولة ذلك مع تصويره بصورة الحق أفضت الى الكسل والتساهل .

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى

ونسأل الله الهداية لنا وللمؤمنين، ونعوذ به من الاملاء والغواية ، وهذا قليل من كثير اقتضاه المقام ولتمامه محل آخر افردته فى رسالة برز منها ما برز . والله الموفق لاتمامها ، وقد ذكرت طرفاً من هذا فى شرح الروضة البهية وشرح اصول الكافى .

[حديث معنى كان عزيزاً ولا عز]

ومن ذلك ما فى كتاب التوحيد للصدوق رضى الله عنه من جملة حديث عن

ابى جعفر عليه السلام مع الشامى حيث قال : أخبرك ان الله علاذكره كان ولا شيء غيره وكان عزيزاً ولاعز لأنه كان قبل عزه، وذلك قوله « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »^(١) وكان خالقاً ولا مخلوق - الحديث .

اقول : معناه - والله اعلم - انه كان موصوفاً بكونه عزيزاً أي غالباً وقاهراً ولاعز بفتح العين أي لاغلبة ولاقهر، اذ لاغلبة الابلغلوب والحال انه لم يكن مغلوب ولا قهر الا بمقهور ولم يكن مقهور ، فقد كان عزيزاً وخالقاً قبل العز والمخلوق .

وقوله عليه السلام « وذلك قوله » الخ ، يحتمل ان يكون المراد به انه رب العزة وهذا الوصف سابق على ما يصدق معه الغلبة كسائر أوصافه تعالى ككونه سميعاً اذ لا مسموع وبصيراً اذ لا مبصر وخالقاً اذ لا مخلوق ونحو ذلك . والله تعالى اعلم .

[مسألة تقلص الظل وامتداده]

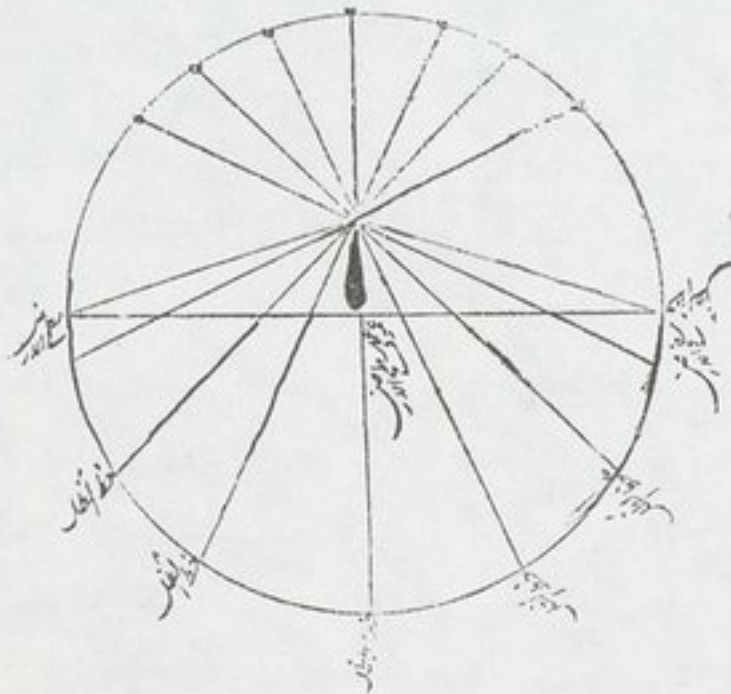
ومن ذلك قول القاضى البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى فى سورة الرعد « والله يسجد من فى السماوات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والاصال »^(٢) وتخصيصه الوقتين لان الامتداد والتقلص فيهما أظهر .

وأراد بالوقتتين الغدو والاصال ، وقد سئلت عن هذا فى مكة المشرفة وكان السائل يتوهم أنه لا ينبغى التفاوت بين الوقتين وغيرهما ومع كون حصول التفاوت ظاهراً وجدانياً ، كتبت له ما يوضح ذلك بوضع دائرة تتوقف معرفتها على هذه المقدمة، وذلك :

(١) سورة الصافات : ١٨٠ .

(٢) سورة الرعد : ١٥ .

انا لونها صبنا شاخصاً على سطح دائرة الافق وجعلنا مدار الشمس دائرة مقاطعة لها على زوايا قوائم فاذا برزت الشمس عن دائرة الافق كان ظل ذلك الشاخص واصلا الى دائرة الافق من جهة المغرب ، فنفرض الشعاع خطأ مستقيماً لولا الشاخص لوصل الى الدائرة فيمتد ظله من حيث هو الى الدائرة ، فاذا ارتفعت الشمس درجة مثلاً من المخطط الشعاعي برأس الشاخص وانحطت عن دائرة الافق بمقدار ما ارتفع والمفروض انه درجة فينحط درجة ، وهكذا كلما ارتفع درجة مثلاً انحط كذلك ، فاذا وصل الظل الى دائرة الافق حصلت زاوية حادة ضلعاها خطان احدهما من رأس الشاخص اليها والاخر من اسفله اليها والمخط الاسفل كلما ارتفعت الشمس قاطعة المخط الاعلى وهو خط الظل بمقدار ما ينتهي به الى دائرة مدار الشمس من اسفل ، فيحصل من اسفل زاوية حادة ثم لاتزال تنفرج بارتفاع الشمس الى ان تصير قائمة عند الزوال ، فاذا زالت الشمس انعكس ذلك تدريجاً



بقدر ما حصل أولاً لتساوي الحركة ، فبمرور خط الظل على سطح دائرة الافق بالطريق المذكور يعلم تفاوت ذلك ويظهر تفاوت الامتداد والتقلص . وهذه الدائرة المذكورة فتأملها يظهر لك وجه ذلك .

| حديث لم يزل الله يعلم |

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضى الله عنه فى كتاب التوحيد باسناده الى حماد بن عيسى قال : سألت ابا عبدالله عليه السلام فقلت : لم يزل الله يعلم ؟ قال : انى يكون يعلم ولا معلوم . قال : قلت فلم يزل الله يسمع ؟ قال : انى يكون ذلك ولا مسموع . قال : قلت فلم يزل يبصر ؟ قال : انى يكون ذلك ولا مبصر قال : ثم قال : لم يزل الله عليمأ سميعأ بصيراً ذات علامة سميعه بصيرة .

اقول: معنى قول السائل لم يزل الله يعلم لم يزل يتجدد علمه بتجدد المعلوم ووجوده ، لدلالة صيغة الفعل ولو فى مثل هذا المقام على التجدد والدوام ، فيلزم من هذا كون بعض المعلوم قديماً او كون علمه تعالى حادثاً متجدداً اذ لم يتصف بالعلم الا بوجود المعلوم .

فأجابه عليه السلام بأن كونه تعالى عالماً ثابت له ادلا معلوم ، وكونه سميعاً ثابت له ادلا مسموع ، وكونه بصيراً ثابت له ادلا مبصر ، فليس علمه ثابتاً له بالمعلوم ليكون المعلوم قديماً او يكون علمه حادثاً بل علمه عين ذاته وقد كان ولا معلوم .

ومنه يعلم معنى لم يزل يسمع ولم يزل يبصر وجوابهما . وفى قوله عليه السلام « أنى يكون » بصيغة المضارع ما يدل على ذلك .

ومعنى قوله « لم يزل عليمأ سميعأ بصيراً » انه لم يزل كذلك مع وجود

المعلوم وتعلق علمه به وعدمه ومع وجود المسموع والمبصر وعدمهما. ويوضح معنى هذا قول ابي عبد الله عليه السلام فى الحديث الذى قبله : لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الاشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور - الحديث .

فان قلت : اذا كان تعالى لم يزل عالماً بكل شىء يلزم منه تعلق علمه بكل معلوم ، فيلزم منه قدم المعلوم .

قلت : هذه شبهة لا وجه لها ، فان علمه تعالى بحدوث الحادث وتعلق علمه به لا يلزم منه قدم ذلك الحادث وهو ظاهر .

ومعنى قوله عليه السلام « أنى يكون يعلم ولا معلوم » متى يصدق عليه تعالى انه دائماً يعلم بالمعنى الذى تقدم والحال انه تعالى كان عالماً قبل المعلوم ، لأنه عالم بالمعنى الذى ذكره السائل . والله اعلم .

[حديث من مات ولم يشرك بالله دخل الجنة]

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضى الله عنه فيه بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات ولا يشرك بالله شيئاً أحسن أو أساء دخل الجنة .

اقول: هذا الحديث لا ينافى دخول بعض المسيئين النار بقدر جزاء اساءتهم اولاً ، فانه لا بد من دخوله الجنة بعد عذابه بما يستحقه لكلا ينافى ماورد مما يدل على ذلك كتاباً وسنة، او أن الاساءة قد يحصل منها ولو أدنى الشرك ولو عند الموت كما تضمنه بعض الاخبار، فغير المشرك لا بد من دخوله الجنة . أو تحمل الاساءة

على ما يكون معه عفو أو أن كرم الله تعالى وعفوه اوسع من ذلك. والله اعلم .

[حديث خلق الايمان والجحود]

ومن ذلك ما رواه رضى الله عنه فيه باسناده الى عبد الرحيم القصير قال :
كتبت على يدى عبد الملك بن أعين الى ابي عبد الله عليه السلام الى ان قال عليه
السلام من جملة الجواب : فاعلم رحمتك الله أن المعرفة من صنع الله عزوجل
فى القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله فى القلب مخلوق ، وليس للعباد فيهما
من صنع ، ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب فبشهوتهم الايمان اختاروا المعرفة
فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، وبشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك
كافرين جاحدين ضاللا ، وذلك بتوفيق الله لهم وخذلان من خذله الله ، فبالاختيار
والاكتساب عاقبهم الله واثابهم - الحديث وهو طويل وهذا موضع الاشكال فيه .
اقول : معنى هذا ان الله من صنعه معنى معرفته ومعنى جحوده ، وقد دل
عبده على المعنيين من قبيل « وهديناه النجدين »^(١) فهو مثل قولك : الطريق
الموصل الى الخير والطريق الموصل الى الشر من صنعه تعالى . فقد صنع
فى قلب العبد معنى المعرفة ومعنى الجحود ، وعرفه حسن هذا وعدم حسن الاخر
وما يترتب له على متابعة كل منهما ، واعطاه القدرة والاختيار والاستطاعة لسلوك كل
منهما باختياره ، فهو باختياره يختار ما يريد منهما ، فاذا علم الانسان ودل على الايمان
ما هو وعلى الكفر ما هو وعلم ما يترتب له على المتابعة فاختر أحدهما لم يكن
اختياره الايمان أو الكفر منه تعالى ، بل من العبد بالاختيار والاستطاعة اللتين
ملكه اياهما .

والتوفيق لمن اختار الايمان والخذلان لمن اختار الكفر لا ينافيان الاختيار

(١) سورة البلد : ١٠ .

بل من أتباع اللطف من المؤمن حصل له زيادة اللطف والتوفيق والعناية ، ومن عدم اتباع اللطف من الكافر حرم الزيادة من ذلك ، فالكفر الذى لم يكن منه تعالى هو كون الكافر كافراً باختياره الكفر . فظهر الفرق بين خلق معنى الكفر والدلالة عليه وخلق الكفر فى العبد .

وبهذا يندفع ما قد يتوهم من موافقة هذا الحديث لما يقوله أهل الجبر . ومعنى قوله عليه السلام « وبشهووتهم الايمان » الخ ان الله تعالى ركب فيهم الشهوة ، وجعل بأيديهم متابعة ما تدعوهم اليه ومخالفته ، فباشتهائم وارانتهم الايمان اختاروا المعرفة وبشهووتهم وارانتهم الكفر اختاروا الجحود مع دلالتهم على ما يترتب على كل منهما عقلاً وسمعاً .

وفى باب القضاء منه عن ابي عبد الله عليه السلام : كما ان بادىء النعم من الله عزوجل وقد نحلكموه فكذلك الشر من أنفسكم وان جرى به قدره .
وبما تقرر يظهر معنى خلقه تعالى الشر فى بعض الاخبار ، وان ذلك لا يدل على أن الشر الذي يفعله العبد من فعله تعالى . والحاصل ان كل ما ورد من هذا القبيل فالمراد منه ما ذكر . والله اعلم .

[معنى البداء]

ومن ذلك قول الصدوق رضى الله عنه فى باب البداء من كتاب التوحيد :
ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنه بدا ندامة تعالى الله عن ذلك ، ولكن يجب علينا أن نقر لله عزوجل بأن له البداء معناه ان له ان يبدأ بشيء من خلقه فيجعله قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرائع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها ، ولا يأمر الله عباده بأمر فى وقت الا وهو يعلم

أن الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك ، ويعلم ان في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما امرهم به ، فاذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم ، فمن أقر الله عزوجل بأن له أن يفعل ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويخلق مكانه ما يشاء ويقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويخلق مكانه ما يشاء ويقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويأمر بما يشاء كيف شاء فقد أقر بالبداء ، وما عظم الله عزوجل بشيء افضل من الاقرار بأن له الخلق والامر والتقديم والتأخير واثبات ما لم يكن ومحو ما قد كان ، والبداء هو رد على اليهود لانهم قالوا ان الله قد فرغ من الامر ، فقلنا ان الله كل يوم هو في شأن يحيى ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء ، والبداء ليس من ندامة وانما هو من ظهور أمر ، تقول العرب بدالي شخص في طريقى أي ظهر ، وقال الله عزوجل « وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحسبون »^(١) اي ظهر لهم .

ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره ، ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره ، ومتى ظهر له من عبد اتيان الزنا نقص من رزقه وعمره ، ومتى ظهر له منه التتعف عن الزنا زاده في رزقه وعمره . ومن ذلك قول الصادق عليه السلام « ما بد الله بداء كما بداله في اسماعيل ابني » يقول ما ظهر له أمر كما ظهر له في اسماعيل ابني اذ اخترمه قبلي ليعلم بذلك انه ليس بامام بعدي ، وقد روى لي من طريق ابى الحسين الاسدي رضي الله عنه في ذلك شيء غريب ، وهو أنه روى أن الصادق عليه السلام قال : ما بد الله بداء كما بداله في اسماعيل ابني ، اذ أمر اياه بذبحه ثم فداه بذبح عظيم . وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندي نظر ، الا اني أوردته لمعنى لفظة البداء والله الموفق للصواب - انتهى كلامه .

اقول : الذي يستفاد من الاخبار ان البداء هو القول بخلاف ما قالته اليهود

(١) سورة الزمر : ٤٧ .

من كونه تعالى فرغ من الامر ولم يظهر شيئاً بعد ذلك ولم يحدث شيئاً ، لانه قدر كل شيء على وفق علمه من غير أن يحدث بعده شيئاً . وحاصل الرد عليهم : انه تعالى يتجدد له تقديرات و ارادات كل وقت ويظهر بحسب المصالح الذى يريدھا .

وبذلك فسرہ الرضا عليه السلام فى حديث سليمان المروزي حيث انكر البداء فقال له : ضاهيت اليهود فى هذا الباب . قال : اعوذ بالله من ذلك وما قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود « بدالله مغلوله » يعنون ان الله قد فرغ من الامر فليس يحدث شيئاً ، فقال الله عزوجل « غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا »^(١) .
فظهر أن معنى البداء ان الله سبحانه يحدث الاشياء ويقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء - الى اخر ما ذكره الصدوق رحمه الله . وهو معنى قوله تعالى « بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء » فهذا هو البداء والله اعلم ، وما ذكره الصدوق مضمونه مذكور فى هذا الحديث .

اذا تقرر ذلك فالبداء لما كان بمعنى الظهور والظهور قد يكون بمعنى بروز الشيء الى الوجود مع العلم به قبل ظهوره كما يظهره تعالى ، وقد يكون بمعنى بزور الشيء الى الوجود مع خفائه او خفاء وجهه قبل ظهوره عن ظهر لسه ، وهذا محال نسبتة اليه تعالى .

والظهور بالمعنى الاول منه تعالى بمعنى الاظهار ، فصار الشيء بذلك ظاهراً منه تعالى ، كاحداث ما اراد احداثه وانشاء ما اراد انشاءه ومحو ما اراد محوه واثبات ما اراد اثباته ونحو ذلك ، وقد يكون الظهور من غيره تعالى كما اذا ظهر من العبد مثل صلة الرحم أو قطيعته أو صدقة ونحو ذلك ، فيظهر منه تعالى ما جعل ذلك الشيء متعلق ارادته وحكمته .

(١) سورة المائدة : ٦٤ .

ومن المعلوم ان حكمة الله سبحانه اقتضت ربط بعض الاشياء ببعض وسببية بعض الاشياء لبعض ووقوع ما يريدته تعالى اذا علقه بوجود شيء ، فاذا ظهر من العبد صلة رحمه زاد في عمره الذي كتب له معلقاً على هذا ، وكذا اذا انقص من عمره فبمحسو الله ما يشاء ويثبت من هذا ونحوه كمحو مائت من الشرائع ونسخه واثبات غيره .

وإذا ورد مثل هذا من مخبر صادق ثبت صدوره عنه تعالى فأى عاقل يتصرف بمقتضى عقله الناقص ويقول أى فائدة فى هذا وما وجه هذا . على أن مثل هذا جار فى خلق الكافر وعلمه تعالى بعدم ايمانه فتتصرف العقول الناقصة بأن تكليفه غير جائز مع علمه تعالى بذلك أو بنسبة جواز تكليف ما لا يطاق اليه تعالى . وبعد ثبوت الاختيار وحكمة التكليف وعدم تأثير العلم فى المعلوم واثبات العدل له تعالى وتنزيهه عن القبيح والظلم والعبث ، يظهر فساد ذلك .

واقول : ان من حكمة التكليف لطف الله تعالى بالعبد وايصال التكليف الى المكلف ، فاذا بلغه أن صلة الرحم تزيد فى العمر كان ذلك باعثاً على فعلها، واذا بلغه ان الزنا ينقص الرزق كان ذلك باعثاً على تركه ، وقس على هذا . فمقتضى الحكمة أن يكتب لهذا رزق معلوم ولذلك أجل معلوم ، وقد منحه الله ما يقدر به على تحصيل تلك الزيادة أو فعل ما يقتضى نقص ما كتب بحيث اسم يكن محتوماً فأى بعد فى هذا . فاذا بلغ المكلف ذلك ففعل أو ترك باختياره ترتب له ما ذكر .

واهل الحق قائلون بتكليف الكافر بالاصول والفروع، وهذا مثله، والجواب عن الشبهة فيهما واحد. فظهر أن علمه تعالى يكون زيده مثلاً يصل رحمه لا يقتضى كون الاجل المقرر له المعلق على ذلك لافائدة فيه .

ويوضح هذا ما اذا قال شخص لعبدته الذي يعلم منه العصيان ان اطعنتي

في أن تفعل كذا أعطيتك كذا درهما وان عصيتني ضربتك عشرين سوطاً وكان غرض السيد بذلك اظهار عذره في ضربه ، فان ضربه من غير أمر ومخالفته يعده العقلاء ظالماً ، فاذا أمره فلم يأتمر لم يلمه عاقل على ضربه . ومثله ما لو علم انه يطيعه فاذا امره واعطاه ما قرره له كان معذوراً غير سفيه في الاعطاء لظهور استحاق المطيع مثل ذلك ، غاية الفرق بينهما بأنه لو اعطاه من غير امر كان تفضلاً منه وقد لا يذم عليه لكن معرض لنسبته الى السفه ممن لا يطلع على حقيقة امره .

والله سبحانه وتعالى ليس من هذا القبيل ، فانه اذا تفضل بشيء لم يتهم بما يتهم به عبده ، والمفروض ان هذا من نحو باب التكليف وربط شيء بشيء ، ونحو هذا ما لو أمر بعض السلاطين أن يكتب كاتبه ويثبت ان كل من كان من خدمه وعماله يعمل كذا كان له من الاحسان زيادة كذا عما هو مقرر منه لخدمته ، فثبت ذلك في دفاتره ونحوها ووعده بذلك يقوي داعي من أراد تحصيل هذا النفع بذلك العمل مع قدرته عليه ، ومن تكاسل عن ذلك العمل وتركه فقد حرم نفسه ذلك النفع باختياره^(١) . ففي اثبات ذلك وتقريره من الفائدة ما هو ظاهر في غيره تعالى فما ظنك به وبحكمته وصدق وعده وعدم خلفه .

والحاصل ان البداء الذي امرنا باعتقاده هو الظهور بالمعنى الذي تقرر ، وهو موافق لمعناه لغة وعرفاً ، فانه اذا صدق بهذا مع التصريح من أئمتنا عليهم السلام به كان هو المراد .

(١) قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتابه المشتعل على جواب احدي وخمسين مسألة : المعنى في قوله عليه السلام « ما بد الله في شيء كما بداله في اسماعيل » يعني ما ظهر له تعالى فعل من أحد من اهل البيت عليهم السلام ما ظهر له في اسماعيل ، وذلك أنه كان الخوف عليه من القتل مشدداً والظن به غالباً ، فصرف الله عنه ذلك بدعاء الصادق عليه السلام ومناجاته منه فيه ، وبهذا جاء الاثر عن الرضا عليه السلام - انتهى كلامه عفى الله عنه « منه » .

وأما المعنى الآخر وهو الظهور بعد الخفاء على من ظهر له المقتضى لعدوله عن غيره إليه لذلك ونحو ذلك، فأى عاقل يعرف الله سبحانه بنسبه إليه ، وقد دل العقل والنقل على انه لا يعزب عن علمه شيء .

وفى باب البداء من كتاب التوحيد عن ابي عبد الله عليه السلام حيث سأله منصور بن حازم هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله؟ قال لا، من قال هذا فأخزاه الله. قلت: ارأيت ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال بلى. قيل: ان يخلق الخلق فكيف يخبر بهذا من يأمر بالقول بالبداء ويعنى به ما نسبه غيرنا لنا من حملة على معنى ان ينشأ او يحدث شيء لم يكن ظاهراً عنده تعالى الله عن ذلك .

وبالجملة فاذا كان بمعنى الظهور - وهو يختلف معناه بحسب ما يتعلق به - فيقال بدامنه امر اذا ظهر فقط ، ويقال بداله اذا ظهر اما بعد خفاء او نشأله رأى غير الاول أو بالمعنى الآخر، ويقال ظهر عليه بهذا المعنى ، فالحمل على ما يليق حملة بجنابه تعالى متعين لا يجوز غيره مما يقع من الممكن الناقص المحتاج . اذا تقرر هذا فقول الصدوق طاب ثراه : ومتى ظهر لله تعالى - الخ كان الظاهر أن يقول بدله: ومتى ظهر من العبد صلة لرحمه ظهرت من الله الزيادة في عمره اوزاد الله في عمره. فانه انسب بما تقرر، لكنه لما وجد في قول الصادق عليه السلام ما بدا لله بداء كما بدا له في اسماعيل اتى بهذه العبارة ، الا انه قال : وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندى نظر . وكأن وجه النظر ما فيه من قوله « لله » حيث يشعر بتقدم الخفاء وان كان غير مراد ، فعلى هذا كان ينبغي ترك قول الصدوق لله .

وربما كان مراده عدم ثبوت الحديث عنده بالطريقين على وجه يعتمد عليه، وحينئذ معنى الظهور لله والبداء لله أن ظهور الاشياء له تعالى ليس على حد ظهورها

لغيره، فإن كون الفعل خالصاً مثلاً غير مشوب بشيء يقتضى المنع مما يترتب عليه مخصوص به تعالى، فظهور حقيقة كل ظاهر له دون غيره، فلهذا قال «لله» فليفهم.

ومنه يعلم معنى ما بد الله في الحديث. والاولى ان يقال في هذا التركيب من الحديث: انه من قبيل قولك ماظهر لزيد علم كما ظهر له في هذا اليوم أو بهذا الكلام ونحوه، بمعنى ظهور علمه الان زيادة عن غيره، فظهور البداء منه تعالى في اسماعيل لم يظهر له أي منه مثله بالنسبة الى من اخترم اجله لا الى كل شيء. وهذا وجه لطيف منطبق على معنى البداء وكونه متعلقاً به تعالى، فان ظهور ما يقتضى البداء من غيره تعالى وادخاله في معنى البداء المبحوث عنه لا يدخل له الامن حيث ترتب البداء عليه، فاننظم معنى الحديث وظهر أن استدلال الصدوق رحمه الله على أنه بمعنى الظهور ثم قوله بعده «ومتى ظهر لله» الخ كما ترى. اللهم الا ان يكون مراده بالظهور من العبد مالا دخل له بالبداء الا ترتب البداء عليه كما يأتي في قوله «ان له ان يبدأ بشيء من خلقه».

وبالجملة فكلامه هنا وهناك مشعر بادخال الابتداء والظهور من العبد في البداء، وكأنه فهمه من حديث الرضا عليه السلام وحديث ما بدا لله ولم يلاحظ الفرق ومعنى الحديثين قد ظهر لك بما قررتيه وبما يأتي انه ليس من هذا. ويمكن التوجيه بما ذكرته مع بعده فتدبر.

فان قلت: مقتضى الحديث أن ظهور الاشياء يتفاوت بالنسبة اليه تعالى، وهو يقتضى تفاوت علمه.

قلت: التفاوت في مثله يرجع الى ذلك الظاهر، كما تقول لم يحدث مثل هذا بمعنى أن هذا يتميز عن غيره مما أحدثه. ومعنى الحديث انه لما حصل من جماعة اعتقاد أن الامام بعد الصادق عليه السلام ابنه اسماعيل ظهر منه احترامه قبل ابيه

وقد كان كتب له اجلا أزيد من هذا ليزول سبب اعتقادهم، ولا بعد في كونه تعالى جعل له عمراً أزيد من هذا معلقاً على عدم وجود السبب المذكور، فاذا حصل السبب وظهر نقصه كما ينقص عمر من قطع رحمه عما قدر له لو لم يقطع الرحم ونحوه أمر الزيادة، فانه تعالى قد يعطى قدراً من العمر معلقاً على أن لا تحصل صلة الرحم، فاذا حصلت وظهرت بوجودها وتحققها له تعالى زاده عن ذلك القدر اما قدراً آخر أو ما كان معلقاً على ذلك أو ما يقتضيه جوده وكرمه من التفضل عليه .

وأني بعد في هذا بعد أن نصب للمكلفين من هو واجب الطاعة والاعتقاد فيه أنه امام، فاذا فعلوا باختيارهم ذلك وفاه عمره، واذا تركوا وعدلوا باختيارهم مع علمهم بأن صفات الامام فيه دون غيره نقصه . وقد تقدم ما يوضح هذا .

واعلم ان قوله رحمه الله « يجب علينا أن نقر الله عز وجل بأن له البداء » وقوله « معناه ان له ان يبدأ بشيء من خلقه فيجعله قبل شيء ثم بعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره » يمكن حمله على أنه ليس المراد به ان هذا معنى البداء بساعتبار هذا اللفظ، فان هذا ان بدأ المهموز بمعنى ابتداء ومعناه غير المعنى المذكور للبداء غير المهموز وان ذكره لكونه من افراد البداء وداخلا تحته من حيث ترتب البداء عليه، وقد أخذ من قول الرضا عليه السلام لسليمان المرزوي في اثبات البداء « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده »^(١) « وبدأ خلق الانسان من طين »^(٢)، فان الظهور حصل من هذا الابتداء .

ولا يخفى ان ما في الحديث لا يتوهم منه ما يظهر من كلام الصدوق طاب ثراه، فراجع الكلامين وتأمل تجد الفرق بينهما .

ومن كلام الرضا عليه السلام واحتجاجه على سليمان في اثبات البداء قوله:

(١) سورة الروم : ٢٧ .

(٢) سورة السجدة : ٧ .

وما انكرت من البداء ياسليمان، والله عزوجل يقول « أولم ير الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً »^(١) ويقول عزوجل « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده » ويقول « بديع السماوات والارض »^(٢) ويقول عزوجل « يزيد في الخلق ما يشاء »^(٣) ويقول « وبدأ خلق الانسان من طين » ويقول عزوجل « وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم »^(٤) ويقول عزوجل « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب »^(٥). ثم قال عليه السلام : رويت عن ابي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال: ان الله عزوجل علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه الا هو من ذلك يكون البداء ، وعلماً علمه ملائكته ورسله، فالعلماء من اهل بيت نبيك يعلمونه. ومن هذا الحديث اخبرني ابي عن آبائه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ان الله عزوجل أوحى الى نبي من أنبيائه: ان اخبر فلان الملك اني متوفيه الى كذا وكذا. فاتاه ذلك النبي فأخبره، فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط عن السرير وقال: يارب اجعلني حتى يشب طفلي واقضى أمري ، فأوحى الله عزوجل الى ذلك النبي ان ائت فلان الملك فأعلمه اني قد أنسيت في اجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة . فقال ذلك النبي : يارب انك تعلم اني لم اكذب قط . فأوحى الله عزوجل اليه انما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك والله لا يسأل عما يفعل - الحديث .

وهذا من قبيل ماتقدم فانه تعالى قد يعلق الزيادة على دعاء العبد وطلبه ،

(١) سورة مريم : ٦٧ وأول الاية « أولاً يذكر الانسان » .

(٢) سورة البقرة : ١١٧ .

(٣) سورة فاطر : ١ .

(٤) سورة التوبة : ١٠٦ .

(٥) سورة فاطر : ١١ .

وقد قال تعالى « ادعوني استجب لكم »^(١) فإذا سأله العبد الزيادة في العمر وغيره واجابه تعالى يكون قد محاماً كتب له أولاً وأثبت غيره. وفائدة هذا توجه العبد الى الله عزوجل بالطلب والدعاء ونحو ذلك . فافهم هذا وتدبره فانه مهم في معرفة البداء والله تعالى اعلم .

وبه يندفع ما نسبته الينا من خالفنا من المعنى القبيح على أنه ورد من طرق العمامة بهذا المعنى . قال في النهاية في حديث الاقرع والابرص « بد الله ان يتليهم » أي قضى بذلك ، وهو معنى البداء هنا - انتهى .

ولا يخفى عليك ان ارادة البداء بالمعنى المقرر من هذا الحديث ظاهرة ، وان حمله على القضاء انما هو لتوهم المعنى القبيح وفهمه منه ، ومعه لا يحتاج الى اخراجه عن معناه الى معنى آخر لا يدل عليه هذا اللفظ ولا تركيبه .

[حديث الرد على القدرية]

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضى الله عنه في الكتاب المذكور في باب الاستطاعة باسناده عن سأل ابا عبد الله عليه السلام فقال له : ان لى اهل بيت قدرية يقولون نستطيع أن نعمل كذا وكذا ونستطيع ان لا نعمل . قال: فقال ابو عبد الله عليه السلام : قل له تستطيع أن لا تذكر ما تكره وان لا تنسى ماتحب ، فان قال لا فقد ترك قوله وان قال نعم فلا تكلمه أبداً فقد ادعى الربوبية .

أقول: أحاديث هذا الباب وغيرها تدل على ثبوت الاستطاعة للعبد، ويظهر من هذا الحديث أنهم ادعوا الاستطاعة في كل ما يريدون مما يدخل تحته مثل هذا، بقرينة قوله عليه السلام قل له كذا ، وقوله فان قال لا فقد ترك قوله وان قال نعم فلا تكلمه - الخ .

(١) سورة غافر : ٦ .

ولم يتعرض لما هو من باب الاستطاعة التي تكون للعبد فيما يقول له ، لان الاستطاعة الثابتة له من الله انما تكون فيما يتعلق بتكليف العبد ، فدعوى ثبوتها في غير ذلك باطلة ومن ادعى مثل ذلك كان مدعياً للربوبية . فان هذا ونحوه ليس من مقدور العبد ولا مما كلف به ، فلانفاة بين هذا الحديث ومادل على ثبوت الاستطاعة .

وفي هذا المقام كلام لصاحب المغرب في معنى القدرية قال : وأما القدرية فهم الفرقة المجبرة الذين يثبتون كل الامر بقدر الله سبحانه وتعالى وينسبون القبائح اليه سبحانه ، وأما تسميتهم بذلك أهل العدل والتوحيد والتنزيه فمن تعكيسهم لان الشيء انما ينسب اليه المثبت لالنافي ، ومن زعم انهم يثبتون القدر لانفسهم فكانوا به أولى فهو جاهل بكلام العرب ، فكأنهم لما سمعوا ماروي انه عليه السلام قال « القدرية مجوس هذه الامة » هربوا من الاسم وان كانوا قد ارتكبوا مسماه . وعن الحسن عن حذيفة ان النبي عليه السلام قال « لعنت القدرية والمرجثة على لسان سبعين نبياً . قال : قيل ومن القدرية يا رسول الله ؟ قال : قوم يزعمون ان الله قدر عليهم المعاصي وعذبهم عليها .

وعن مالك : يستتاب القدرية . قال : يعنى الجبرية .

وعن الحسن : ان الله بعث محمداً الى العرب وهم قدرية مجبرة يحماون ذنوبهم على الله ، وتصديقه في قوله تعالى « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء »^(١) اعادنا الله من المجازفة والمكابرة والالحاد في آياته تعالى - انتهى كلام المغرب .

ومما يصدق قول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الشيخ بعد منصرفه من صفين : وتظن انه كان قضاء حتماً وقدرأ لازماً ، انه لو كان كذلك لبطل الثواب

(١) سورة الاعراف : ٢٨ .

والعقاب والامر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد ، فلم يكن
لائمة للمذنب ولا محمداً للمحسن ، وكان المذنب أولى بالاحسان من المحسن
ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب تلك مقالة اخوان عبدة الاوثان وخصماء
الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الامة ومجوسها ، ان الله تبارك وتعالى كلف
تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطمع
مكرهاً ولم يملك مفوضاً ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلا ولم
يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا
من النار .

وفى رواية أخرى للصدوق فى كتاب التوحيد زيادة قوله : فقال الشيخ بأمير
المؤمنين فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وما هبطنا وادياً ولا علونا تلة الابهما
فقال امير المؤمنين عليه السلام: الامر من الله والحكم ، ثم تلا هذه الآية «وقضى
ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً» «أي امر ربك ألا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين احساناً - الحديث فيه دلالة على ان القدرية هم المعجبة .

واقول: انه خطر لى وجه فى قوله عليه السلام «ولكان المذنب أولى بالاحسان»
الخ ، وهو أنه لو كان الامر كذلك لكان هذا الفعل لا يصدر عن عادل بل عن ظالم
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، والمناسب بمن هذا شأنه عقوبة المحسن والاحسان
الى المسيء اعمالاً بمقتضى الظلم ، لان الظلم وضع الشيء فى غير موضعه ،
فيكون المذنب أولى بالاحسان باعتبار فعل الظالم ، والمحسن أولى بالعقوبة
لذلك . وهذا وجه لطيف .

وقد سئل بعضهم عن معنى الظلم فقال : هو أن تضع العصا موضع السيف
والسيف موضع العصا ، وكلاهما موضع الزجر بالكلام وعكسه .

(١) سورة الاسراء : ٢٣ .

والحديث المذكور فيه أهل بيت قدرية لادلالة فيه على أن كل من يقول بالاستطاعة يكون قدرياً ، فان هذا وقع في كلام السائل وجوابه عليه السلام تعلق بما قالوه . وربما كان قول السائل قدرية من باب السب لهم لاخباراً عن اعتقادهم المقتضي لكونهم قدرية ، ولكن روى في باب القضاء والقدر من هذا الكتاب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان القدرية مجوس هذه الامسة ، وهم الذين أرادوا ان يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه ، وفيهم نزلت هذه الآية «يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * انا كل شيء خلقناه بقدر»^(١) فقد دل هذا الحديث على أن منكري القدر قدرية .

ووجه الجمع بين هذا وما تقدم أن هذا يدل على ذم من أنكر القدر، وذلك دل على اثبات القدر على وجه لا يكون للعبد فعل ويكون مجبوراً وان كلامهما قدرية مذموم ، وأما من قال بالقدر واثبت الاستطاعة للعبد وهو النمط الاوسط فهو خارج عن الامرين مثبت للقدر على وجه لا ينافي الاستطاعة ولا يستلزم الجبر والقدر، اما بمعنى علمه تعالى بمقادير الاشياء أو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء كما فسره به الرضا عليه السلام او غير ذلك مما لا يحصل منه الجبر .

وبالجملة فمقتضى الحديثين كون منكري القدر مجوساً ومثبتي القدر على وجه يستلزم الجبر وعدم الاستطاعة مجوساً ، وقد استفيد من الاخبار غير هذين الخبرين مذمة كل من يعتقد ذلك ، وحينئذ فقول راوي الحديث الاول « ان لي اهل بيت قدرية » الخ معناه ظاهر مما تقرر . واعتقاد المعتزلة ان كان موافقاً لما في الحديث الثاني من كون الاستطاعة من العبد لا من الله قبلت فيهم شهادة الجبرية كما تقبل شهادتهم في حق الجبرية بالمجوسية . والله تعالى اعلم .

(١) سورة القمر : ٤٨ .

[حديث الاستطاعة بالله]

ومن ذلك ما رواه في الكتاب باسناده الى ابراهيم عليه السلام قال: مر امير المؤمنين عليه السلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون في القدر، فقال لمتكلمهم ابالله تستطيع أم مع الله ام من دون الله تستطيع ، فلم يدر ما يرد عليه ، فقال امير المؤمنين عليه السلام : ان زعمت انك بالله تستطيع فليس لك من الامر شيء ، وان زعمت انك مع الله تستطيع فقد زعمت انك شريك معه في ملكه ، وان زعمت أنك من دون الله تستطيع فقد ادعيت الربوبية من دون الله عزوجل . فقال : يا امير المؤمنين بل بالله استطيع . فقال : أما انك لو قلت غير هذا لضربت عنقك .

اقول : معنى قوله عليه السلام بالله تستطيع بالاستطاعة التي اعطاك الله اياها ، وحينئذ ليس له من الامر شيء ، أي من الاستطاعة بحيث تكون من عنده، واذا كانت الاستطاعة منه تعالى وأعطاه لعبده ليعمل بها ويستعملها فيما يريد مما يكون مقدوراً له لا ينافي ذلك الاختيار ولا يلزم منه الجبر كما يتوهمه من لم يتأمل هذا .

ومنه يظهر معنى الشركة واختصاص العبد بها وانهما شريكان ، أو ان العبد ادعى الربوبية يكون هذه الاستطاعة لم يخلقها له ولم يعطه اياها بل هو مستقل بها . ونحو هذا القدرة وغيرها، فان الانسان اذا فعل بقدرته شيئاً كان فعله بالقدرة التي اعطاه الله اياها وجعل له الاختيار في التصرف بها وليس للعبد في هذه القدرة صنع بل هي منه تعالى وحده ، وقدمنحه اياها يتصرف بها كيف شاء ، فلا دلالة فيه على نفى الاستطاعة وفعل العبد .

ونظير هذا من أعار غيره آلة ليستعملها كيف شاء ، فاستعملها كذلك ، فهذا

الاستعمال لا يدل على أنهاله ولا انه صار بالاستعمال شريكاً لصاحبها، بل انما استعمال آلة الغير وقد جعل له التصرف بالانتفاع بها .
فان قلت : تقدم في حديث آخر ما يدل على ان الله تعالى ملكه الاستطاعة، فلا يناسب التنظير بالعارية .

قلت : التنظير من حيث أن المملك له سلبها واخذها منه اذا أراد بحيث لا يكلفه بدونها ، فاشبهت العارية وأشبه تملكها تملك منافع العارية ، ولو لم يكن من هذا القبيل لم يدل التملك على ان للعبد في الاستطاعة صنفاً بل دل على عدمه . وهذا ظاهر والله اعلم .

[حديث الفرار من القضاء الى القدر]

ومن ذلك ما رواه في الكتاب بطريقه الى الاصبخ بن نباتة قال : ان امير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل الى حائط آخر ، فقيل له : يا امير المؤمنين تفر من قضاء الله ؟ فقال : أفر من قضاء الله الى قدر الله عز وجل .
اقول : معناه انه كان من قدر الله أنه عليه السلام ينجو بالعدول ومن قضاء الله المعلق على أنه ان بقي اصابه ضرره وان عدل خلس من ضرره ، فقد قدر تعالى سلامته بذلك . وكذا كل من رأى سبب الهلاك ونحوه ففر منه .
ومن المعلوم ان كل احد قادر على القاء نفسه الى التهلكة ونحوها ، فاذا لم يفعل يكون قد فر من القضاء بالمعنى المذكور ، مع أنه يجب على كل مكلف الفرار من مثل هذا القضاء بالهرب والدفع عن النفس ونحوه ، فلا اشكال فيه .
والله اعلم .

[حديث لاتسبوا الدهر]

ومن ذلك ما قيل انه ورد في الخبر : لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله^(١) .
اقول : على تقدير صحة الخبر معناه يحتاج فهمه الى تفصيل ، وهو انه قد
تقرر أن بعض ما يحدث في الدهر من فعل الله سبحانه وبعضه من فعل غيره ،
ومن المعلوم المقرر اتساع باب المجاز والاستعارات وورود ذلك كثيراً في
القرآن وغيره ، فاذا كان الاثر منه تعالى كان سب الدهر كأنه سب له تعالى ،
واذا كان من غيره لم يكن في سبه والشكاية منه حرج باعتبار وقوع ذلك فيه
مجازاً .

ويوضح ذلك ما لو كان لانسان ولدفمات بأجله فهذا مما لايجوز سب الدهر
فيه ، ولو قتله قاتل وسب الدهر او حصلت الشكاية منه كانت الشكاية حقيقة ممن
وقع منه ذلك في الدهر ، وقد اسند مثل « عيشة راضية » الى غير من هي له ،
ونحوه « اسأل القرية » و« انبت الربيع البقل » وهو كثير .

وعلى الثاني يحمل ما نقله مصنفو مقتل الحسين عليه السلام كابن طاووس
رحمه الله وابى مخنف لوط بن يحيى وغيرهما من أنه عليه السلام لما حمل على
الاعداء أنشد هذه الايات :

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالاشراق والاصيل
من طالب بحقه قتيل والدهر لا يفتنح بالبديل

الايات ، فان الشكاية فيها من الدهر شكاية من أهله .

ومن هذا القبيل مذمة امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام للدنيا وشكايته منها

(١) نقل هذا الحديث السيد المرتضى رضى الله عنه في كتابه المجالس ، وقد رأيت
بعدها كتبت ما هنا « منه » .

كما هو ظاهر لمن تتبع كلامه ، ولا يليق نسبة مثلهم الى الشكاية من الدهر باعتبار ما وقع فيه منه تعالى . وحمل الكلام على اطلاقه لا يناسب مذهب اهل الحق ويرجع الى مسألة القضاء والقدر والجبر والاستطاعة ، ومذهب اهل الحق معلوم فيها . وقد وقع كثيراً في كلام العلماء والشعراء الشكاية من الدهر والزمان والدنيا والمعاني واحدة أو متقاربة وقد ذم تعالى من قال وما يهلكنا الا الدهر .

ومن لطيف ما قيل في ذلك لمناسبة في الجملة :

الدهر عندي لا محالة أحول فاسأل به من كان طبياً عاقلاً
يرنو ليلحظ عاقلاً فيرده حول بعينيه فيلحظ جاهلاً
وقال آخر :

يا من علا وعلوه اعجوبة بين البشر
الدهر دولاب وليس يدور الا بالقر

وقال ابن دريد رحمه الله :

لاتحسبن يا دهر أنسي ضارع لنكبة تعرفنسي عرق المسدى
مارست من لوهوت الافلاك من جوانب العجو عليه ما شكا
وقال آخر :

والدهر كالميزان يرفع كل ناقص

وقال آخر :

مستحدث النعمة لا يرتجى احشاؤه مملوئة فقير
جن له الدهر فنسال الغنى يا ويحه ان عقل الدهر
ولولا الاطالة لنقلت كثيراً من ذلك . والله اعلم .

[حديث رؤية الهلال قبل الزوال]

ومن ذلك ما رواه الشيخ رضى الله عنه فى الاستبصار بطريقه الى محمد بن عيسى قال : كتبت اليه عليه السلام جعلت فداك ربما غم علينا هلال شهر رمضان فنرى من الغد الهلال قبل الزوال ، وربما رأيناه بعد الزوال ، فترى أن نفطر قبل الزوال اذا رأيناه ام لا كيف تأمر فى ذلك . فكتب عليه السلام : تتم الى الليل فانه ان كان تاماً رؤي قبل الزوال .
اقول هذا يحتمل وجهين :

احدهما : وهو الاظهر باعتبار اضافة الهلال الى شهر رمضان أن يكون المعنى انه اذا صام الانسان ذلك اليوم على انه اول شهر رمضان أو محتمل لذلك ثم رؤي الهلال فيه قبل الزوال هل يجوز افطاره بناء على كونه من غير شهر رمضان أم لا بناء على كونه منه بسبب رؤية الهلال ؟
وجوابه عليه السلام على هذا حاصله انه اذا كان شهر رمضان تاماً رؤي هلاله فى أوله قبل الزوال فلا ينبغى افطاره .

الثانى : ان تكون الاضافة الى شهر رمضان المراد منها هلال شوال ، والاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة ، ومعنى الجواب حينئذ انه لا ينبغى الافطار ، فان شهر رمضان اذا كان تاماً رؤي هلال شوال فيه قبل الزوال ، فيكون ذلك اليوم من شهر رمضان . وكان هذا اقرب والله اعلم .

[حديث فرار موسى من أمه]

ومن ذلك حديث نقله الصدوق رضى الله عنه وأظنه فى كتاب العلل فى معنى قوله

تعالى «يوم يفر المرء من أخيه * وامه وابه» (الآية . وفيه ان الذى يفر من أمه موسى عليه السلام .

وقد خطر لي فيه وجه ، وهو أن الانبياء عليهم السلام فيهم من الطباع البشرية ما فى غيرهم فى الجملة ، وموسى عليه السلام لما ألقته امه فى اليم ربما خطر بباله وقوع ذلك منها فيفر لذلك .

ويؤيد هذا قوله تعالى « يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى * فأوجس فى نفسه خيفة موسى »^(٢) فقد خاف ممالا حقيقة له باعتبار غلبة الطبع البشرى . والله تعالى اعلم .

[ايات للمؤلف فى المعنى]

ومن ذلك من جملة ما نظمته فى عنوان الشباب ايات من باب المعنى منها بيتان فى اسم مراد :

يا كاملا فى هواه	اتفقت روحى ومالى
أردت سقم فؤاد	اذ لات حين وصال
ومنها بيتان فى اسم سليمان :	
ايام حسنك كم أودى بها دنف	مثلى وكم ثم قلب فيك قد علقا
يا من له فى فؤادى منزل حسن	رحب اذا يدعيه الغير ماصدقا
ومنها فى اسم مروان :	

وقائلة هل أنت مضنى بحاجبى	ام الثغر ام اضناك هجر الحبايب
فقلت لها جودى بوصلك واتركى	حديثاً مضى ما بين ثغر وحاجب

(١) سورة عبس : ٣٤ - ٣٥ .

(٢) سورة طه : ٦٦ - ٦٧ .

حل الاول بحسب اصطلاحات اهل المعنى العربى : أن اردت رديفه رمت
وسقم رديفه فى الجملة داء وفؤاد رديفه قلب ، والمراد بالقلب العكس فى كل
من رمت وداء ، فاذا اسقطت التاء من رمت حين وصال مر باد حصل مراد .
وحل الثانى ان المراد عددكم وهو ستون والسين بستين ، والمراد بكم
ثم قلب نقص ثم المقلوبة من مثلى فقد حصلت السين واللام والياء من مثلى
بعد نقص ما ذكر ، وتتمة الاسم تحصل من ما صدق فانه بمعنى كذب ورديف
كذب مان .

وحل الثالث ان المراد بالثغر الميم وبالحاجب النون والحديث الماضى حدث
ورديف حدث روى ، فاذا ترك أى وضع روى ما بين الميم والنون صار مروان .
ولم يتفق لاحد من اهل هذه الصناعة حل الابيات المذكورة فلهذا ذكرت
حلها .

[حديث النافلة التى تراحم الفريضة]

ومن ذلك ما رواه الشيخ رضى الله عنه فى التهذيب بسنده الى اسماعيل بن
عيسى قال : سألت الرضا عليه السلام عن الرجل يصلى الاولى ثم يتنفل فيدركه
وقت العصر من قبل أن يفرغ من نوافلته فيبطل بالعصر ثم يقضى نوافلته بعد العصر
أو يؤخرها حتى يصليها فى وقت آخر ؟ قال : يصلى العصر ويقضى نوافلته فى
يوم آخر .

أقول : لا يبعد ان يكون فيبطل محرفاً والاصل فيبتدىء فانه قريب منه فى
الصورة . وهذا موافق لنظم السؤال وموافقة الجواب له .

ويؤيده فى الجملة تكرير « ابدأ » فى احاديث الباب ، وأما يبطل فلابد
بتصور له معنى خال من التكلف ، وغاية ما يتكلف له أن يكون المعنى فيتم

النافلة ويبطى بالعصر حينئذ ثم يقضيها بعد أن صلاها . ويكون السائل ظن أو توهم أن مثل ذلك جائز من حيث أنه لما شرع فيها لزمه ان يتمها ثم يقضيها . أو يقال ان ثم بفتح المثلية والمعنى فيبطى بالعصر لو أتم النافلة فبؤخرها عن وقت الفضيلة أيقضى نافلته بعد العصر في هذه الصورة او يؤخرها - الخ . وقوله عليه السلام « ويقضى نافلته في يوم آخر » ربما كان وجهه ان القضاء لما كان بمعنى الاتيان بالفعل من قبيل « فاذا قضيت الصلاة » وبمعنى القضاء المعلوم ، كان ذكر اليوم الاخر لدفع توهم ارادة المعنى الاول . والله اعلم .

[حديث مجارى العيون]

ومن ذلك ما ورد في بعض الاخبار ان مجارى العيون مع مهب الشمال . اقول : خطر لى توجيه لذلك ، وهو أنه قد تقرر ان جهة الشمال باردة يابسة وجهة الجنوب حارة رطبة ، فسيلانه الى جهة الجنوب لموافقته لما ذكر كما لو وضعت قطعة من الماء الجامد فى مكان وكان فى احدى الجهات نار قريبة منها فان الماء يسيل منها الى جهتها .

ويمكن اعتبار وجه آخر ، وهو أن الله سبحانه جعل بمقتضى حكمته للشمس والقمر تأثيراً فى العالم السفلى بحيث يكون له بهما تمام التعلق ، وتأثيرهما فى ذلك ظاهر ، ومن ذلك ما يظهر من توجه ورق الاشجار والنبات وميله الى جهة الشمس ونموه بمشاهدتها ، فالماء يمكن أن يكون من هذا القبيل ، ومن المعلوم أن الشمس لاتتجاوز الميل الكلى من منطقة البروج ، فماتجاوز مسامته تمام الليل من جهة الشمال يكون طالباً جهة الشمس ، ولما كانت تنتهى الى الميل الجنوبى مع كون المعمور شمالياً عن خط الاستواء الا ماقل^(١) كان ماعدا ما تجاوز الميل الشمالى

(١) احترز بما قل عن بعض أطراف الزنج والحبشة ، فانه لا يزيد عرضها عن ثلاث

متوجهاً الى جهتها ايضاً ، فلماذا كان الماء يجرى من الشمال الى الجنوب ، فما كان جارياً على وجه الارض وجهه على هذا ظاهر ، ولا يبعد ان يكون ما فى بطن الارض طالباً للجهة المذكورة .

ومما يقرب ذلك انك ترى شجرة مغروسة فى مكان لا تقابل فيه الشمس فلا تزال تمتد طلباً لمشاهدتها وان لم تشاهدها ، وترى شجرة قريبة من حائط تميل عن جهته طلباً لذلك ، وتأثير القمر على نحو ذلك . ولم أر من تعرض لذكر هذين الوجهين والله تعالى اعلم .

[قول الصدوق وينام فى المسجد]

ومن ذلك قول الصدوق طاب ثراه فى النقيه فى أحكام الجنب : وينام فى المسجد ويمر فيه .

اقول : ينسب الى الشيخ بهاء الدين طاب ثراه انه حمله على النوم حال العبور من غير لبث ، وهذا بعيد . وقد خطر لى وجه كتبه فى حواشى الفقيه ، وهو أنه مبنى على جواز اللبث فى المسجد للمتيمم ، فمادام مستيقظاً كان لبثه جائزاً واذا نام ارتفع عنه التكليف . فتأمل .

[وجه تغطية الرأس وقت التخلى]

ومن ذلك ما ذكره علماؤنا رضوان الله عليهم من تعليل تغطية الرأس وقت التخلى بالحذر من وصول الرائحة الخبيثة الى دماغه .

اقول : يمكن أن يقال فى وجه وصول الرائحة الى الدماغ مع الكشف وعدم وصولها مع التغطية ان الشعر له مسام ينفذ منها البخار ونحوه ، فاذا كان

مكشوفاً دخلت الرائحة الى الدماغ بخلاف ما اذا كان مغطى فان المسام تكون
حينئذ مسدودة بالغطاء .

وبذلك على ذلك ما اذا كان لمكان بابان فانه بذلك يتحرك الهواء وينفذ ،
بخلاف الباب الواحد . والله اعلم .

[حديث ان العلماء ورثة الانبياء]

ومن ذلك ما رواه محمد بن يعقوب رضي الله عنه في الكافي أن العلماء
ورثة الانبياء ، وذلك ان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وانما اورثوا احاديث من
احاديثهم ، فمن اخذ بشيء منها فقد اخذ حظاً وافراً .

أقول : قد ذكرت ما يتعلق بمعنى هذا الحديث في شرح اصول الكافي وهو
الدر المنظوم من كلام المعصوم وحاصله : ان هذا الحديث يدل على خلاف ما
ادعى من معنى قوله صلى الله عليه وآله « نحن معاشر الانبياء لانورث » ، وذلك
لانه عليه السلام لما قال : ان العلماء ورثة الانبياء ربما توهم من هذا الكلام ان
الانبياء لا يورثون صاحب الميراث المسالي ، فاستأنف عليه السلام ذلك وعلمه
بقوله « وذلك ان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً » الخ . ومعناه ان الوارث
هنا انما يرث وان كان اجنبياً من حيث النسب ، لان الانبياء لم يتركوا لوارث
المال شيئاً مما ذكر يصل اليه بالميراث النسبي ونحوه حتى يكون مختصاً بهم
بل ورثوا احاديث من احاديثهم ، وذلك لا يختص به الوارث للمال .

وحمل التورث على ما ذكره هو الذي يقتضيه المقام وسياق الكلام ، فلا يرد
انه عدل عن غيره مع احتمالهما او ظهور المعنى الاخر .

والدرهم والدينار يحتمل أن يكون المراد بهما النوعان ، وان يكونا كناية
عن المتروكات أو عن الشيء المعتد به .

وان ثبت توريث بعض الانبياء على احد الاوجه أجيب ببعضها وبتخصيص العام وان الحكم باعتبار الاغلب ، وطلب فاطمة عليها السلام الميراث يمكن أن يكون طلباً لحقها من هذه الجهة حيث منعت من غيرها .

قال والدي طاب ثراه : قد يقال ان هذا الخبر يدل على ما ادعى لاجل منع فاطمة عليها السلام ، والحال ان الاصحاب لم يتوجهوا اليه . ويمكن الجواب بأن المراد نفي التوريث من حيث النبوة ، وأما من حيث غيرها فالميراث منهم ، ويدل عليه ارث العلماء منهم فانه انما يتعلق من حيث النبوة ، حيث ان العلماء ورثة الانبياء في هذا الخبر ، فلماذا كرر عليه السلام ذلك أراد نفي ارادة توريث المال بل العلم - انتهى كلامه أعلى الله مقامه .
رأيته بعد ما كتبت مضمون ما تقدم في حاشية المعالم .

[الاضداد اللغوية]

ومن ذلك ما انتخبته مختصراً من كتاب الاضداد للصغاني :

(الالف)

الماتم : للنساء المجتمعات على الحزن وعلى الفرح .

الازر : القوة والضعف .

اسد : اذا جزع وجبن واذا جسر كالاسد .

افد : اذا اسرع واذا ابطأ .

الا : اذ جهد واذ قصر .

امر اصم : اذا كان صغيراً واذا كان كبيراً .

لا ام له : يكون مدحاً ويكون ذمماً .

الامة الواحد الصالح والجماعة .

الامين المؤتمن والمؤتمن .

امراة أيم : اذا كانت بكرأ لم تنزوج واذا مات عنها زوجها .

(الباء)

ابتر : اذا اعطى واذا منع .

البتير : القليل والكثير .

برح : اذا ظهر واذا استتر .

برد برد واسخن .

البسل الحلال والحرام .

البطانة : البطانة والظهارة .

بعد بمعنى بعد وبمعنى قبل .

بعض الشيء بعضه و كله .

البكر التى لم يدخل بها والتي دخل بها .

بلج بشهادته كتبها واظهرها .

البلهاء الناقص العقل والكاملة .

بان عاش واذا هلك .

بيضة البلد مثل فى المدح والذم .

بعث الشيء وابتعته اذا بعته واذا اشتريته .

البين الوصل والقطع .

(التاء)

التبييع التابع والمتبوع .

ترب كثر ماله وقل .

التلعة ما ارتفع وما انحدر من الارض .

(الجسيم)

- جبا طلع واستتر .
- جد: أعطى وسأل.
- الجعفر النهر الكبير والصغير .
- جفأت الباب واجفأته : اذا فتحته واذا أغلقته .
- الجلل الصغير والكبير .
- اجل ضعف وقوى .
- الجن: الجن والملائكة .
- الجون الابيض والاسود .

(الحاء)

- حرس الشيء حفظه وسرقه من المرعى .
- الحرف الناقة العظيمة والمهزولة .
- حسب شك وايقن .
- الاحمر الاحمر والابيض .
- الحميم الماء الحار والبارد .
- الاحوى الاخضر والاسود .

(الخاء)

- خبت النار: اذا سكنت واذا حميت .
- الخجل المرح والكسل .
- الاخضر الاخضر والاسود .
- الاخفاء الاظهار والكنمان .
- خلت بمعنى الشك وبمعنى اليقين .

(الدال)

دون بمعنى تحت وفوق .

(الراء)

الرجا والارتجا الخوف والطمع .

مرحبا بفلان اذا ارادوا قربه واذا لم يريدوا قربه .

ارديته اهلكته واعنته .

الرس الاصلاح والافساد .

الركوب الراكب والمركوب .

رتق اذا كدر واذا صفى .

اراح الرجل اذا مات واذا استراح .

(الزاي)

الزبية الحفرة والمكان المرتفع .

الزوج الزوج والقرود .

الزاهق السمين والمهزول .

زال المكروه اذا تنحى وزاله اذا نحاه .

(السين)

سيد شعره اذا حلقه واستأصله واذا اكثره وطوله .

الساجد المنحني والمنتصب .

المسجود: المملوء والفارغ .

سجرت البحار ملئت وفرغت .

الساحر المذموم المفسد والمحمود العالم .

السدفة الظلمة والضوء .

أسررت أظهرت وكتمت .

السابق القريب والبعيد .

السليم السالم والملدوغ .

الاسود الاسود والابيض .

سمته بعيرى اذا عرضته ليشتريه، وسمته بعيره اذا اردت اشتراها منه، وكذلك

استمته .

سوى الشيء نفسه وغيره .

(الشين)

المشب المسن والشاب .

الشجاع القوى والضعيف .

الاشراط الاشراف والاراذل .

الشرف الارتفاع والانحدار .

الشراء والاشترى الشرى والبيع .

الشعب الجمع والتفريق .

الشف الفضل والنقصان .

اشكيبته الجأته الى الشكاية وازلتها عنه .

الشمم القرب والبعد .

امرأة شوهاة حسنة وقبيحة وواسعة القم وصغيرته .

(الصاد)

تصدق اذا اعطى واذا سأل .

الصارخ المغيث والمستغيث .

الصريم الليل والصبح .

صرى اذا جمع واذا قطع واذا تقدم واذا تأخر واذا علا واذا سفل .

الصلاة مسجد المسلمين وكنيسة اليهود .

(الضاد)

الضد الخلاف والمثل .

ضعف الشيء مثله ومثلاه .

ضاع الشيء غاب وفقد وظهر وتبين .

(الطاء)

الطرب الحزن والفرح .

الطاعم الكاسى للفاعل والمفعول .

اطلبه اعطاه ماطلب والجأه الى الطلب .

طلع طلع وغاب .

طل دمه اذا بطل وطل فلان دمه اذا ابطله .

طمر اذا علا واذا سفل .

(الظاء)

المتظلم الظالم والمظلوم .

الظن اليقين والشك .

الظهري المعين والمطرح الذى لايلتفت اليه .

الظهارة الظهارة والبطانة .

(العين)

اعتذر اتى بعذر واذا لم يأت به .

عزرتة اكرمته ولمته .

عزرتة ادبته وعظمته .

العسيسة اقبال ظلمة الليل وادبارها .

العاصم العاصم والمعصوم .

عفاكثر ودرس .

اعقل الرجلين اذا كانا عاقلين ، واحدهما اكثر عقلا ، واذا كان احدهما

احمق .

اعند صاحبه عارضه بالخلاف والوفاق .

(الغين)

الغابر الماضي والباقي .

الغريم الطالب والمطلوب .

(الفاء)

المفجوع المفجوع والفاجع .

افرطته اذا قدمته واذا أخرته .

افرع وفرع اذا صعد واذا انحدر .

تفكه تلذذ وتندم .

فازنجا وهلك .

والمفاوزه المنجاة والمهلكة .

فوق اعلى ودون .

افاد مالا استفاده وافاد مالا اذا كسبه غيره .

(القاف)

القرء الحيض والطهر .

قرظ مدح وذم .

القريع الكريم والمرذول .

المقرن القوى والضعيف .

قزع اسرع وابطأ .

قسط جار وعدل .

القشيب الجديد والمخلق .

استقصيت الحديث اذا اختصرته واذا لم تدع منه شيئاً .

قعد اذا قعد واذا قام .

القانع الراضى بما قسم له والسائل .

القنوع الصعود والهبوط .

المقوى الكثير المال والذي لامال له .

(الكاف)

الكأس الاناء الذى يشرب فيه والماء المشروب .

الكرى المستأجر والمستأجر .

الطاعم الكاسى اذا كانا فاعلين واذا كانا مفعولين .

كل بمعنى كل وبمعنى بعض .

كان للماضى وللمستقبل .

(اللام)

اللحن الخطأ والصواب .

لطح اسمه اثبته ومحاه .

(الميم)

المسيح عيسى عليه السلام والدجال .

(النون)

نؤت بالحمل اذا نهضت به وناءبى الحمل ايضاً .

- النداء الضد والمثل .
- نسيت غفلت عن الشيء وتركته متعمداً .
- النقد الكبار من رذال الضأن والصغار منه .
- الناهل العطشان والريان .
- الناس من الانس ومن الجن .
- النائمة الميتة والحية .

(الواو)

- وثب قام وجلس .
- اودعته اعطيته مالا ودبعة وقبلت ودبعته .
- اوزعته اغربته ونهيته .
- الوصى الذى يوصى والذى يوصى اليه .
- المولى المنعم والمنعم عليه .
- الواقق المحب والمحب .

(الهاء)

- الهاجد والمتهجد المصلى والنائم .
- هجد نوم واسهر هوى اذا صعداً واذا نزل .

[الافعال التى هى بالواو والياء]

ومن ذلك ما احببت نقله فى هذا الكتاب وهو الافعال التى جاءت لاماتها بالواو والياء، وقد عقد لها ابن السكيت باباً فى اصلاح المنطق وابن قتيبة باباً

في ادب الكاتب ، ولا يخلو المنتسخ منه من سقم فينبغي مراجعة بعض ألفاظه
وقد نظمها ابن مالك فقال :

وكنوت احمد كنيته وكنيته	قل ان نسيت عزوته وعزيبته
شيشاً يقول قنوته وقنيته	وظفوت في معنى طفيت ومن قني
وحنوته عوجته كحنيته	ولحوت عودي قاشراً كلعينه
ورثوت خلا مات مثل رثيته	وقلوته بالنار مثل قليته
وشأوته كسبقتيه وشأيبته	واثوت مثل اثبت قلبه لمن وشي
وحلوته بالحلسي مثل حلينته	وصغوت مثل صغيت نحو محدثي
وطهوت لحمأ طابخأ كطهينته	وسخوت ناري موقداً كسخينتها
وخزوته كزجرته وخزيبته	وجبوت مال جهاتنا كجبينته
ومحوت خط الطرس مثل محينته	وزقوت مثل زقيت قلبه لظائر
وسحوت ذاك الطين مثل سحيتيه	أحثو لحنى الترب قل بهما معاً
ونقوت مخ عظامه كنقيتيه	وكذا طلوت طلي الطلي كطلينته
وكذا السقا مأوته ومأيبته	وهذوتم كهذيتم في قولكم
وحشوت عدلى ناقتى كحشيتيه	مالي نما ينمو وينمي زاد لسي
وفي الاختبار منوته كمنيتيه	وانوت مثل اتبت جثت فقلهما
فاعجب لبرد فضيله وشيتيه	ونحوته ونحيتيه كقصديته
واسوت جرحي والمريض اسينته	واسوت مثل اسيت صلحاً بينهم
واذوت مثل حلبته واذيبته	ياء وواو للحليب خشوره
من ذاك ابهى قبل بهوت بهيتيه	وبأوت ان تفخر بأيت وان تكن
وغطوته وغطيتيه غطيتيه	والسيف اجلوه واجليه معاً
وحكوت فعل المرء مثل حكيتيه	وجأوت برمتنا كذلك جأيتها

ونجوت مثل نجيت قل متفطناً
وخفاؤه وخفاته لطفاً به
وحزوت مثل حزيت حينك مسرعاً
ومعا اذا اعترض السحاب بروقه
ودنوت مثل دنيت قد حكيا معاً
واذا ما كل باب مالهم ذرا
وكذا اذا ذرت الرياح ترابها
واو ويا ذاحين يسرع غاية
ووطوتها ووطيتها جامعتهما
وربوت مثل ربيت فيهم ناشياً
وسأوت ثوبى قبل سأيت مددته
وكذا سنت تسنو وتسنى نوقنا
والضحو والضحي البروز لشمسنا
ظبو وظبى غيرته النار او
وطبوته عن رأيه وطبيته
والله يطحو الارض يطحها معاً
يطمو ويطمى الشيء عند علوه
عنواً وعنياً حين تثبت ارضنا
عجواً وعجياً ارضعت فى مهلة
عمواً وعمياً حين يسقف بيته
غفواً اذا ما نمت قل هو غفية
وعدوت للعدو الشديد عديت قل

ودأوته كخنتته ودأبته
وحبوته وحببته اعطيته
ودهوته بمصيبة ودهبته
ودحوت مثل بسطته ودحيتته
وكذاك يحكى فى شكوت شكبته
وذروت بالشىء الصبا وذربته
وذروت شيئاً قله مثل ذربته
وفتحت فى سحوته وسحيتته
واذا انتظرت بقوته وبقبته
وبغوت جرماً جاء مثل بغبته
وشروت اعنى الثوب مثل شربته
ونجا بنا ورعوته ورعبته
وعشوته المأكول مثل عشبته
شمس كذا بهما مصوت رويتته
وكذا طبوت صبيننا وطبيته
وطحسوته كدفعته وطحيتته
وفأوت رأس الشىء مثل فأبته
وكذا الكتاب عنوته وعنبته
وفلوته من قلمه وفليتته
وعطوته ألممته وغطبته
وقفوت جئت وراه وقفبته
بهما كروت النهر مثل كربتته

نضوا ونضياً جئته متسراً	والصوته كقذفته ولصيته
ومشوت ناقتنا كذلك مشيتها	وإذا قصدت نحوته ونجيته
ومقوت طستى قبل مقيت جلوته	وإذا طلبت عروته وعريته
ونأوت مثل نأيت حين بعدت عن	وطنى وعودى قبل بروت بريته
ونسوت مثل نسيت نشر حديثهم	وكذا الصبى غدوته وغذيته
لغو ولغى للكلام وهكذا	خفو وخفي قادر ما ابديته
عيني همت تهمو وتهمى دمعها	وحموته المأكول مثل حميته

[نبذة مستحبة من لباب الاداب]

ومن ذلك نبذة مختصرة مختارة من كتاب لباب الاداب للثعالبي وبضعها من كتاب سر الادب له ايضاً :

الجموح الذى يركب رأسه لا يثنيه شىء، وهذا من الجموح الذى يرد منه بالغيث . والجموح النشط السريع ، وذلك ممدوح .
المطية اسم جامع لكل ما يمتطى من الابل ، فاذا اختارها الرجل لمركبه على النجابة وتعام الخلق وحسن المنظر فهى راحلة ، وفى الحديث « الناس كأبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة » .

إذا سار القوم ليلاً ونزلوا نهاراً فهو الاساد ، فاذا ساروا نهاراً ونزلوا ليلاً فهو التأويب ، فاذا ساروا من اول الليل فهو الادلاج ، فاذا ساروا من آخر الليل فهو الادلاج بتشديد الدال ، فاذا ساروا مع الصبح فهو التغليس ، فاذا نزلوا للاستراحة فى نصف النهار فهو التغزير ، فاذا نزلوا فى نصف الليل فهو التعريس .
ترتيب احوال اللبن عن الائمة : اول اللبن اللبائم الصريف فاذا سكنت رغوته فهو الصريح ، فاذا خثر فهو الرائب ، فاذا أخذ اللسان فهو القارص ، فاذا مخض واستخرجت منه الزبدة فهو المخيض ، فاذا حلب بعضه على بعض من ألبان

شتى فهو الضريب .

الجموع التى لا واحد لها من بناء جمعها النسا الابل الخيل الفور وهو
الظباء الصور الحابس وهو جماع النخل المساوى المحاسن المقابح المقاليد
الابايل المذاكير المسام .

ثوب شف اذا كان رقيقاً يستشف منه ماوراه ، ثم سابرى اذا كان لابسه بين
المكشى والصريان ، ومنه قيل « عرض سابرى » ، ثم لهله اذا كان نهاية فى رقة
النسج .

الدرع مذكر للنساء خاصة ، فأما درع الحديد فمؤنثة .
القى الارض القفر .

المرمر حجر الرخام . الصيداء حجر ابيض يتخذ منه البرام .
من سنن العرب ان تقول رأيت زيداً وعمراً وسلمت عليه اى عليهما ، قال الله
عز ذكره « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله »^(١) تقدير
الكلام ولا ينفقونها - انتهى .

اقول : يمكن ارجاع الضمير الى الكنوز المفهوم من يكنزون نحو قوله
تعالى « اعدلوا هو اقرب »^(٢) .

قال وكما قال الله تعالى « واذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها »^(٣) وتقديره
اليهما - انتهى .

اقول : يمكن ارجاع الضمير الى الرؤبة كالسابق بتقدير مضاف ، نحو
« اسأل القرية »^(٤) .

(١) سورة التوبة : ٣٤ .

(٢) سورة المائدة : ٨ .

(٣) سورة الجمعة : ١١ .

(٤) سورة يوسف : ٨٢ .

من سنن العرب اذا ذكرت شئين من اثنين ان تجريهما مجرى الجمع نحو الحسين عليهما السلام ، وكما قال عز ذكره « ان تنوبا الى الله فقد صغت قلوبكما »^(١) ولم يقل قلبا كما ، وكما قال « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما »^(٢) ولم يقل يديهما اقامة الواحد مقام الجمع .

من سنن العرب تقول قررنا به عيناً اي أعيناً ، وفي القرآن « فان طبن لكم عن شيء منه نفساً »^(٣) اي انفساً « ثم يخرجكم طفلاً »^(٤) اي اطفالاً « وكم من ملك في السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً »^(٥) اي كم من ملائكة « فانهم عدولي »^(٦) و « هؤلاء ضيفى »^(٧) ولم يقل اعدائي ولا اضيافى « لانفرق بين احد منهم »^(٨) والتفريق لا يكون الا بين اثنين ، والتقدير لانفرق بينهم « يا ايها النبي اذا طلقتم النساء »^(٩) و « ان كنتم جنباً فاطهروا »^(١٠) « والملائكة بعد ذلك ظهير »^(١١) ، ويقولون للرجل العظيم والملك الكبير انظروا في امرى لان السادة والملوك يقولون نحن فعلنا وانا امرنا ، فعلى قضية هذا الابتداء يخاطبون في الجواب كما قال تعالى عن حضره الموت « رب ارجعون »^(١٢) يراد بالجمع الواحد .

- (١) سورة التحريم : ٤ .
- (٢) سورة المائدة : ٣٨ .
- (٣) سورة النساء : ٤ .
- (٤) سورة غافر : ٦٨ .
- (٥) سورة النجم : ٢٦ .
- (٦) سورة الشعراء : ٧٧ .
- (٧) سورة الحجر : ٦٨ .
- (٨) سورة البقرة : ١٣٦ .
- (٩) سورة الطلاق : ١ .
- (١٠) سورة المائدة : ٦ .
- (١١) سورة التحريم : ٤ .
- (١٢) سورة المؤمنون : ٩٩ .

من سنن العرب الاتيان بذلك ، كما قال عز ذكره « ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله »^(١) وانما اراد المسجد الحرام « واذقنتم نفساً »^(٢) والقاتل واحد، تقول العرب سر كاتم اي مكتوم، مكان عامر اي معمور، وفي القرآن « لاعاصم اليوم »^(٣) اي لامعصوم « خلق من ماء دافق »^(٤) اي مدفوق « عيشة راضية »^(٥) اي مرضية « حرماً آمناً »^(٦) اي مأموناً فيه عكسه « كان وعده مأتياً »^(٧) اي آتياً « حججاً مستوراً »^(٨) اي ساتراً، اجراء الاثني مجرى الجمع « هذان خصمان اختصموا »^(٩).
من سنن العرب تذكير المؤنث وتأنيث المذكر « وقال نسوة »^(١٠) « وقالت الاعراب »^(١١) حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر .
من سنن العرب كما يقولون ثلاثة أنفس على معنى الشخص أو الانسان، وقال

عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة :

فكان مجنى دون من كنت اتقى ثلاث شخوص كأعبان ومعصر
فحمل على انهن نساء ، وقال الاعشى :

شرايهم قبل تنقادها انت الشراب

-
- (١) سورة التوبة : ١٧ .
 - (٢) سورة البقرة : ٧٢ .
 - (٣) سورة هود : ٤٣ .
 - (٤) سورة الطارق : ٦ .
 - (٥) سورة الحاقة : ٢١ .
 - (٦) سورة القصص : ٥٧ .
 - (٧) سورة مريم : ٦١ .
 - (٨) سورة الاسراء : ٤٥ .
 - (٩) سورة الحجج : ١٩ .
 - (١٠) سورة يوسف : ٣٠ .
 - (١١) سورة الحجرات : ٤٠ .

لكونه في معنى الخمر ، كما ذكر الكف وهي مؤنثة في قوله :
أرى رجلا منهم اسف كأنما يضم الى كسحيه كفاً مخضبا
فحمل الكلام على العضو ، وقال تعالى « وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً »^{١)}
وهو مذكر ثم قال « اذا رأتهم من مكان بعيد »^{٢)} فحمله على النار « فأحيينا به
بلدة ميتاً »^{٣)} حملاً على المكان « والسماء منفطر به »^{٤)} حملاً على السقف .
العرب تزيد وتحذف حفظاً للتوازن كما قال تعالى « وتظنون بالله الظنوناً »^{٥)}
« فأضلونا السبيلاً »^{٦)} « والليل اذ يسر »^{٧)} « الكبير المتعال »^{٨)} « ويوم التلاق »^{٩)}
« ويوم التناد »^{١٠)} قال لبيد :

وبأذن الله دبى وعجل

وقال الاعشى :

اذا ما ذهبت له انكرن

العرب تقول ما فعلتما يا فلان ، وفي القرآن « من ربكم سا يا موسى »^{١١)} « ولا
يخرجنكما من الجنة فتشقى »^{١٢)} .

-
- ١) سورة الفرقان : ١١ .
 - ٢) سورة الفرقان : ١٢ .
 - ٣) سورة ق : ١١ .
 - ٤) سورة المزمل : ١٨ .
 - ٥) سورة الاحزاب : ١٠ .
 - ٦) سورة الاحزاب : ٦٧ .
 - ٧) سورة الفجر : ٤ .
 - ٨) سورة الرعد : ٩ .
 - ٩) سورة غافر : ١٥ .
 - ١٠) سورة غافر : ٣٢ .
 - ١١) سورة طه : ٤٩ .
 - ١٢) سورة طه : ١١٧ .

من سنن العرب اضافة الشيء الى صفته ، تقول صلاة الاولى ومسجد الجامع
وكتاب الكامل وحماد عجرد وعنقاء مغرب ويوم الجمعة ، وفي القرآن « ولدار
الآخرة خير »^(١) « ان هذا لهو حق اليقين »^(٢).

من سنن العرب الغاء جواب لو اكتفاء بما يدل عليه الكلام ، قال الشاعر :
وجدك لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجدك مدفعا
اي لو اتانا رسول سواك لدفعناه ، وفي القرآن « لو أن لي بكم قوة او آوى
الى ركن شديد »^(٣) اي لكنت اكشف اذاكم عنى « ولو أن قرآنا سبرت به
الجبال »^(٤) الآية ، أي لكان هذا القرآن .

السبيل يذكر ويؤنث ، وقد وقع فى القرآن ، وكذا الطاغوت « يتخذوه
سبيلا »^(٥) « هذه سبيلي »^(٦) « يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن
يكفروا به »^(٧) « والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها »^(٨).

الذى يقع على الواحد والجمع الفلك وجنب العدو والضيف ، قال تعالى
« الفلك المشحون »^(٩) و « الفلك التى تجرى »^(١٠) « فانهم عدولى »^(١١) « فان كان من

(١) سورة يوسف : ١٠٩ .

(٢) سورة الواقعة : ٩٥ .

(٣) سورة هود : ٨٠ .

(٤) سورة الرعد : ٣١ .

(٥) سورة الاعراف : ١٤٣ .

(٦) سورة يوسف : ١٠٨ .

(٧) سورة النساء : ٦٠ .

(٨) سورة الزمر : ٧٠ .

(٩) سورة الشعراء : ١١٩ .

(١٠) سورة البقرة : ١٦٤ .

(١١) سورة الشعراء : ٧٧ .

قوم عدولكم»^(١) «هؤلاء ضيفى»^(٢).

الاخبار عن الجماعتين بلفظ الاثنين كقوله تعالى «ان السماوات والارض
كانتا رتقاً ففتقناهما»^(٣).

اللازم بالالف والمتعدي بغير الف التعدية : أفشع الغيم وقشعته الريح ،
انزفت البثر ذهب ماؤها ونزفناها نحن ، أنسل ريش الطائر ونسلته ، اكب على
وجهه وكببته انا. وفي القرآن «أفمن يمشي مكباً على وجهه»^(٤) «فكتب وجوهم
في النار»^(٥).

قال ابو عبيدة : لامن حروف الزوائد لتتمة الكلام ، والمعنى الغاؤها كما
قال عز ذكره «غير المغضوب عليهم ولا الضالين»^(٦) وكما قال زهير :
مورث المجد لا يفتال همته عن الرئاسة لاعجز ولا سأم
اي عجز وسأم ، وفي القرآن «ما منعك ألا تسجد»^(٧).

الباء تكون بمعنى حيث ، كقولهم أنت بالمجرب اي حيث التجريب ، وفي
كتاب الله عز ذكره «ولا تحسبنهم بمفازة من العذاب»^(٨) اي حيث يفوزون .

(١) سورة النساء : ٩٢ .

(٢) سورة الحجر : ٦٨ .

(٣) سورة الانبياء : ٣٠ .

(٤) سورة الملك : ٢٢ .

(٥) سورة النمل : ١٩ .

(٦) سورة الفاتحة : ٧ .

(٧) سورة الاعراف : ١٢ .

(٨) سورة آل عمران : ١٨٨ .

اللام تكون بمعنى عند ، كقوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس »^(١) ،
وبمعنى بعد كقوله عليه الصلاة والسلام « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » ،
وبمعنى الوقت كقوله « لثلاث خلون » ، وبمعنى الجزاء كقوله تعالى « ليغفر لك الله
ما تقدم »^(٢) .

الواو قد تكون بمعنى اذ كقوله تعالى « وطائفة قد أهمتهم انفسهم »^(٣) يريد
اذ طائفة كما تقول جئت وزيد راكب ، قال الجاحظ في قوله عز وجل « ان الله
لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »^(٤) يريد فما دونها ، وهو كقول القائل
فلان أسفل الناس فنقول وفوق ذلك تضع قولك فوق مكان قولهم هو شر من
ذلك ، وقال الفراء فما فوقها في الصخر . والله اعلم .

قضى بمعنى حتم كقوله تعالى « فلما قضينا عليه الموت »^(٥) وبمعنى أمر
« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه »^(٦) وبمعنى صنع « فاقض ما أنت قاض »^(٧) وبمعنى
حكم يقال للحاكم قاض ، وبمعنى اعلم كقوله تعالى « وقضينا الى بنى اسرائيل
في الكتاب »^(٨) ويقال للميت قضى اذا فرغ من الحياة ، وقضاء الحاجة معروف ،
ومنه قوله تعالى « حاجة في نفس يعقوب قضاها »^(٩)

(١) سورة الاسراء : ٧٨ .

(٢) سورة القنح : ٢ .

(٣) سورة آل عمران : ١٥٤ .

(٤) سورة البقرة : ٢٦ .

(٥) سورة سبأ : ١٤ .

(٦) سورة الاسراء : ٢٣ .

(٧) سورة طه : ٧٢ .

(٨) سورة الاسراء : ٤ .

(٩) سورة يوسف : ٦٨ .

كلمة واحدة من الأفعال تختلف معانيها باختلاف مصادرها ، وليس للعرب مثلها هي قولهم وجد كلمة مبهمة ، فاذا صرفت قبل في ضد العدم وجوداً وفي المال وجداً ، وفي الغضب موجدة ، وفي الضالة وجداناً ، وفي الحزن وجداً. من سنن العرب اشتقاق نعت الشيء من اسمه كقولهم يوم أيوم وليل أليل وروض أريض وأسد أسيد وصلب صلب وصدوق صدوق وظل ظليل وحر حرير وكن كنين وداء دوي .

ومن سنن العرب أن تجرى الموات ومالا يعقل في بعض الكلام مجرى بنى آدم ، فتقول أرضون، وربما يتعدى هذا الى أكثر منه كما قال النابغة الجعدي:
تمزنتها والديك يدعو صياحه وأما بنونعش دنوا فتصوبوا
وقال عز وجل « وكل في فلك يسبحون »^(١) و « الشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »^(٢) « يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم »^(٣) « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون »^(٤)
وقول عبدة بن الطبيب :

اذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته لى الصياح وهم قوم معاذيل
فجعل الديك اسرة وسماهم قوماً .

لم يأت بلفظ الريح في القرآن الا في الشر والرياح الا في الخير ، ولم يأت لفظ الامطار في القرآن الا للعذاب في الايتين يعبر عنهما بهما مرة وبأحدهما مرة ، قال الفراء رأيت بعيني ورأيت بعيني واللواء فى يدي وفى يدي ، فكل اثنين لا يكاد احدهما ينفرد فعلى هذا المثال كاليدين والرجلين ، قال الفرزدق:

(١) سورة الانبياء : ٣٣ .

(٢) سورة يوسف : ٤ .

(٣) سورة النمل : ١٨ .

(٤) سورة الانبياء : ٦٥ .

ولو بخلت بداي بها وضنت لكان علي للقدر الخيار
فقال وضنت بعد قوله بداي ، وقال آخر :
و كأن في العينين حب قرنفل او سنبلأ كحلت به فانهلت
فقال كحلت بعد قوله في العينين . وقال به يعنى القرنفل والسنبل ،
وقال الاخر :

اذا ذكرت عيني الزمان الذى مضى بصحراء بلسخ ظلتنا تكفان
ويقال وقعت عينه عليه أي عيناه ، وفلان حسن الحاجب اي الحاجبين ،
واخذه بيده وقام على رجله أي يديه ورجليه ، قال صلى الله عليه وآله « اتقوا
الملاعن » أي لاتحدثوا فى الشوارع فتلعنوا - انتهى ما نقل من لباب الاداب
وبعضه من كتاب سر الادب .

[حل بيت من الشعر]

ومن ذلك ما ذكره السيد الاجل المرتضى رضى الله عنه فى كتاب المجالس
فى تأويل قوله تعالى « فما بكث عليهم السماء والارض »^(١) ان قول الشاعر :
قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور
من قبيل هذا ، وقبيل « اسأل القرية »^(٢) وانه اراد غنى رب غفور .
اقول : ان الذى يظهر من معنى البيت ان هذا الشخص عيبه يرى قليلا
مع أن عيبه كثير ، ووجه كونه يرى قليلا أن صاحبه غني والغنى صاحب ساتر
للعيوب كما يقال الكرم يغطى كل عيب .

وهذا واقع كثيراً نظماً ونثراً ، وهو ما يتضمن خفاء العيب وستره اذا كان

(١) سورة الدخان : ٢٩ .

(٢) سورة يوسف : ٨٢ .

صاحبه غنياً وظهوره وزيادته اذا كان فقيراً ، بل ربما أثبت للفقير عيب وهو ليس
بعيب فى الواقع كما قال بعضهم :

ان شرط الموسر فى مجلس قالوا له يرحمك الله
أو عطس المعسر فى مجلس سبوا وقالوا فيه ما سا هوا
فمضطر المعسر عرينه ومعطس الموسر مفساه
والسيد قدس الله روحه ان اراد بالرب الغفور الله سبحانه كما هو الظاهر
فلا مناسبة له بما قبله ، وان اراد غيره كان أبعد ، وهذا عجيب من مثل السيد
الجليل قدس سره ، وان اراد غير ما ذكر فهو غير ظاهر ، وال فى العيب عوض
عن المضاف اليه .

وفى قول الشاعر « رب غفور » لطيفة ، وهى ان الغنى غالباً خصوصاً اذا
كان ذا عيوب يكون كالعابد للمال وهو كالمعبود له ، فناسبه التعبير بالرب دون
غيره من مثل خل ونحوه .

قيل ان السيد رحمه الله حملة على المدح ، يقول قليل عيب الممدوح مع
كثرة العيب فى الناس ولكن الغنى عما يجز العائب هو غنى رب غفور .
ومذا وجه فى الجملة لكن الاول هو الظاهر مع مناسبة ذكر غفور له ، وما
قبل البيت من القصيدة يدل على الهجاء ، قيل اولها :

رأيت الناس شرهم الفقير
و أبعدهم وأهونهم عليهم وان امسى له حسب خطير
يباعده السدي وتزدرية حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل عيبه البيت

[تعيين موضع الكعب في القدم]

ومن ذلك عبارة لجدي المبرور في شرح اللمعة ظاهرها مشكل كغيرها من مشكلاته ، وهي قوله في مبحث الوضوء : ثم مسح بشرة ظهر الرجل اليمنى من رؤوس الاصابع الى الكعبين وهما قبتا القدمين وقيل الى اصل الساق - انتهى .

اقول : يمكن ان يقال : ان المناسب ان يقول الى الكعب وهو قبة القدم لانه وقع بعد ذكر الرجل اليمنى لابعـد ذكر الرجلين ، ويمكن الجواب بأن مثل هذه العبارة وقع في حديث ابن ابي نصر عن الرضا عليه السلام قال : سألته عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع كفه على الاصابع فمسحها الى الكعبين الى ظهر القدم .

وفي حديث زرارة قلنا له : أصلحك الله فأين الكعبان ؟ قال : ههنا - يعني المفصل دون عظم الساق . قلنا : هذا ما هو ؟ قال : هذا عظم الساق .

وفي بعض الاخبار ذكر الكعب مفرداً وكذا في عبارات الاصحاب، وظاهر الحديثين ان الرجل الواحدة لها كعبان، وقد حقق بعض علماؤنا رحمهم الله^(١) للكعب أربعة معان تدل عليها الاحاديث وكلام اهل اللغة: احدها قبة القدم امام الساق، والثاني أحد الناتئين عن يمين القدم وشماله ، والثالث نفس المفصل ، والرابع العظم الناتئ في القدم الداخل طرفاه في حفرتي عظم الساق وكثيراً ما يعبر عنه بالمفصل.

اذا تقرر هذا فيمكن أن يكون المراد بالكعبين اثنين من الثلاثة المذكورة وكأنه لما ذكرناه عبر بعض علمائنا رحمهم الله بما ظاهره كون الكعبين في الرجل الواحدة وعبر بعضهم بالكعب نظراً الى ما في بعض الاخبار .

(١) الشيخ بهاء الدين رحمه الله في شرح الاربعين وغيره « منه » .

قال المرتضى رضى الله عنه الكعبان هما العظمان الناتثان فى ظهر القدم ،
وقال ابن ابي عقيل رحمه الله الكعبان ظهر القدم ، وفى المعبر الكعبان هما العظمان
الناتثان وسط القدم وهما معقد الشرك ، ومثله فى الارشاد وغيره . واحتمال ارادة
التعدد من القدم كاحتمال ارادة التعدد من الكعب .

والحاصل ان الذى يظهر مما ذكر ان الكعبين فى كبل رجل وان الكعب
الواحد ايضاً كذلك .

وبهذا يمكن الجواب عما أورده صاحب الكشاف من انه لو أريد المسح
لقيل الى الكعب أو الكعب ، لان الكعب اذ ذاك مفصل القدم وهو واحد فى
كل رجل ، فان أريد كل واحد فالافراد والا فالجمع ، ونحوه كلام النيسابورى
على ما حكى عنهما .

وقد اجيب بناء على اتحاد الكعب بأن التثنية باعتبار كل رجل لا باعتبار كل
رجل ، وأما على التعدد المذكور فيجاب به بمعنى ان التعدد مستفاد من اخبارنا .
وقد ذكر بعض علماء التشريح ان الكعب عظم السى الاستدارة واقع فى
ملتقى الساق والقدم له زائدتان ناتثتان فى اعلاه أنسية ووحشية يدخل كل منهما
فى حفرة من حفرتى قصبتي الساق وزائدتان فى اسفله تدخلان فى حفرتى العقب
- الى آخر ما ذكروه . فيمكن أن يكون المراد بالكعبين الزائدتان ولو مجازاً .

وقول جدى طاب ثراه « وهما قبتا القدمين » يحتمل أن يكون المراد به
انهما قبتا كل قدم أو انها قبتان لهما ، والمعنى ان الكعبين هما القبتان للقدمين اللتان
ينتهى المسح اليهما فى كل منهما ، وهذا لا ينافى ذكرهما بعد قدم واحدة ، فانه
مذكور لافادة انها منتهى المسح فى القدمين لاصل الساق بناء على القول الاخر بأن
المنتهى اصل الساق . ومعنى مسح ظهر اليسرى كذلك أي من رؤوس الاصابع
الى الكعبين .

فان قلت : يمكن ان يكون المراد فى حديث ابن ابي نصر بوضع الكف

وضعها على كل واحدة من الرجلين وانه مسح كل واحدة الى الكعب ومجموع ذلك وقع الى الكعبين .

قلت : ظاهره مع مقام التعليم وضمير مسحها لا يلائم ذلك مع التكلف الظاهر فيه ، ونحوه ما في الحديث الاخر من قوله عليه السلام « ههنا » ، فانه يحتمل الاشارة الى كعبي الرجلين لا الى الواحد . وهذا ايضاً خلاف الظاهر وان كان احتمالاً أقرب من الاول في الجملة . والله تعالى اعلم .

[مسألة كون الدية اخماساً]

ومن ذلك عبارة اخرى في شرح اللمعة توهم انها غير مستقيمة في بادىء الرأي ، وهى قوله : وقول المصنف رحمه الله في كتاب الديات (وعن ابي جعفر عن علي عليه السلام في ستة غلمان بالفرات ففرق) منهم (واحد) وبقي خمسة (فشهد اثنان) منهم (على ثلاثة) انهم غرقوه (وبالعكس) شهد الثلاثة على الاثنين انهم غرقوه فحكم عليه السلام (ان الدية اخماس) على كل واحد منهم خمس (بنسبة الشهادة) انتهى .

اقول : في الرواية « فشهد اثنان على الثلاثة انهم غرقوه وشهد الثلاثة على الاثنين انهم غرقوه ففضى بالدية ثلاثة اخماس على الاثنين وخمسين على الثلاثة » وهذه عبارة الرواية في الشرائع وكلامه هنا ظاهره لا ينطبق على ذلك ، وهو قوله على كل واحد منهم خمس .

وقد كنت أتعجب من ذلك واعلم أن مثل هذا ليس محل الاشتباه على مثله حتى ظهر لي وجهه ، وهو انه لما قال المصنف اخماساً بنسبة الشهادة وكان في هذه العبارة اجمال في الجملة فسر به بأن على كل واحد خمساً بتلك النسبة لان كل واحد من الخمسة يلحقه سهم من الدية فهو خمس ، ولما كانت الاخماس

هنا غير متساوية قال خمس بنسبة الشهادة ، فانه يثبت بكل شهادة خمس على من شهد عليه ، فشهادة الاثنين على الثلاثة يثبت خمسان وبشهادة الثلاثة على الاثنين يثبت ثلاثة اخماس .

ولا شبهة في كون ما ذكر لا يثبت على الشاهد بل انما يثبت على المشهود عليه ، فيلزم كل واحد سهم بنسبة الشهادة . والتعبير عن السهم بالخمس لمناسبة ما ذكر من أن الشيء اذا قسم خمسة أقسام متفاوتة يصح أن يقال كل واحد خمس ولو مجازاً مع القرينة وهي كونه خمساً بنسبة الشهادة لاعتبار الاخماس المتساوية .

وقد وقع التعبير بمثل ذلك كما في قول القاضى البيضاوى فى عدد حروف اوائل السور النصف الاكثر وقولهم قطعه نصفين ونحو ذلك ، وحاصله صحة الاطلاق ولو مع القرينة وهي ما ذكر .

وهذه من جملة العبارات التى نبهنا على مثلها فى حاشية الشرح من ايهامها خلاف المقصود مع صحتها بعد اعمال الفكر ، فلا يرد ما أورد عليها .

[حل عبارة من شرح اللمعة]

ومن ذلك عبارة فى كتاب الاطعمة من شرح اللمعة تاهت فى حلها الافكار واعتمدوا على انها غير مستقيمة ، وهي مما توهموه سليمة مع ان الاشكال فيها سهل ناش عن صورة تركيبها على غير وجهه ، وهي انه لما قال المصنف رحمه الله « ويكره لبن المكروه لحمه كالاتن » ، قال الشارح طاب ثراه بضم الهمزة والتاء وبسكونها جميع اتان بالفتح الحمار ذكراً أو انثى ولا يقال فى الانثى أتانة .

أقول : ان الاشتباه فيها يحصل من قراءة ذكرأ منصوباً وعطف انثى عليه

بالواو ، فتكون حسالا من الحمارة ، وقد وقعت تفسيرا للاتان التي هي انثى
الحمار ، والصواب ان يكون العطف بأولا بالواو وذكر خبر مبتدأ محذوف أي
وهذا أو وهذه ذكر أو انثى بترك التاء واثباتها، فالحمار له مؤنث بالتاء والمذكر
بعدها بخلاف الاتان فانه ليس كذلك بل هو مؤنث بترك التاء . فحاصلها : ان
الاتان الحمارة المؤنثة والحمارة مذكرها بترك التاء ومؤنثها بها ، ولا يقال في
الانثى اتانة كما يقال فيها حمارة ، ولا ينافيه ما قيل ان الاتانة قليلة .
فالعبرة موجزة مفيدة لما ذكر على أحسن وجه وأبلغه ولا قصور فيها ،
وفيهما من اللطافة ما يوهم الجمع بين متنافيين كما تكرر نحوه في الكتاب ونهت
عليه في مواضعه في حاشية الشرح .

[شرح دعاء الوضوء]

ومن ذلك ما في دعاء الوضوء «اللهم بيض وجهي يوم تسود فيه الوجوه ولا
تسود وجهي يوم تبيض فيه الوجوه» .
أقول: في النسخ المعتبرة لفظ « فيه » غير موجود والصحيح تركه . ووجهه
ان يوما ونحوه من الظروف المتصرفه اذا كان ظرفاً كانت في فيه مقدره، والظرف
مضاف الى الجملة، فيكون تقديره اللهم بيض وجهي في يوم سواد الوجوه ولا
تسود وجهي في يوم بياض الوجوه ، وحينئذ لا يحتاج الى ان يقال يوم بياض
الوجوه فيه ، ونحوه قوله تعالى « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه»^(١) « يوم يعرض
الظالم على يديه»^(٢) « يوم يكشف عن ساق»^(٣) وهو كثير .

(١) سورة آل عمران : ١٠٦ .

(٢) سورة الفرقان : ٢٧ .

(٣) سورة القلم : ٤٢ .

فان قلت : ماوجه الاتيان بلفظ فيه فى قوله تعالى « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله »^(١) .

قلت : يوماً هنا مفعول به ولا مفعول فيه ، وقد وقعت جملة « ترجعون » صفة ليوماً ، والمفعول به ليست فى فيه مقدرة ، فاحتيج فيه الى ذكر فيه ليبدل على كونه ظرفاً للرجوع وليكون الضمير رابطاً للصفة بالموصوف .
والحاصل ان يوماً من المتصرفه التى تقع ظرفاً وغير ظرف ، وهى فى مثل الاول ظرف وفى مثل الثانى غير ظرف .

[اخبار الوافدت على معاوية]

ومن ذلك ما احببت نقله فى هذا الكتاب من اخبار النساء الوافدات على معاوية فى ايام استقلاله بالملك .

روى ابو مخنف بأسانيد عن ابى عبدالله محمد بن زكريا بن دينار البصرى عن ابى الحجاج يوسف بن خليل الله الدمشقى ، قال اخبرنا ابو العز احمد بن عبدالله ابن كاوش العكبرى فى سنة عشرين وخمس مائة ، قال حدثنى ابو الحسين محمد بن اسماعيل بن شمعون الواعظ فى الجامع الكبير بدمشق الشام ، عن ابى بكر عبدالله ابن سليمان ، عن الزهرى قال : بينا معاوية يسمر مع عمرو بن العاص ومروان وسعد وعتبة والوليد وقد ذكروا الزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية ، وهى امرأة من اهل الكوفة شهدت مع قومها صفيين فقال معاوية : ايكم يحفظ كلامها فقال بعضهم : نحن نحفظه . فقال معاوية : لقد كلمتنى بقولها فما تشيرون على فى امرها ؟ فقال بعضهم : القتل . فقال : بئس الرأي اشرتتم أيحسن بمثلى ان يحدث عنه انه قتل امرأة بعد أن ظفر بها .

(١) سورة البقرة : ٢٨١ .

وكذب الى عامله أن اوفد علي الزرقاء بنت عدي مع ثقة من محرما وعدة من فرسان قومها وامهدلها وطاء لينا واسترها بستر خفيف وأوسع عليها في النفقة فلما وصل الكتاب الى عامله ارسل اليها واقرأها الكتاب فقالت : ان كان معاوية جعل الخيار الي لم آتته وان كان حتم الامر فالطاعة أولى ، فحملها في هودج خز أدكن مبطن بياض . قال : فلما دخلت على معاوية قال : مرحباً ورحباً قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ؟ قالت: بخير يا معاوية ادام الله لك النعمة . قال: كيف كنت في مسيرك ؟ قالت: كأني كنت ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً . قال معاوية بذلك امرناهم ، أتدرين فيم بعثت اليك ؟ قالت : وهل يعلم الغيب الا الله . قال بعثت لا سألك ألسنت الراكبة الجمل الاحمر الواقعة بين الصفين يوم صفين-ن تحضين على القتال وتوقدين نار الحرب ، فما حملك على ذلك ؟ قالت: يا معاوية انه قد مات الرأس ونبز الذنب ولن يعود مذهب والدهر ذو عجب لا يعتب من عتب ومن تفكر ابصر والامر يحدث بعد الامر . فقال معاوية : لله أنت فهل تحفظين كلامك يوم صفين . قالت: والله ما احفظه . قال: ولكني والله احفظه ، لله ابوك يوم تقومين خطيبة تقولين : يا أيها الناس ادعوا وارجعوا ، انكم قد اصبحتم في فتنه غشيتكم فيها جلابيب الظلم وحادت بكم عن قصد المحجة ، فيالها فتنه عمياء صماء لا تسمع لداعيها ولا تنساق لقائدها ، ايها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان الكواكب لا تبيسن مع القمر والبغل لا يساوي الفرس والدر لا يوازن بالحجير ولا يقطع الحديد الا الحديد ، ألا ان من استرشد أرشدناه ومن سأل اجبناه ، وان الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يا معشر المهاجرين والانصار على المضض فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة العدل ودفع الحق باطله ، فلا يعجلن احد فيقول كيف واني ليقضى الله امرأ كان مفعولا ، ألا ان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده والصبر

خير في الامور عواقباً ، ايه الى الحرب قدماً غير ناكصين رحمكم الله . الية يازرقاء
لقد شاركت علياً في كل دم سفكه .

قالت : أحسن الله بشارتك يا معاوية وادام سلامتك ، فمثلك من بشر بخير
وسر جليسه . فقال لها معاوية : وقد سرك ذلك ؟ قالت : أي والله لقد سررت
بالخبر ، فأنى بتصديق الفعل .

فضحك معاوية وقال لها: والله لوفاءؤكم لعلي بعد موته أعجب من حبكم
له في حياته ، لقد جبلت محبته في طينتكم . والتفت الى الحاضرين وقال :
هكذا يكون الوفاء الصادر عن اخلاص المودة، جزاك الله عن علي خيراً أذكرى
حاجتك. قالت: يا معاوية انى آليت على نفسى ان لا اسأل امراً أعنت عليه أبداً،
ومثلك من اعطى من غير مسألة وجاد من غير طلب . قال : صدقت وامر لها
وللذين كانوا معها بجوائز وأوردها الى الكوفة .

(ومن الوافدات عكرشة بنت رواحة بن الاطش)

وبالاسناد السابق عن عكرمة قال : دخلت عكرشة بنت رواحة على معاوية
ويدها عكاز في أسفله زج مسفى ، فسلمت عليه بالخلافة فقال لها معاوية : يا
عكرشة الان صرت امير المؤمنين . قالت : نعم اذلا على بن ابي طالب حي .
قال : ألسنت صاحبة الكور المسدول والوسط المجدول والمتقلدة بحمائل
السيف تجولين بين الصفيين يوم صفيين تقولين : يا ايها الناس عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، ان الجنة دار لا يرحد من قطنها ولا يخزى من
سكنها ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تصرم همومها
و كونوا قوماً مستبصرين ، ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب لا
يفهمون الايمان ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم الى
الباطل فلبوه، الله الله عباد الله في دين الله، فاياكم والنكول فان في ذلك نقض عرى

الاسلام واطفاء نورالحق واطهار الباطل وذهاب السنة المحمدية ، هذه والله بدر الصغرى والعقبة الاخرى ، يامعاشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم واصبروا على غريزتكم فكأنى بكم غداً قد لقيتم اهل الشام جميراً نهاقاً وبغلاً سجاجة تصقع صقع البقر ولا تروث روث العناق .

فكأنى اراك على عكازك هذه قد انكفأ اليك العسكر أن يقولون هذه عكرشة بنت رواحة، فان كدت لتفتنى على اهل الشام لولا ما أحب الله عزوجل أن يجعل لنا هذا الامر، فمحملك على ذلك؟ قالت: يامعاوية يقول الله عزوجل «لاتسألوا عن اشياء ان تبدلكنم تسؤلكن»^(١) ان اللبيب اذا كره امرألم يحب اعادته. قال معاوية: صدقت اذ كرى حاجتك .

قالت: يا امير المؤمنين ان الله قد جعل حقنا فينا ورد صدقاتنا علينا واموالنا الينا ، وانا قد فقدنا ذلك فما ينعش لنا فقير ولا يجبر لنا كسير، فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة، وان كان ذلك عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة ولا استعمل الظالمين .

فقال معاوية : يساهذه تنوبنا أمور ونوائب هي اولى بنا منكم فمن بحور تنبثق وتغور تنفتق . قالت : ياسبحان الله والله ما فرض الله لنا حقاً جعل فيه ضرراً على غيرنا، ولو علم الله أن فيما جعل لنا ضرراً على غيرنا ما جعله لنا وهو علام الغيوب .

فقال معاوية : يا اهل العراق فقهكم علي بن ابي طالب فلن تطاقوا ، ثم امر لها برد صدقاتهم وانصافهم وردها مكرمة .

(ومن الوافدات ام لبد بنت صفوان الهلالية)

وبالاسناد المذكور سابقاً عن سهل التميمي عن جعدة بن هبيرة المخزومي

(١) سورة المائدة : ١٠١ .

قال : استأذنت ام لبد الهلالية على معاوية ، فاذن لها فدخلت في ثلاث دروع تسحبها درع كانت على رأسها كوراء كهيئة المنسف ، فسلمت وجلست ، فقال لها معاوية : كيف أنت يا بنت صفوان؟ فقالت : بخير يا معاوية . قال : وكيف حالك ؟ قالت : ضعفت بعد جلد و كسلت بعد نشاط . قال : شتان بينك اليوم و حيث تقولين مشجعة لاختيك :

يا عمرو دونك صارماً ذارونق	غضب المهزة ليس بالخوار
اسرج جوادك مسرعاً ومشمرأ	للحرب غير مـولى بفرار
أجب الامام وذب تحت لوائه	واقر العدو بصارم بتار
يا ليتنى أصبحت لست بعورة	فأذب عنه عساكر الفجار

قالت : قد كان ذلك يا معاوية ومثلك من عفا والله عزوجل يقول « عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه »^(١).

فقال هيهات أما لو عاد لعدت ولكنه والله اخترم ، فكيف قولك حين قتل .

قالت : أنسيته يا معاوية . فقال بعض جلسائه : هو والله حين تقول :

يا للرجال لعظم هول مصيبة	جلت فليس مصابها بالهازل
الشمس كاسفة لفقده اميرنا	خير الخلائق والامام العادل
ياخير من ركب المطى ومن مشى	فوق التراب لمحتف او ناعل
حاشى النبي لقد هددت لنا القوى	والحق أصبح خاضعاً للباطل

فقال معاوية : قاتلك الله ما تركت لاحد مقالا ، اذكرى حاجتك . فقالت :

يا معاوية أما الان فلا ثم قامت فعثرت فقالت : تعس شانىء على عليه السلام . فقال معاوية : يا بنت صفوان زعمت انا . قالت : هو ما علمته وانصرفت ، فلما كان من الغد بعث اليها بكسوة فاخرة ودراهم كثيرة ، فقيل له فى ذلك فقال : اذا أنا ضيعت الحلم فمن يحفظه .

(١) سورة المائدة : ٩٥ .

(ومن الوافدات أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية)

وبالاسناد المذكور عن عبد الله بن سليمان المدني عن ابيه عن سعد بن حذافة قال : حبس مروان بن الحكم غلاماً من بنى ليث فى جناها بالمدينة وهو اذ ذاك اميرها ، فأنت جدة الغلام فأغلظ لها وابى ان يخرجها ، فخرجت صارخة الى معاوية ، فاستأذنت عليه وهى فى شردمة من قومها ، فلما جلست قال لها معاوية : يا بنت خيثمة ما أقدمك ارضى وقد عهدتكم تشنين قريى وتشمين اصحابى وتحضين على عدوي . قالت : يا امير المؤمنين ان لبنى عبد مناف اخلاقاً طاهرة واعلاماً ظاهرة لا يجهلون بعد علم ولا يسهون بعد حلم ولا يعاقبون بعد عفو ، وان أولى الناس باتباع سنن آباءه انت . قال : صدقت فنحن كذلك ، فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتى ما ترقد	والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لامقام فشمروا	ان العدولال احمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفه	وسط السماء من الكواكب اسعد
ما زال مدعرف الحروب مظفراً	والنصر فوق لوائه ما يفقد
خير الخلائق وابن عم محمد	وكفى بذلك لمن شناه تهدد

قالت : قد كان يا امير المؤمنين وانا لنطمع بك خلقاً . فقال رجل من جلسائه : كيف يا معاوية تعفو عنها وهى القائلة حين قتل علي :

أما هلكت ابا الحسين فلم تنزل	بالحق تعرف هادياً مهديا
فاذهب عليك سلام ربك ما دعت	فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلقاً لنا	أوصى اليك بنا فكنت وفيا
فاليوم لا خلف نؤمل بعده	هيهات أمدح بعده انسيا

قالت : هيهات يا معاوية لسان نطق وقول صدق ، فو الله ما اورثك الشناة

في قلوب المسلمين الا مثل هؤلاء السفهاء ، فاد حض مقاتلتهم وأبعد منزلتهم ، فانك ان فعلت ذلك ازددت بذلك من الله قرباً ومن المسلمين حباً . قال معاوية : وانك لتقولين ذلك ؟ قالت : سبحان الله ، والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتذر اليه بكذب ، وانك لتعلم من رأينا وضمير قلوبنا ، كان والله على بن ابي طالب أحب الينا منك اذ كان حياً وانت أحب الينا من غيرك اذ انت باق . قال : ممن ؟ قالت : من سعيد ومروان بن الحكم . قال : بم استحقت ذلك عليهم ؟ قالت : بحسن جودك وكرم عفوك . قال : وانهما ليطمعان في ذلك ؟ قالت : والله هما من الرأي على مثل ذلك الذي كنت عليه لعثمان . قال : والله لقد قاربت فما حاجتك ؟ قالت : ان مروان تبتك بالمدينة تبتك من لا يريد البراح منها لا يحكم بعدل ولا يقضي بسنة يتتبع عشرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابني فأتيته فقال لي كيت وكيت ، فألقمته اخشن من الحجر والعقته امر من الصاب ، ثم رجعت الى نفسي بالملامة فأتيته يا معاوية صارخة لتكون في أمري ماضياً وعليه معدياً . قال : صدقت فيما قلت لا اسألك عن ذنبه ولا اسأله القيام بحجته ، واما أنت فعفا الله عما سلف والحليم لا يؤاخذ بالجريرة ، اكتبوا لها باخراجها والتعرض لمروان وسعيد بما فعلاه .

فقالت يا معاوية : اني لنائية الوطن فاني لي بالرجوع وقد فقد زادي وكلت راحلتي ، فأمر لها براحلة موطاة وخمسة آلاف درهم وقال : خذيها مهنة انا ابن عبد شمس بن مناف ، فأخذتها وانصرفت .

(ومن الوافدات بكاره الهلالية)

وبالاسناد المذكور عن محمد بن عبدالله الخزازي عن الشعبي قال : استأذنت بكاره الهلالية على معاوية فاذن لها ، فدخلت وكانت امرأة قد اسنت وعشي بصرها وضعفت قوتها ترعش بين جاريتين لها ، فسلمت وجلست ، فقال معاوية : كيف

أنت يا خالة؟ قالت : بخير يا معاوية . قال : غيرك الدهر ؟ قالت : هو كذلك
ذو غير من عاش كبير ومن مات قبر . فقال عمرو بن العاص : هي والله القائلة :

يا زيد دونك فاحتفر من دارنا سيفاً حساماً فى التراب دفيننا
قد كنت أواخره ليوم كريهة فالأيوم ابرزه الزمان مصوننا

وقال مروان بن الحكم : والله هي القائلة يا معاوية :

أترى ابن هند للخلافة مالكاً هيهات ذلك وان اراد بعيد
منتك نفسك فى الخلا صلالة أغواك عمرو للشقا وسعيد
فارجع بأنكد طائر منحوسة لاقت علياً أسعد وسعود

فقال سعيد : والله وهي القائلة يا معاوية :

قد كنت اطمع ان اموت ولاأرى فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أحر مدتي فتناولت حتى رأيت من الزمان عجائبنا
فى كل يوم لايزال خطيبهم بين الجموع لال احمد عائبنا

ثم سكتوا، فقالت : يا معاوية تنبئنى كلابك اذعشى بصرى وقصرت حجتى
انا والله قائلة ما قالوا وما خفى عليك اكثر فافعل ما بدالك . فضحك معاوية وقال :
ليس ذلك مما يمنعنا برك يا خالة فاذكرى حاجتك . فقالت : اما الان فلا وقامت
مغضبة وانصرفت فاتبعها معاوية يكيس مال فأبت اخذه فاتبعها بآخر فأخذت هما
وذهبت .

(ومن الوافدات دارمية الحجومية)

عن سهل التميمى عن ابيه عن عمته قالت : حج معاوية سنة من سنه فسأل
عن امرأة يقال لها دارمية الحجومية، فأنى بها فقال : كيف حالك يا بنت حام؟ قالت :
بخير ولست ببنت حام، ادعى انا امرأة من بنى كنانة . قال : صدقت فهل تعلمين
لم بعثت اليك ؟ قالت : وهل يعلم الغيب الا الله . قال : بعثت اليك اسألك على م

أحبيت علياً وابعضتني وعلي م واليته وعاديتني . قالت : أو تعفيني من ذلك . قال : لأعفيك ولذلك دعوتك . قالت : أما اذا ابيت فاني احب علياً على عدله في الرعية وقسمته بالسوية وأبغضك على قتالك من هو أولى بالامر منك وطلبك ما ليس لك ، وواليت علياً على ما عقده رسول الله صلى الله عليه وآله نجم من الولاة بمشهد منك وحب على المساكين وتعظيمه لاهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا .

فتغير وجه معاوية ثم قال لها : فلذلك انفتح بطنك وكبر ثديك وعظمت عجيزتك . قالت : يا هذا بهند والله يضرب المثل لابي . قال : يا هذه لا تغضبى فانالم نقل الاخيراً ، فانه اذا انفتح بطن المرأة تم خلق ولدها ، واذا كبر ثديها حسن غذاؤها ، واذا عظمت عجيزتها رزن كسيها ، فرجعت المرأة راضية ، فقال : هل رأيت علياً . قالت : أي والله لقد رأيت . قال : كيف رأيت ؟ قالت : لم يعجبه الملك ولم تصقله النعمة . قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : كان والله كلامه يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست . قال : صدقت هل لك من حاجة ؟ قالت : نعم أو تفعل يا معاوية اذا أنا سألتك . قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء بعجلها وراعيها . قال : تصنعين ما ذابها . قالت : أغذو بألبانها الصغار واستحبي بها الكبار واكتسب بها المكارم وأصلح بها ما بين عشائر العرب . قال : فان اعطيتك ذلك فهل أحل منك محل علي . قالت : سبحان الله أو دونه يا معاوية فأنشأ يقول :

اذا لم اجد بالحلم منى عليكم فمن ذا الذي بعدى يؤمل للحلم
خذيتها ضياء واذكرى فعل ماجد حبساك على حب العداوة بالسلم
أما والله لو كان علي ما اعطاك شيئاً . قالت : أي والله ولاويرة من مال المسلمين يعطيني ، فأمر لها بما سألت وردها مكرمة .

(ومن الوافدات ام سلمى بنت عبد الله الذكوانية)

وبذلك الاسناد عن خالد بن سعيد عن رجل من بنى امية قال : حضرت معاوية في منزله وقد اذن للناس اذنأ عاماً، فدخلوا عليه بمظالمهم وحوادثهم، فدخلت عليه امرأة كأنها قلعة ومعها جاريتان لها فحدثت اللثام ثم قالت : الحمد لله يا معاوية الذى خلق الانسان فجعل فيه البيان فدل به على النعم، وأجرى به القلم فيما ابرم وحتم ، وبرا وذرا وحكم ، وقضى وصرف الكلام باللغات المختلفة على المعانى المفترقة اقتضاء بالتقدم والتأخر والاشباه والتناكر والموافقة والتزايد، فأدته الاذان الى القلوب وادته القلوب الى الالسن، فاستدل به على العلم وعبد به الرب عزوجل ولزمت به الامور وعرفت به الاقدار وتمت به النعم، وكان من قضاء الله ومشيته ان قربت زياداً وجعلت له من آل ابى سفيان نسباً ثم وليته من أحكام العباد يسفك الدماء بغير حقها ولا حلها ويهتك الحریم بغير مراقبة لله فيها ، ظلوم غشوم كافر يتخير من المعاصي أعظمها وانماها ، لا يرعى الله وقاراً ولا يظن أن لله معاداً وعدأ ، يعرض عمله فى صحيفتك وتوقف على ما اجترمه بين يدي ربك ، ولك برسول الله أسوة حسنة وبينك وبينه صهر ، فلا الماضين من أئمة الهدى اتبعت طريقهم ، جعلت عبدنقيف على رقاب أمة محمد صلى الله عليه وآله يدبر أمورهم ويسفك دماءهم ، فماذا تقول يا معاوية وقد مضى من اجلك اكثره وذهب خيره وبقي وزره ، اننى امرأة من بنى ذكوان وثب زياد دعى آل ابى سفيان على ضيعتى وتركتى من أبى وامى فغصبها وحال بينى وبينها وقتل من نازعه فيها من رجالى، فأتيتك مستصرخة فان انصفت وعدلت والاولى كلتك وزياداً الى الله تعالى فلن يبطل ظلامتى عندك ولا عنده وهو المنصف لى منكما حكم عدل .

قال : فهت معاوية ينظر اليها متعجباً من كلامها ، ثم قال : لعن الله زياداً

فانه لا يزال يبعث على مثالبه من ينشرها وعلى مساويه من ينشرها .
ثم كتب الى زياد يأمره برد حقها اليها والا صرفه مذموماً مدحوراً، وأمر لها
بعشرة آلاف درهم ، وعجب معاوية ومن حضره من مقالها .

(وفود أم الخير البارقية)

وروى ابن عبد ربه في كتابه المسمى بالعقد الثمين ان معاوية بن ابي سفيان
كتب الى عامله بالكوفة ان يحمل أم الخير ابنة الاخرش بن سراقه البارقية ويرحلها
رحلة محمودة والصحبة غير مذمومة العاقبة واعلمه انه مجازيه بقولها الخير
بالخير والشر بالشر .

فلما ورد عليه كتابه ركب اليها وأوقفها على الكتاب فقالت: أما انا فغير معتلة
بكذب ولا زائغة عن طاعة ، ولقد كنت احب لقاءه لامور تلجلج في صدرى ،
فلما حملها و اراد وداعها قال لها : يا أم الخير ان معاوية قد ضمن لى بجائزتى
فيك بالخير خيراً وبالشر شراً ، فمالى عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطمعك برك بى
تزويقك بالباطل ولا يؤيسك معروفك الي ان أقول فيك الا بالحق .

فسارت خير مسير ، فلما قدمت على معاوية أنزلها مع الحرم ثلاثة ايام ،
ثم اذن لها بالدخول عليه وعنده جلساؤه، فقالت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
فقال لها: وعليك السلام بالرغم منك. فقالت: مه يا معاوية ، فان بديهة السلطان
مدحضة لمن حجب عليه. قال: صدقت كيف حالك يا خالة وكيف كنت فى مسيرك؟
قالت : لم أزل فى خير وسلامة حتى ادنانى المسير اليك وانا فى عيش أنيق
وعز رفيق .

فقال لها معاوية : بحسن نيتى ظفرت بكم. قالت : يا معاوية بالله استعبد من
دحض المقام وما تؤدى اليه عاقبته. قال : ليس لهذا أردناك ، أخبرينى كيف كان
كلامك يوم قتل عمار بن ياسر. قالت : لم أكن رؤيته قبل ولا رؤيته بعد ، وانما كانت

كلمات لفظ بهن لسانى عند الصدمة ، فان أحببت ان اجد ذلك مثالا غير ذلك فعلت . فقال : معاوية لا اشاء .

ثم التفت الى جلسائه وقال : ايكم يحفظ كلامها . فقال رجل من القوم: أنا احفظه . فقال : هات. قال : كأنى بهما متردية بيرد كثيف الحاشية وهى على جمل أدمك وقد أحاط حولها الناس وفى يدها سوط منتشر أصفر وهى تهدد كالفحل وتقول :

ياايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم، ان الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل ونور السبيل وام يدعكم فى عمياء مبهمة ولاعشواء مدلهمة فالى ابن تريدون أفراراً ويحكم عن امير المؤمنين ام فراراً من الزحف ام رغبة عن الاسلام ام ارتداداً عن الحق، أما سمعتم قول الله تبارك وتعالى « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم »^(١).

ثم رفعت رأسها الى السماء وهى تقول: عيل الصبر وضعف النفس ويبدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع اللهم الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى وأدر الحق على أهله ولو كره المشركون، هلموا رحمكم الله الى الامام العادل والوصي الوفي والصديق الاكبر، انها لخفائف جاهلية وأحزان بدرية ، وثب بها معاوية لحين الغفلة يدرك تارات بنى عبد شمس .

ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر انهم لايمان لهم لعلهم ينتهون، صبراً يامعاشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم، فكأنى بكم غداً وقد لقيتم اهل الشام كالحمر المستنقرة لا تدرى اين يسلك بهامن فجاج الارض، باعوا الاخرة بالدنيا والبصيرة بالعمى واشتروا الضلالة بالهدى وعماقليل ليصبحن نادمين، تحل بهم الندامة فيطلبون الاقالقولات حين مناص ، انه والله من ضل عن

(١) سورة محمد : ٣١ .

الحق وقع في الباطل ومن لم يسكن الجنة نزل النار . ان الاكياس استقصروا
عمر الدنيا فرفضوها واستطالوا امددة الاخرة فسعوا اليها . والله أيها الناس لولا تبطيل
الحقوق وتعطيلها وتظاهر الظالمين وتقوى كلمة الشياطين لما اخترنا ورد المنايا
على خفض العيش وطيبه ، والى ابن تيريدون رحمكم الله افراراً عن ابن عم
رسول الله صلى الله عليهم وآله وزوج ابنته وابى سبطيه وقد خلق من طينته وتفرع
من نبعته وجعله باب دينه وابان المنساقين ببغضه ، فلم يزل كذلك حتى ايده
بمعونته لا يعرج لراحة اللذات ومن صلى والناس مشركون واطاع والناس عاصون ،
قتل مبارزيه وافنى اهل احد وهزم الاحزاب وقتل اهل حنين وفرق جمع هوازن ،
يالها من وقائع زرعت في القلوب نفاقاً وردة وشقاقاً ، وقد اجتهدت في القول
وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية : ما أردت بذلك يا ام الخير الا قتلى فلو قتلتك لما حرجت في
ذلك . قالت : والله ما يسوءني ان يجرى الله قتلى على يد من يسعدني بشقائه فافعل
ما بدالك . فضحك وامر لها بجائزة وردها مكرمة .

(وفود أروى على معاوية)

ونقل ابن حجة الحموي في كتابه ثمره الاوراق قال : دخلت أروى بنت
الحارث بن عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال :
مرحباً بك يا خالة كيف كنت بعدنا ؟ قالت : بخير لقد كفرت النعمة واسأت لابن
اخيك الصعبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك
ولامن آباءك ولا سابقة في الاسلام بعد أن كفرتم برسول الله ، فأتعس الله منكم
الجدود وامرغ منكم الخدود وورد الحق الى أهله ولو كره المشركون ، فكانت كلمتنا
هي العليا ونبينا هو المنصور ، فوليتم علينا بعد فأصبحتم تحمحمون على سائر
العرب بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أقرب اليه منكم وأولى

بهذا منكم ، فكنسا فيكم بمنزلة بنى اسرائيل فسى آل فرعون ، وكان علي عليه السلام عند نبينا محمد صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى ، فغابتنا الجنة وغابتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضلالة واقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك ، اذلا تجوز شهادتك وحدك . فقالت له : وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغي بمكة وأرخصهن اجرة ، وادعاك خمسة نفر كلهم يزعم انك ابنه فسألت امك عن ذلك فقالت: كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به ، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به .

فقال مروان : كفى أيتها العجوز واقصدى ماجئت له . فقالت : وانت ايضاً يا ابن الزرقاء تتكلم .

ثم التفتت الى معاوية فقالت : والله ماجرى هؤلاء غيرك وامك القسائلة فى قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
سكنت وحشى عليك صدرى فشكر وحشى علي دهرى

حتى ترم اعظمى فى قبرى

فأجابتها ابنة عمى بقولها :

خزيت فى بدر وغير بدر يا بنت جبار عظيم الكفر

فقال معاوية : عفا الله عما سلف باخالة هاتى حاجتك . قالت : مالى اليك

حاجة وخرجت عنه .

(وفود أم الخير البارقية)

وروى عن ابن الكلبي عن ابيه قال : كنت جالساً عند معاوية فى دار الامارة فى الشام اذ أتاه غلام فقال: ان بالبواب امرأة اسمها ام الخير بنت سراقه البارقية

شعنة غبراء عليها آثار السفر وهي تريد الدخول عليك فما تقول؟ قال: ادخلها
الينا لنرى خبرها . فلما دخلت دخلت كأنها الرجل الشجاع ، فقالت : السلام
على من اتبع الهدى ، يا معاوية انك قد اصبحت للناس سيداً ولأمورهم مقلداً ،
والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، فانه لا يزال تقوم علينا من ينوء بعزك
ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دوس البقر ، هذا ابن اوطاة
قدم علينا فقتل رجالى وأخذ مالى .

فقال لها : فوهى بما تستعظمين منه والجساني الى غيره ، وكان أراد منها
سب على عليه السلام . قالت : والله لولا الطاعة لكان فينا عزز ومنعة ، فان عزلته
عنا شكرنا والافعرفنا . فقال لها معاوية : اياى تهددين بقولك لهمت ان أردك
على اشوس فينفد حكمه فيك . فأنشأت تقول :

صلى الاله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً

قد حالف الحق لانبغى به بدلا فصار بالحق والايمان مقروناً

قال معاوية: ومن ذلك؟ فتنفست الصعداء وقالت: هو والله الحاكم العادل
على بن ابي طالب عليه السلام، أتيت في رجل ولاه علينا وعلى صدقاتنا فوجدته
قائماً يصلى، فلما نظر الي انفتل من صلاته وقال : برأفة وتعطف هل لك حاجة،
فأخبرته الخبر فيكى وقال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم ما أمرهم بظلم عبادك
ولا بترك حقك . ثم أخرج من جيبه قطعة كاغد فكتب فيها « بسم الله الرحمن
الرحيم . قد جاءكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وما انا
عليكم بحفيظ ، فاذا قرأت كتابى فاحفظ بما فى يدك من عملنا حتى يقدم عليك
من يقبضه منك . والسلام » فوالله ما ختمه فعزلته به .

فقال معاوية: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها . قالت : الي خاصة أم لقومي

عامة ؟ قال : فما أنت وقومك . قالت : تالله انه للؤم وفحشاء ان كان عدلا فشملا والافلى اسوة بقومى . فقال معاوية: هيهات لمظلم ابن ابى طالب الجراة على السلطان ، اكتبوا لها حاجتها .

[قصة امرأة تمدح علياً عليه السلام]

ورأيت فى كتاب ابن بيدمر البغدادي قبال : حدث عبد الرحمن الصوفي قال : خرجت حاجاً فلما أتيت بطن مر رأيت جارية مبرقة تخاطب اخرى وتقول لها : لاوحق المنتخب للوصية المؤمن على الرعية العادل فى القضية القاسم بالسوية بعل فاطمة الزكية ما كان ماظننت .

قال عبد الرحمن : فقلت لها من المنعوت بهذه الصفات ؟ قالت : هو والله الذى نبذ الباطل وراء ظهره واستعمل الحق فى جميع امره الماجد القرم الذاب عن حرمت الله المؤاخي لرسول الله امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام . فقلت : بم استحق هذا الثناء منك ؟

قالت : يا عبد الله كان ابى احد أولياء الله تعالى فأصيب يوم الجمل بين يديه ، فأنانا يوماً الى جنائنا قاصداً ثم قال لأمى : كيف أنت يا ام الايتام؟ قالت: بخير يسا امير المؤمنين وأخرجتنى واختاً لي صغيرة اليه وقد كان خرج بى الحماسق - تعنى الجدرى - كعدد الرمل قد اظلم على بصرى بعد الدعج والبهج ، فمسح يده على رأسى ثم تأوه وانشأ يقول :

ما ان تأوهت من شى مرثيت له كما تأوهت للايتام فى الصغر
قالت: ثم امر يده على رأسى فانصرفت وقد ذهبت عنى الظلمة، فوالله انى لارى الجمل الشارد فى الليلة الظلماء .

قال عبد الرحمن: فأخرجت ديناراً وقلت خذيه . فقالت : انه قد خلف علينا

خير خلف من خير سلف أبا محمد الحسن ، فانه يكفيننا مؤنتنا .

[مقامة بديع الزمان الهمداني]

ومن ذلك ما أردت نقله هنا وهو مقامة لبديع الزمان من جملة مقاماته :
رأيت يوماً اعراباً يرحلون الى بواديههم ، فشاقتني وساقنتي ترنم حواديههم ،
فتبعتهم ولاأريد الا البر الى ان وصلنا الى البر ، فرأيت في البادية افانين الزهر
واراييح الشيخ والشيخ ينادى يا غافلين الصبوح .

فقال : وقع عش الفراخ في الفخاخ ، ووقعت بعيش رخي رخاخ ، فقلت له :
الكساد أفردك في البرية ؟ قال : لافساد البرية ، ثم انشد :

اوصدك ربلك بسالتقى واولو النهى اوصوا معه
فاختر لنفسك طول دهرك مسجداً أو صومعه

فقلت : مالي اراك كعود الارك ؟ فقال : وكم ناحل بين تلك الخيام تحسبه
بعض أطنابها . فقلت : ما هذا المرض . قال : عياء به مات المحبون من قبل .
قلت : ما أحر نفسك ؟ قال : ففسى فراد المحب نار هوى . قلت : ويحك ارفق
بنفسك . قال : قد رضى المقتول كل الرضى .

فلما رأى عدلى علا وصاح : لا تحمل اللؤم فيها والغرام بها . قلت : اشرح
لي بعض امرك لاكون مقيماً لعذرک . فقال : كنت عزيزاً لهمة ، فرأيت محبوب
الدنيا يفارق ولم يمض في غير ليلة ، فرفضتها لانكشاف عيبها ، فنصت لي الاخرى
نقابها فصاحت : العاجلة بانفس سقى الله اربعنا بالحمى فقلت : ألا لا احب السير
الا مصاعداً .

فلما ظننت انى قد علقت بالكمال برزلي جلال ذى الجلال ، وكان فؤادى
خالياً قبل حبههم فأول امر جرى جرى حبه مجرى دمي في مفاصلي ، فصار ظلام

الليل يسهرنى كأن سواد الليل يعشق مقلتى ، فالخلوة عندى بالمحبيب قميص
يوسف فى اجفان يعقوب . قلت : صف لى الزهاد والمحبين فان الموصوف
بالوصف بين . فقال :

شم العرانيين فى آنافهم انف من القبيح وفى اعناقهم صبيد
ثم التوى ومال ثم استوى وقال : صحبى مضوا فمدا معى منهلة فى اثر
صحبى، ثم اشاح وصاح واين مكان الحمى من ولهى سقىاً لكان الحمى . فقلت:
بالله عليك ابن . فقال :

تعلوا من زرود وجه يومهم و حطهم لظلال البان تهجير

ثم بكى وناح وانشد :

فعاشرت الارواح بصاحبى سلا الاطلال والدمنا

متى يعود الى عسفان من ظعنا

استودع الله قوماً ما ذكرتهم الا تحدر من عيني ما حرننا

اشتاقتهم كاشتياق الارض وابلها والام وحدها والغائب الوطننا

قلت : زدنى من شرح احوالهم وأفدنى بذكر اعمالهم . فقال : لو سمعت
أنين المحب حيث يقول ولو حملت صم الجبال الذى بنا . قلت : زدنى من أوصافهم .
فقال : صاحبهم أوصافهم تأييبهم يقول : اعف عنى واقلنى عشرتى ، ومتعبدهم يتمثل :
تريدىن ادراك المعالى رخيصة، وبكيتهم تستغيث : فضلت دموعى عن مدى حزنى،
وحزيتهم يهتف : سقيتنى دمعى وما يروى به ظمأ ولكن لاعدمت الساقى ،
والمحب يترنم : وهيهات اسلو لمن لامننى ، ومشتاقهم يتمنى : وعللانى بحديث
حاجر ، ومضناهم يتنفس : الصبا ان كان لابد الصبا ، ومكمدهم يتأوه : أنت النعيم
لقلبى والعذاب له .

ثم خرج الشيخ من بيته يجول فى البر ، فقلت : ما اطيب قلب هذا البر ،
فاذا به يقول :

واخرج من بين البيوت لعلنى
يميناً اذا كانت يميناً وان تكن
أحدث عنك النفس باليل خاليا
شمالاً بنا زعنى الهوى من شماليا
فجعلت امشي حوله احفظه فى المسالك ، فاحفظه منى ذلك وقال :
دعونى ونعمان الاراك أروده
بجواب صوتى طيره المتناوحا
عسى سانح من دارمية يا من
بقيض لى عن شاهم طار بارحا
فسمع صوت حمام على شجر ، فرأيت من قلعة مالم أروجعل يجول ويقول:
وشت حمامة سلع فى الاراكه بى
كأنما عندها من لوعتى خبر
ثم رجع فرجع :

حمامة الوادين مما الخبر
ثم عاد واعاد :

احب البانه الفينا
واستحلى بها الاوراق
ذات الظل واللين
فى الصبح تغينى
وترجيعه محزون

ثم اخذ يقول :

دع الهوى لاناس يعرفون به
بلوت نفسك فيما لست تخبره
قدمأ رسوا الحب حتى لان اصعبه
والشئ صعب على من لا يجربه
افن اصطباراً اذا لم تستطع جلدأ
احنى الظلوع على قلب يحيرنى
فرب مدرك امر عز مطلبه
فى كدل وقتت ويعنينى قلبه

قلت : فكيف الطريق الى هذه الطريق ؟ فقال : يا طفلا فى حجير العادة
محصوراً بقمط الهوى مالك ومزاحمة الرجال ، يامخنت العزيمة الى ان قال :

فرجع الشيخ وهو يقول :

فارقهم والعين عين
بعدهم والقلب قلبه

فالعين لايرقى لهاعزب	كأن العين عزب
ماكنت احسب اننى	جلدعلى الارزاء صعب
او أننى ابقى وظهـرى	بعد اقرانى اجب
ما اخطأتك النائبات	اذا أصابت من تحب

ثم قال : فجعلت امشى فى حاشيته فعرفت انه ابوالثقويم - انتهى ملخصاً.
ومن انشائه :

قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه بد
هذه العرب تقول لا ابالك ولا يقصدون الدم ، وويل امه لامراذاهم ، وسبيل
ذوى الالباب فى الدخول من هذاالباب ان ينظروا فى القول الى قائله ، فان كان
ولياً فهو للولاء وان خشن ، وان كان عدواً فهو للبلاء وان حسن .

[مجربات ابن سينا]

ومن ذلك ما اخترت نقله فى هذا الكتاب ، وهو المنظومة للشيخ ابى على
ابن سينا المشهورة بمجرباته ، وقد اسقطت منها ما لا يليق نقله :

أبدأ باسم الله فى نظم حسن	اذكر ماجرت فى طول الزمن
ما هو بالطبع وبالخواص	لكل عام ولكل خواص
فى شولة العقرب نجم توأم	برأى عين من رآه يعلم
اذا تراؤه اميران اصطحبسا	واتفقا وذا تحابسا
لا سيما ان قال ذا مخيبسا	بعض لبعض كوكبان كوكبا
ومثله نجمان فى سعد بلع	رؤيته لكل ود قد جمع
ومثل ايضاً بسعد الذابح	رؤيته لكل ود صالح
تخير من شئت به فيعجبسا	ثم تقول كوكبان كوكبا

فإنشأ الود باذن الله
كف الخضيب فرقة الى الابد
اذا رآه اثنان أو جماعة
نجم السها مأمنة من سارق
فمن رأى عشية نجم السها
كلا ولا يدنو اليه سارق
يغر غر العليل ذو الخناق
لا سيما ان شابه كشوث
أبلع من الصابون وزن درهم
وهكذا الكمون والكرابيا
وطبقك الاضراس في التناوب
تحطيطك الاظفار عند الصبح
أعني قشور الملح ان تقرحت
الطخ على الحزاز دهن القمح
فانه يذهب منها سعيها
وهكذا قنا الحمام الرطب
اكو رؤوس كل نالول ترى
مراة الحية سم قاتل
اذا سقى السليم منه حبه
وان سقى الصحيح منها ماتا
نشاذر الدخان في الحمام
فوزن مثقال اذا ما شربا

بينهما فلا تكن باللاهي
لكائن من كان من كل احد
افترقوا الى قيام الساعة
ومن سموم عقرب وطارق
لم تؤذه عقربة بمسها
ولا يسؤه بسؤ طارق
بمرق الاثنان والسماق
فهو لعمرى نفعه موروث
تنج من القولنج عبر المحكم
ان أكلا محمصاً بدوايا
مانعة منه لدى التجارب
يكن لك عرضاً مزبل الملح
وآلمت صاحبها وبرحت
مع وسخ الاسنان عند الصبح
كالنار فيها ثم يورث نفيها
تعركه بالقشر لا بالقلب
بعودتين قد حرقت اخضرا
ونحن للسم بها نقاتل
برامن السم بتلك الشربه
من وقته وفارق الحياتا
ينضجه الفخار من مسام
مع وزنه من الرجيع المجتبى

يخلص المسموم من مماته
وفيه سر لست أبدية لمن
يعرف بالكبريت والغوالي
يصيب منه حب رمان العلا
وهو الذي بدعا بطين البحر
للناس فيه ارب أي ارب
سبحان من أودعه الامانة
ان يسمع الانسان صوتاً في الخشب
ورؤية السلخ من البيت كذا
تؤذن بالرحيل والحمام
لاتغسلن ثوبك الكتاننا
عند اجتماع النيرين يبلى
وكل هذا شاع في التجارب
جزآن طر طبراً وجزء ملحاً
وليكن الخل عتيقاً أبيضاً
تستقطر الجميع بالابنيق
فناد هذا القاطر الملتهبه
من سائر الكتان والحريز
فانه يسلم من حر اللهب
وانما تعرف هذا الماء
يطلى على القروح والاورام
كالجرب الحادث والقديم

من بعد يأس الاهل من حياته
ولست اخفيه لامر قد علن
وهو الرخيص ابن الرخيص الغالي
وهو طبيب الهجران حرب علا
كسكر النبات فوق القطر
وهو اذا خميره الشمس العجب
والغوص في الاشياء والابانة
في سقف بيت فرجيل قد قرب
ان سقطت مكانها بلا اذى
والموت ان كان خليعاً دامي
ولا تصد فيه كذا حيتانا
وفي البراز فاتخذه اصلا
والسر فيه أعجب العجائب
وتسع خل الخمر وزناً صحا
او احمر اللون فذا وذا رضا
بالمحو والنقط مع الترويق
محركة غير الذي تشربه
والقطن والتمر مع السريز
ومن حريق كله وذا عجب
بالنقطة الخارقة الاشياء
وكل ما يضر بالاجسام
يخلص من عذابه الاليم

وهكذا الانماش باتفاق
ثبول عين وبها حيوان
زوجان ملحومان انشى وذكر
يخرج منها فى شباط هائجا
وقد علا الزوجين منها زبد
فياخذ الاخذ منها الزبدا
ولسم يزل منتصب قواما
حتى اذا ما اغتسل الانسان
والحبتان من لحوم هذا
وثول قرية بأرض الشام
لاشئ للجراح كالطيون
وهو نبات كره الروائح
بورق كورق الصفصاف
الحمامة الجرح بغير الورم
يضمده الجرح به وقد برا
وهكذا يصنع للعقور
ويخرج الدود من الجراح
وهو ضماد للبواسير شفا
وأكله يذهب حمى الربيع
وكلما تغرغر الانسان
ودهن زهره عظيم الشان
يخرج بالانبيق كالخلاف

فانه أقوى من الترياق
كأنه فى خلقه انسان
كما وجدنا فى الصفات والائر
وراكباً بعض لبعض مائجا
كرغوة الصابون حين توجد
فحبة منه تقيم الا ملدا
من غير نوم مدة أياما
بالماء زال عنه ذا النصبان
ان شربت فى مرق فهذا
من عمل الشقيف ذى الاجام
يختم جرح السيف والسكين
مبرد ينبت فى الفلايح
وزهره أصفر غير صاف
وغير قبح سيما قطع الدم
ان كان قد جف والا اخضرا
من سائر الحيوان والجزور
وكل مدفون من السلاح
وللنواسير ضماد قد كفى
وماؤه يقتل دود القرع
بمائه تقوت الاسنان
يدعا بدهن الصين فى الادهان
وكالبزورات بلا خلاف

الحمه فـلا يخاف ضره
طلبته أخرج من ذلك الاذى
قد أثرت على الجسم داء
والمست صاحبها وبرحت
فى جسد العليل باندمال
أو غمض طرف أو شهاب يقبس
وجربوه عند ارباب الدول
تبخ زيتاً مع ماء جارى
او فمها استرخت لنحو الذنب
يغشى اذا من غير ما تعويق
ان تفلا ماتت بلا مداوي
فانها ستعرف الصوابا
وبل فيه كاغذ كما ترى
كصورة الطلسم للتمويه
لكنها تكره منه فتطش
تفسخت وانسلخت عن واكد
فى شعر أي دابة وانسيت
أبيض مثل الثلج زال ضيره
وضيع الشعر به يا خلـى
يشبه للثلج وهذا ينقض
ويستمر حقبه يا جارى
وسائر الجمال والجزور

اذا لطخت الجرح منه مره
وهو طـلا لكل نضاح اذا
من كل ما يحدث من سواد
أو الثورات التى تعرجت
وكل ما كان من الاعلال
يخرجه أسرع من رجع النفس
أعنى به اهل التجارب الاول
قتل ذباب الخيل فى الاسفار
اذا تفلت فوق رأس العقرب
وذلك قبل الفطر والترويق
كذلك الصائم والصفراوي
لا سيما ان مضغاً عقابا
وان حلت فى النداء الشاذرا
ثم كتبت ما تشاء فيه
فلمست تدنى منه أفعى فتعش
وان مسحت جسمها فى الكاغد
عصيدة الرز اذا ما حشيت
اذهبت الشعر وجاء غيره
والكر لكان ان غلى بالخل
من تلك الاولى ناب شعر أبيض
يصير فى سواده كالقار
فى الخيل والبغال والحمير

مهلاخى بطرف اللسان	امسح على الاضراس والاسنان
مع الكرفس أيمانه حصل	وقل حرمت الاكل من لحم الجمل
شهرأولامن هندبانقى الخرس	أوقل حرمت الاكل من لحم الفرس
فتأمن الاضراس من اعلال	وذلك عند رؤية الهلال
تصح أسنانك فى الدهور	داوم على هذا مدا الشهور
ما تشتهى منه بلا مرأه	تأخذ من مرارة الحساء
وهى التى تعرف فى الصفات	واسخنه فى عصيدة النبات
وارفعه فى زجاجة مقدر	بالراز بانج النضير الاخضر
احضره فى ظرف من الزجاج	حتى اذا احتيج الى العلاج
فيخرج السم من الاطراف	فأكحل الملسوع بالخلاف
وهكذا من عقرب ذى عور	من حبة ولسعة الزنبور
نظمته للمقتفين اثرى	هذا الذى جربته فى عمري
حمداً كثيراً أبد الايام	والحمد لله على التمام
على النبى المصطفى والال	وصلوات الله ذى الجلال
بجنح دبر الظلام الداغى	ما انبدا فجر الصباح العاجى
الانجم الطاهرة الدرية	وآله العصابة الزكية
ما جاء قطر واجاد دهرأ	وصحبه والتابعين اثرا
عنا وعن آباءنا وقد كفى	وغفر الله لنا وقد عفا

[رسالة تحفة الدهر فى المناظرة بين الغنى والفقير]

ومن ذلك مما يناسب نقله فى هذا الكتاب رسالة لوالدي قدس الله تربته
وأعلى فى عليين رتبته ألفها فى سن الشباب وسماها (تحفة الدهر فى المناظرة

بين الغنى والفقر) وهى هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الغنى فكل من سواه فقير، المتمنزه بكماله عن الشريك والشبيه
والنظير والظهير، قسم على عباده الارزاق وقدرها أحسن تقدير، ودبر الكائنات
بحكمته البالغة اكمل تدبير، والصلاة على سيدنا محمد أشرف نبي واكمل نذير،
وعلى آله المخصوصين من الله سبحانه بآية التطهير، وأصحابه الظاهرة آثار
فضلهم كالبدر المنير، صلاة تكون لنا جنة من عذاب السعير .

اما بعد: فيقول كاتب هذه الكلمات المرتجى من مولاه الصفيح عن الهفوات،
واذهاب سيئاته بالحسنات :

اني فى زمن رمانى بيد البغى والعدوان ، بين انياب الهموم والاشجان ،
وار كبنى على متن النوائب ، وجرعنى كأس الاهوال والمصائب ، مارمت الفرار
من صروفه الا رأيتها لى كالرفيق ، ولا أردت الفرار الا فرش لى مهاد العسر
والضيق ، ان طلبت الصبر رأيتة معدوماً ، او ظننت أمراً وجدته موهوماً ، وان
اتخذت فيه صديقاً للارفاق اقتطعه عنى الى مفاوز الافاق ، اشكال آمالى فيه دائمة
العقم ، وتصورات مطالبى لم يذن لها الحكم، تمييز أحوالى فيه ملازم الابهام،
وخفض طالعى مرفوع الدلائل والاعلام .

حتى كأنى لسهام الصروف غرض ، ولجواهر الاهوال الشديدة عرض ،
اذ سميرى جليل الافكار ، وجليسى مشوشات الاكدار ، مع أنى قد رضيت منه
بالصفو اليسير ، واستغنيت بقليل عيشه عن الكثير ، علماً منى بأن غرس ما تمنى
لا يثمر ، وليل الهم والغم به لا يقمر، وكم بثت له قبول الاعذار ، وخلعت لاجله
ثوب الاستكبار ، وجلست فى زوايا القناعة ، ووقفت لاوامره على قدم الطاعة،
فلم اجد منه الامحض الاصرار ، والقصد بسهام الاضرار، فكأنى له من جملة

الخدم ، او كأنه الذى عوضنى الوجود عن العدم ، وهانا اقول والله سبحانه
المأمول :

من لى عدير بدهر ناصب أبد اشراك عدوانه والبنى فى سبيلى
ما رمت امرأ ولا أملت من أمل الارمانى بخطب فادح جليل
وكيف احتال فى دهر مساعده حكم القضا فى ذهاب الحول والحول
فان يكن لائى شخص فمعذرتى انى بوجدى عن العذال فى شغل

فبالله العجب من دهر لا يؤب عن جرمه ، ولا يداوى بحسنه اثر كلمه ، ولا
يصغى اذا نطق انسان بعذره ، ولا يمتنع من القصد بسهام مكره ، فاحتمال المعونة
منه كالمحال ، ورجاء الصفح ليس اليه مجال ، ان وعد لا يفى بالوعود ، وان
سمح بالنزول لا يجود .

ارباب الكمال فيه فى المقام الادنى ، وذوو الجهل خصوا بالمقام الاسنى ،
حتى أصبحت تجارة المعارف فى غاية الكساد ، وبضاعة الادب لا يسومها حاضر
ولا باد ، بل يعد أرباب الفضائل فيه من قسم الجماد ، والفصحاء أدنى من عجز
عن فهم المراد ، ولذا عادت ربح العلوم بين الأنام راكدة ، ونارها فيما بين
العالم خامدة . وكيف لا وان تفوه أحد بمعنى رائق أو تكلم بلفظ فائق ، اتخذه
الناس فيما بينهم سخريا ، وأحفوا الاثر الى ان يصير نسياً منسياً . فالى الله
المشكى من زمان هذه شيمته وفعاله ، فبيده سبحانه رفع هذا الضرر وزواله .
هذا وقد انكشف لى فى بعض الاحيان ، مع تراكم غيوم الغوم والاشجان ،
لمعة من سماء خلو البال ، كانت كأنها طيف الخيال ، اذ الدهر بمثلها كثير الضن
كما هو اليقين لا الظن ، فانفقت منها انا يسيراً فى مناظرة بين الغنى والفقر ،
ليكون العاقل على بصيرة فيما اشتمل عليه من الغرور هذا الدهر ، كل ذلك على
مقتضى لسان الحال ، وعلى الله سبحانه الاتكال ، فأقول :

لما كان اهل الزمان أعنة ابصارهم مصروفة نحو الشهوات ، وكنوز
أعمارهم مبدولة فيما امتزجت به من الشبهات ، ومطمح نظرهم في جمع
حطام هذه الدار ، وغاية مقصدهم خدمة من حوى الدرهم والدينار، حتى أصبح
لذلك الغنى لباساً اثواب التكبر والافتخار ، وامتسأ بسيماء اهل الكمال في
هذا العالم والاعتبار ، ظناً ان استحقاقه انقياد الناس اليه لعلو شأنه ، وامتيازه
عنهم بما استقل به مما جمع دون امثاله واخوانه ، فلم ير لذلك الفقير بالنسبة
اليه الا أحقر حقير ، ولا يخطر بباله أن يكون له في الانام شبيه ونظير ، بل لم
يكتف بالترك والاعراض ، حتى جعله للسبب غرضاً من الاغراض . فلا جرم
حصل للغنى على الفقر بسبب ما ذكر مزيد الاستيلاء والقهر، وقدرماه عند ذلك بأعظم
السهام ، وقصده بأشنع الكلام . فكان من جملة ما فاه به من المقال ، ونطق به
لسان الحال :

انك ايها الفقر لباس الدلة ، في كل شرعة وملة ، وباب الهموم والفكر ،
ومناط المحن والضرر ، بك تقصد أبواب الدول ، المتفق على ذمه من الاواخر
والاول ، وأنت السبب لاشتغال الحواس بجمع الاقوات ، في غالب الاحيان
واكثر الاوقات . وذلك هو الموجب لعدم الاخلاص في العبادة ، والاعراض
عن الافادة للكمالات والاستفادة ، وكفاك ان صاحبك يتحمل اوساخ الناس ،
التي هي أظهر الادناس . وحسبي ان الوصف بي من اكمل الاوصاف ، عند
اهل الفضل والانصاف ، وبسببي يتوصل الى القرب ، وينال كل مطلب وارب،
ولولاى لم يبلغ احد البيت الحرام ، وام ينته الى المشاعر العظام ، وبى تكسب
اكثر المزايا، وتعلو أقدار جميع البرايا، ولاجلى نظم اهل الاعتبار قديماً وحينئذ
محاسن الاشعار ، ولو لم يكن الا اني علة الكرم الذى هو أحسن الشيم لكفانى
فخراً وعلواً وقرباً من اهل الكمال ودنواً ، ثم انشد :

يقولون اهل الجهل لاخبر في الغنى فقلت وهل الا به يجبر الكسر
وحسب الغنى فخر أمدى الدهر أن من غدا وصفه يدنوله الحمسد والشكر
فلما فرغ من الكلام أو عليه أشرف ورأى الفقر أنه زاد فيه واسرف، صمم
العزم عند ذلك على المفاضلة ، وان آل الامر الى المباهلة ، ثم حسر عن ساعده
وشمر ، وهمهم في كلام وتنمر بعد أن سلم للقضاء، وعزم على يسير في القضاء ، ثم
قال : ايها الغنى كأنك تحسب ان انقطاعي عن مناقشة امثالك ، وترك وقوفي
لحربك وجدالك ، انما هو لتأملي يسير نوالك ، ورجائي حقير افضالك ، بل
انما فعله من اتصف بي لفرط الجهالة ، وسلوك سبيل الضلالة ، والا فقدي من
ذلك أعلى ، وقيمة نفسي من نفسك اعلى ، وحيث قد تجاهرت بما كان مكتوماً
في ضميرك ، وأبرزت ما تخليته نافعاً من تحذيرك ، وفتحت في الافتخار هذه الابواب ،
ولبست في العجب والتكبر هذه الاثواب ، فأنا مبدلك عنه أوضح جواب ، وموضح
لك باطله من الصواب . ولا يخفى عليك أن مارميتني به ذو بك احري ، بل أنت
اعلم بكنه ذلك وأدرى ، فانك قرين اهل الضلال والغواية ، والضد لكل من سلك
سبيل الحق والهداية ، وكيف لا وقد منحت أصحابك ثوب الاستكبار ، الذي
هو عند الانصاف أقبح الشعار .

ثم ان ما أدعيت من الوصف الحسن لأصحابك عند الملاحظة تركه اولي بك ،
فان أهلك قد جمعوا ذميم الاوصاف ، وانقطع منهم جبل الارفاق والانصاف ،
ولئن كان يتوصل بك الى شيء من شريف الاعمال ، فلغيرك ما هو أكمل منه في
الاقوال والافعال ، وادعاء وصف الكرم المقتضى لمدح الامم انما هو من
جملة الاوهام الفاسدة وانخيلات الواهية الباردة ، بل الكرم من جملة السجايا
لامن الحطام الذي يجمعه البرايا .

ثم على تقدير تسليم مقالك والنظر الى سخيف مارؤى من فعالك ، فان

من العيوب الواضحة ، والامور القبيحة الفاضحة، ماهو منتظم فى سلك القبول
عند كالمى الفكر والعقول ، سيما أنك محل الربا المحظور بالاجماع ، وسبب
التهمة الموجبة للدعوى والنزاع. مع ذهاب النفوس لاجلك فى الاسفار ، حين
يتحمل عظيم الاهوال والاحطار ، ولو لم يكن الاقول ذى المنة انما اموالكم
فتنة ، لكفى بذلك نقصاً وسقوطاً وخطأ عند اهل الكمال وهبوطاً ، ثم انشد
لنفسه :

عجبت لذي فخر بمال ولم يكن بذى منح يستوجب المدح والحمدا
وأعجب منه ذو افتخار بوالد وفى نيله العلياء لم يبلغ الجيدا
فلما سمع الغنى هذا المقال استشاط عند ذلك ثم قال : أيها الفقر لمثلنى
بهذا تخاطب ، وانا عون ذوى المناصب ، كأنك لم تعلم أنى من اولى البأس
الشديد ، والرأى الصائب السديد ، بسببى تعظم الهمم وتفخر الامم ، وتحمل
الاثقال وتحمل الاعمال، ويقطع اللجاج ويصلح المزاج ، وبفك الاسير ويجبر
الكسير ويحصل اليسير، ويحسن الذكر ويصفو الفكر ، ويقام التدريس ويبرز
كل معنى نفيس ، وأنت أيها الفقر من موجبات الغربة ، واحد أسباب العزبة ،
بك يحصل النشوز والشقاق ، اللذان كل منهما سبب الطلاق ، ويرمى المرء
بالتهم ، وتفسد المعد بالتخم ، وتقل القوة ولم يحصل وصف الفتوة ، وتلجى
الى السؤال الذى هو أقبح الخصال : ويقل الشكر على الانعام ويطول بسبك
لسان الكلام ، ثم انشد لنفسه :

لاخير فى امر يهين الفتى ويرتجى منه نوال الملوك
فان تكن حراً فكن حازماً واحذر بجهدمنك هذا السلوك
فلما بلغ الفقر ذلك ازودت مقلناه واحمرت وجنتاه ، ثم قال: أيها الغنى
ان عيب كلامك مكشوف وبدر ألفاظك مكسوف ، اذهو دعوى بغير برهان

وترجيح للمطلوب من دون رجحان، وعلى تقدير التنزل والتسليم والقول بأن فيها ما هو سليم، فليس البأس الشديد الامن شيمة الخديد، واحتمال مقولية التشكيك فى هذا المقام لا يكفيك، فان الجبن بأصحابك مخصوص، وذم أوصافهم به فى الخبر منصوص، وادعاء عظيم الهمم من الخرافات، وأعظم ما على المرء من الافات، فانها من سيماة اصحاب الكمال وأين هو من جامع خسيس الاموال، وحمل الثقيل يقتضى للدواب التفصيل، واصلاح المزاج بالصيام أولى من علاجه بالطعام، والتغرب عن الامل من أسباب الفضل، وحديث المال والجمال يكشف عن فساد المقال، واحتمال النشوز بالاغارة على التعارض امارة .

فقال له الغنى : لقد سلكت أيها الفقر أوعر طريق، وأبعدت عن منهج التحقيق، وسأكشف لك من الاوصاف الشائن وابرز بحسب جهدي لك الدفائن، حيث انتصبت لنضالى ولم تخش كلم نصالى، اذ كان الواجب عليك لي الخدمة، وطاعتى فى كل لفظة وكلمة، وهب انك فى فن المعانى سعد الدين التفتازانى، وفى مباحث اصول الدين نصير الملة والدين، وصاحب نزهة الطرف فى علم الصرف، وسيبويه فى العربية والزمخشري فى دقائقه السنية، والبيضاوى فى سبك التفسير وفى القراءة صاحب التيسير، وابو تمام فى الاشعار وابن خلكان فى الاخبار، وصاحب زهر الربيع فى علم البديع، وسطيح فى الكهان والخليل فى الاوزان، وفى اللغة ابن دريد وفى النوادر ابو زيد، فما انت الاقطرة من بحرى وحصاة فى نهري .

على انك أيها الفقر كأنك تحسب ان نطقى لك بهذه الالفاظ رجا للنفع بك فى شهادة الكمال بالتنبيه والايفاظ، بل أنت عندي فى أدنى مكان من زوايا الخمول. وخطابى لك أعده من جزئيات الفضول، غير أنه ليسمع بذلك من هو من امثالك فيما نسبح من التمحللات على منوالك، ليكون تنبيهاً مما هو فيه من الغفلة،

وتغتنم في خدمتي وطاعتي هذه المهلة ، واقسم بمساح الجود وذام خلف
الموعود ، لئن لم يمثل امري كل سامع ويتبع سبيلي السداني والشاسع ،
لاجعلنه احدوثة في سائر المجامع .

واظنك ايها الفقر لم تعلم حقيقة حالي ولم تسمع بالامس ماتكلمت به من
النظم في مقالتي ، ثم انشد لنفسه :

اهل مخبر هذا الورى أن همتي	على كل عسال قد تسامت على الرغم
ولولا امور صوب الرأى طيها	صعدت على كل الانام السى النجم
وهاانا قد أصبحت في الناس عالماً	بكنه الذى قد اضمروه من الوهم
فمن لم يكن طوعاً لامري جعلته	على سائر الاحوال دون الورى خصمى

فلما سمع الفقر ذلك قال على سبيل التهكم : كأنك ايها الغنى تزعم أن
الفضل بالتحكم ، فان هذا مقام الجواب والسؤال لاموطن الحرب والنضال ،
واللائق من أمثالك النظر بعين الانصاف لاسلوك منهج الاعتساف ، اذمن هو في
العلوم ماهر لاتخفى عليه شرائط المناظر ، فالانسب ملاحظة العواقب قبل النطق
بما يبلغ الثواقب ، حيث ان زلة العاقل كبيرة وهفواته خطيرة ، وأما لسان الكلام
فهو طويل غير أن كل مدع لا بدله من دليل ، والالفاظ كلها منقولة وان كانت غير
معقولة ، وقد شاع ان من اكثر كلامه أورثه محض الندامة ، فلو شئت لقلت انك
لم تعرف شرائط البرهان المقررة في علم الميزان ، ولا المراد من الكعاب المذكورة
في علم الحساب ، ولا الجملة الحالية في علم العربية ، ولا العلة والتضعيف من
علم التصريف ، ولاتناهى الاجسام من علم الكلام ، ولا حقيقة الموجودات ماهي
الذي هو موضوع العلم الالهى ، ولا اطلعت على كتاب النواميس الذى ألفه
ارسطا طاليس ، ولا سمعت بعلم الجدل ، ولا بلغت الفرق بين عطف البيان والبدل .
ولا عرفت كنه الصحيح من الرواية المقرر في علم الدراية ، ولا علمت من أوزان

الخليل الاشيئاً هو أقل من القليل ، ولا بلغت الفرق بين السحر والسيما ، ولا علمت المراد بالفلزات في الكيمياء ، ولا اطلمت على ما اشتمل عليه كتاب العمل والنحل المنبه على جميع اختلاف الاواخر والاول ، ولا قرأت في علم النجوم المشهور نفعه في العلوم ، لكن ذلك منى غير لائق لعدم الاطلاع على الحقائق ، وان غلب على الظن فيك قصر الباع وسوء النظر في الامور والاطلاع ، الا ان النصيحة ربما تجر الفضيحة .

على انه لو فرض ان جريراً بين يدبك في جبل الحيرة مجرور ، والكسائي عند فصلك كأنه غير مذكور ، وسيبويه في قالب العي ، والزجاج لا يعرف الرشد من الغي ، وسحبان وابن حجر في بحر الحيرة والفكر ، وحسان وجميل في الخطب الجليل ، ومعمّر بن المثنى لعدمه يتمنى ، لانفت أن تكون بين بدى على قدم ، أو تعد لي من جملة الخدم ، وليس ذلك منى ابتغاء لحسن الذكر ، ولا رغبة في الاقسام بالكبر ، فقد سمعت بحديث التنوخى في حي بنى عامر ، المصرح بقصته في بعض كتب الاواخر ، وخبر معن المشهود في الانام مع الاسودماسك الخطام ، وخبر كثير مع العجوز بعض الاحيان المعد في نوادر الزمان ، وحديث الكسعى في الندامة الذي جعل الناس في الامثال كلامه ، وخبر موسى مع الخضر المصرح بمجمله في الذكر .

بل انما ذكرت لك ذلك لتعلم أن لكل كلام جواب ، وبأزاء كل باطل عند ذوى العدل والانصاف صواب ، ولتفطن أن المعلومات غير محصورة ، ولا جميعها في كتب الافاضل مذكورة ، وثمار الافكار اجل واكثر من ثمار الاشجار ، فلا يتخيل الاطلاع على كل مكتوم ، والاحاطة دون العالم بكل معلوم ، وينبغي لك النظر فيما يصلحك في هذه الدار ولا تسلك سبيل الزهو بحطام الدنيا والاعتزاز . فان ذلك سيماء اهل الجهل الاغمار ، لا الفضلاء المقتفين محاسن الاثار ،

وكفاك تذكرة ان رمت للنصيحة فيهما قوله تعالى « وقل رب زدني علما » .
 فقال له الغنى : لقد اظنبت أيها الفقر في المقال ، واكثرت فيها لا يغنى مما
 وسعه منك المجال، فكأنك تحسب ان خاطري لك يصفو، واني عن ذنبك اصفح
 واعفو ، بل أنت في غاية القصور ولو رأيتك جالسا في اعلى القصور، ولو لا
 خوف العول لاطلت في جوابك القول ، غير أنك ان كنت ممن برع في العلوم
 ومهرو وبدل نفسه في طلب المعالي وفي العواقب نظر، فها ان اذا كررتك على سبيل الامتحان
 سؤالاً يفضحك بين أبناء الزمان ، والغرض ذكر الجواب في الحال الحاضر من
 غير أن يذكر لك جوابه ذاكر ، ثم انشد والاختبار المقصد :

يا ايها الاوحد بين الورى	ومن لديه كشف ذا اللبس
ما ذا الذى فى الشرع تحريمه	يسزول اجماعاً لدى الحس
وما الذى يكشف عيب الورى	من كسل ذى عقل وذى نفس
ولس يمكن في ذلك من مانع	شرعاً وهذا شائع الجنس
اجب فلا زلت مفيداً لنا	وطالع الحاسد في النحس

فلما استتم الغنى كلامه وابدى ما اراده ورامه ، التفت اليه الفقر التفاتة
 الغضبان ثم قال : لحي الله هذا الزمان ، كأنك ظننت أن ما نطق به لسانى فيه
 تعظيم لنفسى وعلوشانى ، لتكشف عن وجه التهكم القناع وتسلك طريق المكر
 والخداع، بل انما ذكرته لتظهر لك الحقائق ويعرف الفرق بين المائق والعائق،
 على أنى وان لم اكن داخلا في اهل المقام الشامخ ومتحلياً بحلية ذوي الشرف
 الباذخ، لما أعجز عن جواب سؤالك على ما ذكرت من مقالك ، فان هذا النوع
 من الادب شائع بين جهال العرب، اذ ليس فى معانيه دقة ولا فى ألفاظه فصاحة
 ورقة ، ثم انشأ فى الحال قاصداً جواب السؤال :

يا كاملاً قد حل أوج العلى تفديك من دون الورى نفسى

شرفت قدرى بالذي قلته حقاً ولو أدخلت في رمسى
هذا وعندى الآن بعض الذى أفدت لكن ليس فى الحبس
وهو حلال بعد تصحيفه وليس فى ذا القول من لبس
ثم الذى يكشف عيب الورى لم يكن بالمختار كالشمس
وليس ذا يخفى على ناظر بالعين ان لم يبد بالحدس

فلما فرغ الفقر مما انشأه واستتم ما بدأه ندم الغنى على ما سبق من الصنيع
وعزم على ترك الكلام الشنيع ، لمسا رأى من سرعة الجواب والموافقة لنهج
الحق والصواب ، ومال الى العفو والصفح وان لم يرافقه اللسان على ما يقتضى
المدح ، فكف عن السباب وفتح للاعتذار الباب ، ثم قال: ايها الفاضل ان أردت
زوال الريب فى امرك لاكون مطيعاً لك سامعاً لعذرک ، فأجبنى عن هذه الاسئلة
وان كان بأجوبة مجملة ، وليس الغرض بطلب البيان الاتحقيق ماشاع فى امثال
الزمان .

فقال له الفقر : ألم يسبق منى اليك الاعتذار بقصوري عن بلوغ مرتبة اهل
الاعتبار ، فاني لست رحيب الباع ولا كثير النظر والاطلاع ، بل أقل الانام وغريق
بحر الخطايا والانام ، وكيف لا ولم ارتضع من ندى الافاضل الا القليل ، وفيما
أبديت لك من الجواب السابق أوضح دليل ، وعلى تقدير ان اكون ممن العالم
بفضله اعترف ومن حياض علم كل نحري اعترف ، فلست معصوماً من الزلل
الموجب للخسران باحباط العمل . نعم ان رضيت بالاتيان بالمقدور وذكر ما
هو لدي ميسور ، فربما لجوابك أتصدى وعن الاختصار لا اتعدى ، فان زلة
القدم توجب الوقوع فى الندم .

فقال له الغنى: انى ومنزل المطر ومبيح الفسخ عند الضرر ، لم أقصد بالسؤال
الحاضر الا اشاعة فضلك الباهر ، فان خطر فى بال غير ما نطق به اللسان فهو

من جملة وساس الشيطان .

فلما سمع ذلك الفقر وفهم أنه اضمر في نفسه المكر ، قال : تحسب أن طرفك في ميداني يحول واعتقاد مكرك عن خاطري يحول، لكنني أرجو من الله سبحانه الاعانة على الجواب واسأله التوفيق لاصابة الصواب، فقل ماخطر ببالك وان لم يفدك جواب ذلك .

فقال الغنى: ايها المولى الجليل ما عندك من الفرق بين الامارة والدليل ، وما حقيقة معنى الانتقال المشروط عند اهل العربية في الحال، وما بلغك من الفرق بين الحقيقة والمجاز وما معنى الصرفة المذكورة في وجه الاعجاز ، وما الفرق بين الواجب والفرض ، وما وجه الجمع بين حديني الصدقة والقرض ، وبم يتفضل الفاعل المجازي عن النائب ، ولماذا أطلق على الباري سبحانه ضمير الغائب ، ولاي شيء نصب المفعول ، وبأى فرق يعرف المرتجل من المنقول ، ولماذا لا يدخل الجر الافعال ، وبأى شيء فصل الاشتراك عن الاجمال .

فلما سمع الفقر مارامه من سؤاله ظهر منه السرور بحسب حاله ، ثم قال : ايها الغنى قد استسمنت المهزول وأعددت للحرب السيف المفلول، بمثل هذه الاسئلة ينطق اهل الافهام المعدون لابلغ الاحكام والافهام، فهلا سألت عن كشف البيان في معنى متشابه القرآن، أو عن وجوه علاقة المجاز على وجه الاختصار والايجاز أو عما للاسماء من الاقسام أو عن حقيقة طفرة النظام ، او عن وجوه الاشتقاق التي انعقد عليها الوفاق ، أو عن الفرق بين الاسم والمسمى ، أو عن التمييز بين اللغز والمعنى ، أو عن الفرق بين التحيز والحلول المقرر عند محققى الاصول، أو عن برهان التطبيق على وجه التدقيق والتحقيق ، أو عن اقسام المد والوقف ، أو عن تفسير حقيقة الحرف ، او عن واضع اللغات ، أو عن الفرق بين الاسماء والصفات ، أو عن اقسام الصفة المشبهة على التفصيل ، وما

الفرق بينها وبين أفضل التفضيل ، او عن وجه الطهارة للعبادة ، ولم سأل موسى من المخضر الافادة، أو عن وجه حسن التكليف وبماذا حصل لبني آدم على غيرهم التشریف ، أو عن وجه أفضلية النية على الاعمال مع مزيد المشقة في الاتيان بالافعال ، أو عن وجه اختصاص الباري سبحانه بالصوم في الحديث الشائع بين الناس في قديم الزمان والحديث .

فقال الغنى بعد سماع ما أبداه الفقر وعلم انه ذو احاطة في الامر : أقصر ايها المولى عن مقالك فقد علمنا بحقيقة حالك، اذ أنت اوجد هذا الزمان والفائق على جميع الاقران ، فأبى للشاعر البحراني ان يلحقك في دقة المعاني ، ام ابن لابن سليم ان يسلك منهجك القويم ، ومتى يشبهك ابن العفيف في أسلوبك الظريف ، وأبى للفاضل ابن جابر ان يكون بين يديك كالمناظر ، وهيهات ان يلحقك الحسن بن رشيقي في حسن التدقيق وكمال التحقيق ، وكيف يتكلم متكلم بمضاهاتك لابن المعلم ، ومن أين لابن فتيان ان يجري في هذا الميدان، ومتى يصلح لابن البواب لبس هذه الاثواب ، فمثلك من يقصد لحل الرموز ويستغنى بوجوده عن دليل العجوز، فان ارسطا طاليس عاجز عما أبرزته من المعاني، وأفلاطون بكل عن تشبيه هذه المباني ، وسقراط لا يحرم فهمه حول هذا الكلام ، وساميا لا يصلح أن يجلس على فرش هذا المقام ، وأقليدس وبطلميوس بعد فضلك طالعهما منحوس . هذا مع ان يعقوب بن اسحق منك استفاد ، وحنين بن اسحق بلغ ببركتك المراد، واحمد بن سهل بسببك حصل له الفضل والقسم بن سلام مكرصار من الاعلام، والفتح بن خاقان لولاك ما حاز هذا الشان ، وابن لولاك شعره ما ابانه ، وما استفاد الزهد ابن باب الا حين أمطر فضلك هذا السحاب . ولعمري لقد البستني من النعماء أنفس ملبوس ، ودفعت عنى كل ضر وبؤس ، وهيهات ان أؤدى شكر ما اوليت او أمنحك عشر ما اعطيت .

وحيث كنا سلكنا سبيل الخطا واسرعنا في التشبّع الخطا ، فالغرض ستر
العيوب والعفو عما سبق من الذنوب ، فان مثل السولى من يصفح ويعفو وعين
الانصاف منه لاتغفو ، ثم انشد في الحال بعد الاعتذار بما قال :

عن الذنب منى عفوك الان لائق ولا سيما اذ لم يكن منك عائق
وان كنت قد فرطت فيما فعلته فان لسانى باعتذارى ناطق
وهبني فعلت الذنب عمداً فاننى بعفوك يا مولاي ما دمت واثق
فلولا الرضى والحلم ما ساد في الورى اناس ولولا الجود ما جاد رازق

فلما سمع الفقر هذا الثناء الجم عزم على مقابلته بما هو اكمل منه واتم ، فقال:
لاشلت منك الايادي ، ولا برحت سابعة عليك الايادي ، فلعمري ان عساكر ابن
عساكر مكسورة ليدك ، وابن السمين ضعيف بالنسبة اليك ، وابن الخبير علمه
كالموهوم ، وابو البقاء فضله كالمعدوم ، والفاضل ابن الخطيب عود فهمه غير
رطيب ، والواحد ابن مالك اعقله غير مالك ، والكمال ابن هشام في وادي الحيرة
والهيام ، وابن عمار في بحر الافكار ، وكثير عزة اقل قليل ، وجميل بثينة غير
جميل ، وقيس بن ذريح غير معدود ، ومجنون ليلى جيب صبره مقدود ، وابن
النبية في غاية الغفلة ، وابن الظهير قد عدم عقله ، وابن المعتز في نهاية الذلة ،
وابن التعاويدي قد نهكته العلة ، وابن جنى كالمجنون ، والاعشى يتمنى انه لا
يكون .

هذا مع انك اعلم من العرب بنيرانها ، ومن العروضيين بأوزانها ، ومن
النحاة بالامثال ، ومن المنطقيين بالاشكال ، ومن الفقهاء بالاقوال ، ومن علماء
الاصول بتحقيق الدليل والمدلول ، ومن الحكماء بالحكمة العزيزية والانواء
السماوية ، ومن المنجمين بمعرفة السعود والنحوس ، ومن اهل الهندسة بشكل
العروس ، ومن علماء اللغة بدارات العرب ، ومن اهل الموسيقى بالآلات الطرب ،

ومن علماء الدراية بصحيح الرواية ، ومن علماء التفويم والزيجات بمعرفة مقادير
الحركات ، فأنى بضاهيك احسد فى الكمال واليك جميع الفضل آل ، وكيف
لا وابو نصر من فضل ما بك استقى ، ومن هبوب نسيم تدقيقك اعرب الذكر
ابو البقاء ، والفاضل ابن الحل بك عقد الاشكال حل ، والكمال ابو المعالى منك
استفاد المقام العالى ، وبما حباك به مولاك من اللطاف استفاد حسن الجواب ابو الهذيل
العلاف ، ومن جزيل فضلك المعروف استفاد المنح الكرخى معروف ، ومن
قدرك الكبير حصل الكمال الصولى الشهير ، ومن نفسك الابية استفاد زهده
ابن القوطية ، وكفالك فخراً أن الفضل بن يحيى من جملة احفادك ، وكافور
الاشيديدى ممن سلك طريق ارشادك ، والصاحب ابن عباد أوجد الزمان من
المعدودين لك فى الاعوان والفضل بن سهل من جملة الاهل ، وهارون الرشيد
أحد العبيد ، وسيف الدولة من جملة العيلة ، وابو دلف من مائك اغترف ، ومعن
ابن زائدة عطاياه من فضلك وارده .

على ان اباديك عندى ايها المولى غزيرة ، ومنك لدى بالفصح عن العثرات
غير حقيرة ، وأنا الاحق بالاعتراف بالتقصير والاحرى بطلب العفو من فضلك
المخاطر ، ولئن ركبت على متن العجز عن القيام بواجب الحقوق ، واتنصبت
لمناواة مقامك واتثرت العقوق ، فأنت صاحب الجود ولك شرطى ألا اعود ،
ثم انشد مجيباً على وجه الاعتذار راجباً منه الصفح عن العثار :

تعاليت قدراً أن يضاف لك الذنب	وان لسانى منه يبدولك العتب
ولكن لدي الذنب والعفو منكم	هو المرتجى فى الدهر مادتم حسب
وحاشاكم ان لاتجسودوا لطالب	رضاكم ونحو الغير ما عاش لا يصبو

فقال له الغنى : لافض الله فاك ، ورحم جدك و اباك ، فمئلك من يقصد النفع
ويصفى الى فوائده السمع ، وتدوم لاجله الصحبة وتفعل لاجله القربة ، ولديك

يليق الخضوع واليك بحسن في المهمات الرجوع، وبك يستفاد من الوسواس
وتستقل بكمال الادراك الحواس، وبفضلك تفخر الازمان وبطاعتك يحصل الامان
وبيركائك تنال المطالب وبدعائك يتوصل الى المآرب، وكيف لا وابن ادهم من
جندك، ومسكين الدارمي اخذ زهده من عندك، والسهروردي اغترف من بحر
افضالك، ومالك بن دينار استفاد من كمالك، والبروي استفاد منك الوعظ
والاستكانة، وابو البركات لولاك ما حصل له الورع والامانة، وابراهيم القرشي
منك استفاد الكرامات، وابن شمعون بسببك نطق بتلك الاشارات، وابوالعباس
الزاهد الى كمالك فضله عائد، والعبادي المعروف بالامير استفاد وعظه من علمك
المخطير .

غير أنك ايها المولى الكامل والواحد الحبر الفاضل، حيث قد وقع منا
على الاتفاق الاعتماد بعد جهادنا النفس الامارة ابلغ جهاد، فالانسب لنا المعاشرة
بالمعروف واجتناب كل سبيل مخوف، واعلام كل منا لآخيه ما في نفسه مكتوم
ليكون في جميع أحواله مند على امر معلوم، فان ذلك من شرائط الاصحاب
واحسن أوصاف الاحباب، وبدون ذلك يبقى كل منا على وجل الى انقضاء العمر
وفناء الاجل، وهو حينئذ موجب لاعادة ما كان والخروج عما وقعت عليه العهود
والايمان . على أنه قد بقي في النفس شيء على سبيل الاستفادة والغرض من
جنابتكم أن يكون القصد لعبدكم محض الافادة، من دون اسراف في المديح
وان امكن بالاضمار فهو أولى من التصريح، وها هو على حسب التيسير والقصد
المسامحة في القليل والكثير، ثم انشد ما خطر بعد الاعتذار بما ذكر :

يا ايها الحبر ومن عنده	فنون كل العلم محصوره
ومن بنعماه قلوب الورى	أضحت مدى الايام مجبوره
ما اسم ثلاثى لدي قلبه	صلاة بعض الناس محظوره

لكن على بعض المعانى له

وان تصحف قلبه تلفه

فقال الفخر : لله در زمان أطلع بدرك وأعلى الله فى العالمين ذكرك وقدرك

فلقد جئت من القول بالسحر الحلال ورويت ظمأ قلوبنا من ماء فضلك الزلال،

ولعمري ان اللسان عن بيان بعض أوصافك قصير وكمال صفاتك وان أظن

فيها الذاكرون فهو قليل من كثير، ولولا أجر الاجابة لكان ترك الكلام أقرب الى

الاصابة ، اذ ما اذكره فى جواب مقالك لا بعد مما يليق بحال امثالك. ثم اخذ فى

الافتكار بعد ما قدم جملة من الاعذار، وأنشد فى تلك الحال مجيباً عن السؤال :

يا كاملاً اوصافه قد غدت

ومن جيوش الفضل عادت به

ان الذى ألغزته اصبحت

وما أظن الامر يخفى وقد

بين جميع الناس مشهوره

على خميس الجهل منصوره

ألفاظ نظمى فيها مسطوره

واقفت اللام به سوره

فلما سمع الغنى الجواب وعلم انه على وفق الصواب ، قال مستحياً مما أبداه

ومتفكراً فيما جمعه من الكمال وحمواه : لا قلت منك الضارب ولا زالت آتية

اليك المطالب ، لكن ذلك غير عجيب من المولى ، فان قدره من ذلك أعلى،

غير أن وساوس الصدور توجب على المرء اضطراب الامور، وان كان الباطن

قد صفا من كدر النفاق والقلب لزم المودة السليمة وراق ، فان رأى المولى من غير

ملالة ان يظهر لي لماذا صار به فى هذه الحالة ، اذ عوارض الدهر وان كانت

كثيرة الاسباب محتملة للاكثار والاطناب، الا أنها مقولة بالتشكيك وفيها المتين

والركيك، والغرض علم العبد بالتفصيل وعدم القناعة عن الكثير بالقليل، فلعلني

أن اكون لك معيناً اذا صرت لها مبنياً .

فقال له الفخر: أيها الاخ ان شرح حالي يطول فيه القول ، وبيان مجمل

ضرى يحوم حوله العول، اذ الطالع فى الدهر منحوس والحظ فيه منجوس ،
 ما مدت يدى لامر الا ورأيتها قصيرة ولا رجوت النفع من هذه الدار الا كانت
 بالمنع جديرة ، غير أنك ينبغي أن تعلم أن الرجال بالنفوس لا بحطام الدنيا
 وحسن اللبوس، والفخر بالكمال لا بجمع المال، والعلم بمجاسة القوم لا بطول
 الزوم ، وها أنا ذا كرك من شرح حالى فى النظم ما يمكن بيانه ، ومظهر من
 سرى ما لا يسعنى اضماره وكتمانه ، ثم انشد على الارتجال ما اقتضاه الحال :

يا سائلى آلان عن مقامى	وما الذى ساق لى البليه
ان حديثى يطول شرحاً	عن كشفه تعجز البريه
لكن سأنهى اليك بعضاً	منه فنفسى به سخييه
فلا تكن فيه ذا شكوك	اخبياره كلها نقييه
ورب شخص ثقيل طبع	عن صدقها نفسه ابييه
فكن سمياً ولا تلمنى	أسباب ضرى اذا قويه
قد كان بالصفو جاء دهرى	حين صباحى وبالعشيه
فنت ما اشتهى ودارت	على الاعادى رضى المنيه
ثم رمانى بسهم غيدر	والدهر افعاله رديه
ان جاء بالوعد ليس بوفى	وبالردى نفسه سخييه
أفعاله رفع كل غمير	وخفض من خص بالمزيبه
فان يلمنى اخيو ملام	فالحال عن نعتها غنييه

فقال الغنى بعد سماع المرام والاطلاع على ريد هذا الكلام : قد كشفت عنى أيتها
 المولى كل ريب ، اذ أطلعتنى على ما اظهرت لى من الغيب، والذي ينبغي لك ان
 لا تكثرت من فعل الدهر واستيلائه على اهله بالغلبة والقهر فان ذلك دأبه فى اهل
 الكمال ، وحسبك الاسوة بالنبى والال .

ثم تفارقا على احسن اتفاق ، ولو ما شرائط الوفاق .
وانا أقول : انى أسأل ممن وقف على هذه الكلمات ان لا يبادر اليها بنفي
ولا اثبات ولا يؤخذنى بما فيها من الهفوات ، فانها صدرت عن فكر بهموم الدهر
مشغول وقلب يقفل الاهوال مغفول ، وكيف لا وهذا الدهر أقام على عنادى وهو
الحريص على حرمانى من مقصدى ومرادى ، الا أنى أرجو من كرم ذى المنن
أن يجزىنى على الصبر الجزاء الحسن، ويحق لمثلى انشاد ماسنح عساه ان يكون
موجباً من الله سبحانه للمنح .

استغفر الله مما قد جنته يدي	عمداً ومما جنى سمعى مع البصر
واسأل الصفح عما كنت متبعاً	للنفس فيه وما ضيعت من عمرى
فكن سميع الدعاء واغفر لمعترف	بأمالك النفع للمخلوق والضرر
وجد علينا بما ترضاه من منح	وان ركبتنا متون الجرم والمخطر
ولا تؤاخذ عبيداً عزهم كرم	لسيد من رجاه فإز بالظفر
وما لنا يا اله الخلق من عمل	يكون فيه نجاة من لظى سقر
ألا ولا أشرف الهادين قاطبة	وخير من جاء بالآيات والسور
والال والصحب من خصوا بمنزله	همت لديك وجاءتهم على قدر
فجد عليهم الهى بالصلاة كما	جعلتهم فى البرايا اشرف البشر

نجزت الرسالة الموسومة بتحفة الدهر فى المناظرة بين الغنى والفقر فى
ساعات يسيرة ، ولعلها فى الجملة غير حقيرة، والحمد لله وحده وصلى الله على
من لانبى بعده وآله وصحبه - انتهى كلامه اعلى الله مقامه .

[فصول من نسيم الصبا]

ومن ذلك ما اخترت نقله فى هذا الكتاب وهو فصول من كتاب نسيم الصبا ،

والكتاب ثلاثون فصلا ومنشئه الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، فمما نقلته،
(فصل فى اقسام العام)

حضر فصول العام مجلس الادب فى يوم بلغ منه الارب نهاية الارب ،
بمشهد من ذوى البلاغة ، ومتقنى صناعة الصياغة، فقام كل منهن يعرب عن نفسه
وبفتخر على ابناء جنسه .

فقال الربيع : انا شباب الزمان وروح الحيوان وانسان عين الانسان ، انا
حياة النفوس وزينة عروس الغروس ، ونزهة الابصار ومنطق الاطيار ، عـرف
اوقاتى ناسم وايامى اعياد ومواسم فيها يظهر النبات وتنشر الامسوات ، وترد
الودائع وتنحرك الطبايع، ويمرح جنيب الجنوب وينزح رجب القلوب، وتفيض
عيون الانهار ويعتدل الليل والنهار، كم لي عقد منظوم وطرازوشي مرقوم وحلة
فاخرة وحلية ظاهرة ، ونجم سعد يدنى راعية من الامل، وشمس حسن تنشديا
بعدمابين برج الجدي والحمل، عسا كرى منصوره واسلحتى مشهورة، فمن سيف
غصن مجوهر ودرع بنفسج مشهر ، ومغفر شقيق احمر، وترس بهار بههر، وسهم
آس برشق فينشق ، ورمح سوسن سنانه ازرق تحرسها آيات وتكنفها ألوية
ورايات، بى تحمر من الورد خدوده وتهتز من البان قدوده ويخضر عذار الريحان
ويبتبه من النرجس طرفه الوسنان ، وتخرج الخبايا من الزوايا ويقتر ثغر
الاقحوان قائلا « ابا ابن جلا وطلاع الثنايا » .

ان هذا الربيع شىء عجب تضحك الارض من بكاء السماء

ذهب حيث ما ذهبنا ودر حيث درنا وفضة فى الفضاء

وقال الصيف : انا الخل الموافق والصديق الصادق والطبيب الحاذق ،
أجتهد فى مصلحة الاصحاب ، وأرفع عنهم كلفة حمل الثياب ، وأخفف اثقالهم
وأوفر اموالهم، واكفيهم المؤونة وأجزل لهم المعونة، وأغنيهم عن شراء الفراء،

وأحقق عندهم ان كل الصيد فى جوف الفرا .

نصرت بالصبا وأوتيت الحكمة فى زمن الصبا ، بى تنضح الجادة وتنضح
من الفواكه المادة ويزهو البسر والرطوبة وينصلح مراج العنب ، ويقوى قلب
اللوزة وبلين عطف التين والموز ، وينعقد حب الرمان فيجمع الصفرا ويسكن
الخفقان ، وتخصب وجنات التفاح ويذهب عرف السفرجل مع الرياح وتسود
عيون الزيتون وتخلق نجاب النارانج والليمون : مواعدي منقودة ومواندى
ممدودة ، الخير موجود فى مقامى والرزق مقسوم فى ايامى ، الفقير يتصاع بمل
مده وصياعه ، والغنى يرتع فى ربيع ملكه واقطاعه ، والوحش تأنى زرافات
ووحداناً ، والطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً .

مصيف له ظل مديد على الورى ومن حلاطعمأ وحلل اخلاطأ
يعالج انواع الفواكه مبدياً لصحتها حفظاً يعجز بقراطأ

وقال الخريف انا سايق الغيوم وكاسر جيش الغيوم وهازم احزاب السموم ،
وحادى نجائب السحاب وحاسر نقاب المناقب ، انا اصد الصدا واجود بالندا
واظهر كل معنى جلبي واسمو بالوسمى والولى ، فى أيامى تقطف الثمار وتصفو
الانهار من الاكدار ، ويتفرق دمع العيون ويتلون ورق الغصون . طور ايمان
البقم وتارة يتشبه بالارقم ، وحيناً يبدو فى حلتة الذهبية فيجذب الى خلتة القلوب
الايبة ، وفيها يكفى الناس هم الهوام ويتساوى فى لدة الماء الخاص والعام ،
وتقدم الاطيار مطربة بنشيشها راقلة فى الملابس المجددة من ريشها ، وتعصر
نبت العنقود وتوثق فى سجن الدن بالقيود ، على أنها لم تجترح ائماً ولم تعاقب
الا عدواناً وظلماً ، بى تطيب الاوقات وتحصل اللذات وترق النسيمات وترمى
حصى الجمران ، وتسكن حرارة القلوب ، وتكثر انواع المطعوم والمشروب ،
كم لى من شجرة اكلها دائم وحملها للنفع المتعدى لازم ، وورقها على الدوام

غير ذابل وقدود أغصانها تخجل كل ربح ذابل .

ان فصل الخريف وافى الينا يتهادى فى حليته كالعروس

غيره كان للعيوب ربيعاً وهو ما بيننا ربيع النفوس

وقال الشفاء : انا شيخ الجماعة ورب البضاعة والمقابل بالسمع والطاعة
أجمع شمل الاصحاب وأسدل عليهم الحجاب واتحفهم بالطعام والشراب ،
ومن ليس له بى طاقة اغلقت من اجله الباب، اميل الى المطيع القادر المستطيع
المعتضد بالبرود والفرا المستمسك من الدثار بأوثق العرى ، المرتقب قدومي
وموافاتي المتأهب للسبعة المشهورة من كافاتى ، ومن يعش عن ذكرى ولم
يمثل امرى ارجفته بصوت الرعد وانجرت له من سيف البرق صادق الوعد ،
وسرت اليه بعساكر السحاب ولم أقنع من الغنيمة بالاياب ، معروفى معروف
وبتل ينلى موصوف وثمار احسانى دانية القطوف ، كم لى من وابل طويل المدا
وجود وافر الجدا ، وقطر حلا مذاقه وغيث قيد العفاة اطلاقه ، وديمة تطرب
السمع بصوتها وحيأ يحيى الارض بعد موتها ، ايامى وجيزة وأوقاتى عزيزة،
ومجالسى معمورة بدوى السيادة مغمودة بالخير والمير والسعادة ثقلها يأتى من
انواعها بالعجب ومناقلها تسمع بذهب الذهب، وراحها ينعش الارواح وسقاتها
بجفونهم السقيمة تفتن العقول الصحاح، ان زرتها وجدت مالا ممدوداً وانرزتها
شاهدت لها بنين شهوداً .

واذا رميت بفضل كاسك فى الهوى عادت عليك من العقيق عقودا

يا صاحب العودين لا تهملهم .ا حرك لنا عوداً وحرف عودا

فلما نظم كل منهن مقاله وفرغ من الكلام على شرح حاله ، أخذ الجماعة
من الطرب ما يأخذ اهل السكر ، وتجاذبوا أطراف مطارف الثناء والشكر ،
وظهرت اسرار السرور وانشرحت صدور الصدور ، وهب قبول الاقبال وأنشد

لسان الحال :

وماذا يعيب المرء في مدح نفسه اذا لم يكن في قوله بكذب
ثم انغض المجلس وحل النطاق، وتفرق شمل اهله و آخر الصحبة الفراق.

(فصل في الفراق)

الفراق جمع الله الشمل بمحياتك ورعى ودك على بعد المزار وحياك ، قد
اجترا واجترح واذهب المسرة والفرح ، وضيق رجب الفضا وقلب القلب على
جسر الفضا ، وأورث الكمد واذاب جليد الجلد ، وجاب وجمال ونثر عقود
الاحتمال ، وأوجد الوجد والهيام وأحوج الصب الى العيث بالاقلام .

كنت وعندي من فراغك لوعة تزيد بكائي وثقل هجوعي
فلو أبصرت عيناك حالي كاتباً ادن كنت ترثي في الهوى لخضوعي
اخط وداعي الشوق يملئ وكلما تعديت سطرأ ازملته دموعي
يالها لوعة اسعرت وقد الظلوع ، ومالت الى الصبر فأذوت منه الاصول
والفروع ، وصباية صبت النفس اليها ووقفت لامثال الامر طائفة بين يديها ،
وعزماً يلازم عزيزم الفواد ويتكلم من الدموع بالسنة حداد ، وشوقاً الى
تلك الليالي المستنيرة والايام التي يطول الشرح في وصف محاسنها وان كانت
قصيرة .

حيث اللقا والنوى حل ومرتحل والدهر يقضى لنا من وصلك الفرضا
لئن تعوضت عنا غير مكترث فعنك مادمت حياً لم أجد عوضاً

الى الله اشكو جود أحباب لاشك في ظلم ظلمهم ولا رتياب :

ساروا وسر الوجد قلبي أودعوا باليتهم يسوم النوى لسي ودعوا
افديهم غائبين أطلوا شقة البين ، ونازحين سكنوا القلب حين غابوا

عن العين .

رحلوا عن الاوطان لكن في الحشا نزلوا وماراعسوا ولكن روعوا

كيف العمل عن الاحتيال ، هل من طريق الى منزلة الوصال .

يا صاح ان طبساء جيران النقا جادوا علي فدلتني ما اصنع

احسن بهم طبباء غير اوانس كم أسهرت العشاق عيونهم النواعس .

نفر واما التفتنوا وعادة مثلهم يتلقنون اذا تقاراً أو قمعوا

ايها المغرى باللوم والتفنيد لاتنعب نفسك فيما لايجدى ولا يفيد .

قسماً بهم مالي غنى عنهم ولو أمسيت كاسات الاسى اتجرع

كف كف العدل والتأنيب ، فلست أحول عنهم ولو يرانى النحيب .

وانا المقيم على محبتهم وان حفظوا عهدى فى الهوى أو ضيعوا

نعم اقيم على الود والمحبة وادعى رب الخال ولو اشترى قلبى بحبسه ،

وأحفظ زمام الدمام وأصبر فى هاجرة الهجر على الاوام ، واتعدل بعل وعسى

واتحمل مشقة اسى جرح الاسى ، وأتعلق بأذيال ضيف الطيف وأتثبت بأن اوقات

العراق سحابه صيف .

وأطوف فى تلك الديار مسائلا عن أهلها ابكى على ما قد جرى

لله بعد البعد حمر مدامع بنصارها المبدول قد أنرى الثرى

وقد علم الله ان يوم النوى أضعف بناء جسدى بالهوى فهوى ، واحال صبغة

حالى وسفانى كاس بعد مذاقها غير حالى ، فعدت ذاسكر دائم وعناء تحل دونه

عقد العزائم ، القلب مأوى الهموم والطرف موكل برعى النجوم ، والكابسة فى

الخاطر خاطرة والعين الى نحو الطريق ناظر ، واسياف الغنا تجرح الجوارح

وسهام الجوى تجنح الى الجوانح ، لا اعرف لذة الوسن ولا امل من اليسير

فى حزن الحزن ، ولا ارد الماء النмир الامشوباً من كبدي ببحر السعير ، ان مر الفكر فى

خلدى شرحته صدرأ وان دعانى الذكر الجميل مرة لبينه عشرأ ، ولو لارجاء

العود والاياب لانفصمت من قوى حياة العليل عرى الاسباب ، فنبأ لايام الصد
والقطيعة وسقياً لاوقات كانت على رغم العدا مطيعة ، حيث الاوطان عامرة ووجوه
الاطوار ناضرة ، واغصان العيش مايدة ، وصلة الاحباب عائدة .

وسعاد تسعدنا بروضات الرضى ويغما منها سنأ و سناء
لهفى على ذلك الزمان وطيبه فلفقده انا والحلال سواء
امبشرى برجوعه لك عن رضى روحى وما ملكت يداى فداء
والله المسئول فى بلوغ الامانى و اباحة ممنوع التلاقى والتدانى ، واجتماع
المشوق بأهل وداده ونصرة المظلوم على اعدائه وحساده ، فانه نعم المولى ونعم
النصير وهو على جمعهم اذا يشاء قد ير .

(فصل فى وصف الجارية)

نافت نفسى الى زبارة بعض الاحذان فسرت اليه مشتراً فضل الاردان ،
فى ليلة سما قدرها وتجلى على السماء بدرها ، فلما وصلت اليه وانتظمت فى سلك
المجتمعين لديه ، ظهر لى أنه متشوف الى قادم ومتشوق الى حضور منادم ،
فكشفت الخبر وتقصص الاثر ، فقبل لى انه واعد بعض الحسان وهو منتظر
اياب الاحسان ، فما أتممت الكلام واتصلت من العلم الى المرام الا وقد أقبل
من الباب خودت خنلس الالباب ، غاده دود طفله أملود كاعب رواح ترتاح لها
الارواح عديمة المثل نشأت فى حجر الدلال ، يسرح الطرف فى روض جمالها
ويتنزه وتمحوب كثير محاسنها ذكر عزه ، فى حليها وحللها تميد وتميل وبالجملة
فهى ثنية الحسن لان وجهها جميل ، فوقفت واستأنست . ثم سلمت وجلست ،
فسر الجماعة بورودها وتملوا من جنة وجنتها بورودها ، وأقبل يمن فالهم وأنشد
لسان حالهم مص .

اهلا وسهلا بها من عادة سمحت بالوصل ليلا ولم تحذر من الحرس

لما تبدت اضا الداجى ولاعجب بطرة الصبح تمحا آيسة الغلس
فلما كشفت القناع وصدق النظر السماع ، تأملت اوصافها وسيرت شمائلها
واعطافها ، فرأيت ما يشرف النظر ويشنف السمع ، وبذيب القلوب على نار
ذوب الشمع ، فمن فرع نامى الاوراق مرسل لتعديب العشاق ، جئـل اسحم
يلتوى كالارقم غدائر مجمدة كالغدير وصفائره مظفر بقتل الاسير :

فكأنها فيه نهار ساطع و كأنه ليل عليه مظلم

ووجه مشرق الانوار يحجج الى كعبته الابصار، يزين اللالى والدرر ويستمد
من ضوء الشمس والقمر ، مرآته صقيلة ومعانى حسنة جميلة ، يترقرق فيه ماء
الصبا وتخفى من لعمه بروق الظبا :

عوذت بالسور المنيرة وجهها وهو الجدير بأن يكون معوذا

وجبين واضح نحن اليه الجوارح بلا لامصاحبه وبيتلج فى ليل الطرة صاحبه
فتاة يسر القلب والظرف حسنهما كأن الثريا علقت فى جبينها ، وحواجب تذيب
المهج وتجذب الارواح من قبا بقبضة البلح ، كأنها هلاك محتى القوام أوفخ
نصب لصيد الغرام :

اذا سمت تحت الحاجبين جفونها ترى السحر منها قاب قوسين أو أدنى
وعيون بابلية كم أوقعت بمن اليها صبا بلية ، تسل السيوف وترسل الحتوف
صحاح مراض ليس لسهامها سوى القلوب اغراض لله ، أي لوا حظ غلابة للاسد
فى وثباتها وثباتها ، وخذ كالجلنار قد جمع بين الماء والنار ، يشف الراح فى
زجاجه وبهتدى الحائر بنور سراجـه ، يزهى بورده الاحمر الطري واظنه من دم
المحبين غير يرى (الشيخ جمال الدين) .

تر كية للقان ينسب خدها واشقوتى منها بخدقاتى

وخال يختال فى أحلى الحلل له من الاقراط والشنوف حول كأنه من الدائرة

قطبها ، ومن القلوب المتقلية على ناره حبها :

فتنت بخال فوق حذك صانه ابوك فويلي من ابيك وخالك
ومرشف عذب الارياق رضابه لسليم الهوى نعم الترياق ، فيه ماء مبرد
وثقر جوهرى صحاحه منضد ، ولعس يهيم به ذو الشوق وشهد يشهد بحلاوته
الذوق .

وبه شراب مسكر مما ذفته لكننى أروى عن المسواك
وعنق كعنق الريم در عقوده نظيم ، يطوف الحلوى بأركان الرق بورقه وعقبانه .
وجيد جدابة لا عيب فيه سوى منع المحب من العناق
ونهود كالعاج ملتحفه عبروط الديباج ، رفيعة المنار شغلت الحلوى أن يعار ،
ان ثبتها لم يجد عندها عطفاً لمرتاح وان لثمتها نشقت من الرمان عرف التفاح .
كحقيين من لب كافوره برأسيهما نقطتا عنبره
ونيان رطيب على مثله يدور الخصيب ، مقبل بالافوا مصافح بالجبا ، فضى
الاهاب مرقوب بالخضاب .

فما اعذب السكب من أدمعى واحلى المشبك من نقشها
وقوام يقيم الحروب ويثير كركروب ، كامل الحسن مهفهب وافر الدل منقف ،
الرماح تخضع لديه والاغصان تسجد بين يديه .
وقد روت عن لينه واعتداله صحاح العوالى مسنداً بعد مسند
وحضر تخيل يشكو من روفها الثقيل لبس فيه خط للمجتنى لوسالته عنه
لقات فنى .

عبون الناظرين به احاطت فلم تحتج الى عقد الوشاح
وارداف كالأحفاف وعددها مرسوم بالأخلاف ، خارجة عن العادة لكن فيها
للمحبين الحسنى وزيادة :

تمشى بأرداف ابين قعودها بين النساء كما ابين قيامها
وسوف جمد ماؤها وبهر الاعين ضياؤها ، مشرقة النور قصبها من البلور :
لو لم يكن من برد ساقها لا احترقت من نار خلخالها
واقدم لها على السعى فى الفنك اقدام ، تمشى كالفطما ولا تخطىء قياس
الخطا :

كان مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لارثب ولا عجل
وعليها من الحلوى والحلل ما يفتن العقول ويدهش المقل ، فمن دريتيم كثفرها
وبلور صاف كصدرها ، وعقيق كشفنها ، وبافوت كوجنتها ، وسبيج كأجفانها وزمرد
كنقش بناتها وقميص رقيق الحواشى ومطرف بحار فى وصفه الناشى :
الى مثلها يرنو الحليم صبابة أداماً اسبكرت بين درع وبحول
فلما انست بالقوم كفت عنها لسان اللوم ، وظهرت عن خلق وسيم وطباع
الطف من النسيم ، ومنادمة تطرب الاسماع ومداعبة ما الصبر عنها بمستطاع ،
وملح الذ من الماء الزلال وحديث لو لم يحن قتل المحب لقيلى هو السحر
الحلال :

ان طال لم يملل وان هى اوجزت ود المحدث انها لم توجز
والسعد يطلع نجمه والشمع واقف فى الخدمة ، وعرف الطيب يفوح واعلام
الهنا تلوح ، وشمل الصد يمزق والعود يحرك ويحرق ، يالها ليلة محى ظلامها
ونور الان ابتسامها ، وجلبت عروسها وطلعت خارقة للعادة شمسها ، لم فرفيها
مايشين وبعبب سوى أنها كانت أقصر من جلسة الخطيب ، ولم نزل فى بشروا فر
وسرور متواتر ، نجتلى وجوه الافراح المتتابعة ونجتنى من الوصل ثماره البانعة ،
الى ان صاح العترقان ولاح فى المشرق ذنب السرحان ، فغرمت الجارية على
الذهاب وأمرت باحضار الازار والنقاب ، فقمنا الى موقف الوداع وتشفت الشمل
بعد الاجتماع .

وكان الدمع لى ذخرأ معدأ فأنفقت الذخيرة حين ساروا

(فصل فى مدح العشق وذمه)

سألنى بعض المائلين الى الهوى ، المصابين بسهم الصبابة والجوى ،
الساهرين فى الليل الطويل من الذوائب ، الذين صرفوا على المحبة حبات
قلوبهم الذوائب ، عن مراتب العشق وضروبه وقبائل الحب وشعوبه ، وهزله وجوده
وجزره ومده ، وشواهد شهبه وسمه وما قيل فى مدحه وذمه ، فأجبتة الى سؤاله
وجمعت بينه وبين آماله .

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبيرأ جل عندى بأوصافها علم

يا هذا ان اول العشق استحسان ، من يلائم الطبع من الجوارى والغلمان .
يحدث منه ارادة القرب والمودة ثم يقوى الود فيكون حبأ لا يمكن القلب رده ،
فاذا استحكمت المحبة فى القلوب عادت هوى بهوى بصاحبه فى اختار المحبوب ،
ثم يصير عشقأ ثم تتيماً ، ثم يرجع ولها على العقل مخيمأ ، وهو طمع فى
القلب يتولد يعظم بالحرص على الطلب ويتأكد ، يخفى عن الابصار ويهيج
بالججاج والتذكار ، كامن كالنار فى الحجر والزهر فى الشجر ، ان قدحته أورى
وان سقيته اخرج نورأ .

العش أول ما يكون مجانة فاذا تحكم صار شغلا شاغلا

فأما اوصافه الممدوحة فانه جليس ممتع بمشاهدته واليق مونس بمنادمة ،
مسالكة لطيفة وممالكة شريفة ، برق لامع ونور ساطع ، تستضى به نواظر العقول
ويفعل فى الشماثل ما تفعله الشمول ، ويتصل بجواهر النفوس فيزيل عنها لبوس
البؤس ، فرح يجول فى الروح وارتياح يعذو فى القلب وبروح ، وسائح ينشر
من البشر ما انطوى ، وسرور ينساب فى اجزاء القوى .

اذا انت لم تطرب ولم تدرى ما الهوى

فكن حجيراً من يسابى الصخر جلمدا

يطلق اللسان ، ويشجع الجبان ويصفي الأذهان ، يولد الاخلاق الجميلة
ويرغب في اكتساب الفضيلة ويفتح للبلدباب الحيلة، ويرفع لواء الهمم ويبعث
على الحزم والكرم ، يلفظ الطباع ويشنف الاسماع ، ويدعوا الى تحسين
اللباس ويستميل بالرياضة أهل الشماس ، لايقع فيه الامن قلبه صاف ولا
يسلم منه الاكل جلف جاون .

فان شئت أن تحيي سعيداً ، نمت به شهيداً والا فالغرام له أهل
وأما أوصافه المذمومة فان له ملك قاهر وحاكم جابر، هزله جدوراحته تعب
وأوله لعب وآخره عطب ، يعترى ، النفوس العاطلة والقلوب الفارغة ، ويكشف
من الاراء شموستها البازغة، ويسوق الى وليه غمام الغم ويهيم به في وادى الهم،
يذهب العقل وبمرض الجسد، ويقوى الفكر ويضعف الجلد، ترتعد منه الفرائض
وتنفذه نار النقائص ، يستعبد الاحرار ويستأس ذوى الاقدار ، ويصفر الابدان
ويوقع في الذل والهوان .

وكنت اظن الهوى هيناً ، نلاقيت منه عذاباً مهيناً
يورث الاسف والحرق ويجلب الوسواس ، والارق، ويجدد ملابس الوجد
والالم ويمنع عن الاشتغال بالعلوم والحكم، يحارب ارباب الشبهات ويستخدمهم
في تدبير الشهوات ، ويعطل عن المصالح ويجرح بمدينه الجوارح من جنده
الغرام والكلف ومن رفده الهيام والشغف ، يعوق الطالب عن الاستفادة
ويشغل الانسان عما خلق له من العبادة ، جان بفضى الم حنون ويدنى أهل المنى
الى المنون .

وماعجب موت المحبين في الهوى ولكن بقاء الم عاشقين عجيب
واعلم وقال الله شر الشر ان أقوى اسباب العشق النظر ، رياحه تنشىء
سحائب الفكرة ، ومرآته تجلو على القلب محاسن الصور ، فان قى النظرة بعد

النظر ، فانها تزرع حب حب ينبت سنبل الحسرة ، كم سلنب النظر قلب عابد ،
وكم فتن عقل ناسك وحل عقد زاهد ، واجرى آفة وقرن ذلا بمخافة ، وأثار
غبار معركة وألقى شهماً الى التهلكة ، وأقام حرباً على ساق وسفك الدماء وأراق ،
وأوقع فى مصائد المصائب وهشم العظام بأنياب النوائب .

فمن كان يؤتى من عدو وجاسد فإنى من عيني أتيت ومن قلبى
فاسلك طريق السلامة لتصل الى دار الكرامة ، واقطع أسباب المطامع
واشتغل عن المصنوع بالصانع ، فأما من آثار اللذات فقد تورط فى حبات البلوى
وانتهى من حرم الحرمان الى الغاية القصوى ، وأما من خفاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى .

(فصل فى الشيب والخضاب)

رأيت بعض مشائخ الأصحاب ، وهو يتعاطى ما يتعاطاه الشباب ، فقلت يا من
وخطه الشيب جاءك النذير بلاريب ، فاصرف عين العيب واتق عالم الشهادة
والغيب ، نأت الغرائب السود ، وذات البزاة واثبة كالأسود ، وظهرت غرة القمر
وأومض البرق فى ليل الشعر ، ورمى فاحم الفود بضده واشتعل المبيض فى
مسوده ، قدم رائد الهداية وذات الغواية ، وطلبة العفاف وذريعة الانصاف ،
ومظنة الوقار ومشرق الأنوار ، فخل الخلال الجانية عليك أحسن كما أحسن
الله اليك .

انما تحس الرضا اذا ما ضحكت فى خلالها الانهار
من شاب غدارة اسم تقبل اغداره ، من عزل غيابه والى مصابه ، من لمع ضوء
فرعه تفرق شمل ج معه ، من كبر ذوى عوده وبانت سعوده وافل نجمه ووهن عظمه
وضعف بعد القوية جسمه وخمدت منه الأنفاس ونفرت عنه طباء الكناس .

لو كان عمر الفتى حساباً كان له شيبه فذلك

يسا من ادراكه المشيب أترك الغزل والنسيب وارجع الى الله من قريب ،
ولذبا المتاب واعدل عن الخضاب، واخش نصول النصول ودع من يزور ثم يزول،
لاتطمع بوصل الحسان واكتب لهن تسريحا باحسان ، واحذر منهن العدو
الازرق واسبق الى منعهن من قبل أن تسبق .

عذر الكواعب انهن كواكب لا يجتمعن مع الصباح اذا بدا
فنظر الي مليا وقال لقد جئت شيئا فريا ، يا هذا أنت ناصح امين أم ذابح
بغير سكين ، نكست الاعلام وفتنت الاحلام، وفخمت الوعيد وجلت في ميدان
التهديد، وأثرت نيران التلف ووترت عفا الله عما سلف، وأدريت غمام الغم ومدحت
ما يستحق الدم .

ما رأينا المشيب الا كتلج أبيض بارد قليل المقام
واها له من زائر يظهر العدل وهو جائره ، يأتي من الشهب على كل ضامر
ولخرب من الاعمال كل عامر لا يرجا لسليبه عوض ولا يقضى لصاحبه غرض، ناع
ينفض لذة الرقاق وساع يطوف بحرمة الفراق، وملوك لا يعتنى بحفظ ميثاقه ،
ورسول معجزته الخوف من اجتماعه والفرق لفراقه :

له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسقع
غرة مرة ونور ليس معه مسرة يبلى الجديد ويصيد الصيد ، ويعتدى على
الشباب ويفرق بين الاصحاب ، ويسود ببياضه اللون وهو عنوان فساد الكون ،
رفعت عند نصحك مقدار ونفيت قاره وأثبت وقاره .

وأي وقار لامن عرى الصبا ومن خلفه شيب وقدامه شيب
ثم انك رثيت وما رثيت ومريض المشيب عن معالجته الخضاب نهيت ،
وضاعفت التعنيف واكثرت الارجيف ، وسقت الشائب الى رسمه ومنعته من
التصرف في نفسه ، وبسطت شقة الشقاق اما سمعت قول الوراق .

للضيف أن يقرا و يعرف حقه والشيب ضيفك فاقره بخضاب
فقلت : الى م يختفى الزامر وبتستر، وحتى م يكتم الكتم شيئا بعد ثلث
يظهر، وهل يرد التمويه مامضى أو يخمد ماء الصبغ جمر الفضا :
تستر بالخضاب وأي شيء دل على المشيب من الخضاب
فقال : قد أطلت الملام واثخت بكلام الكلام ، ونشرت رداء الرد وزاد
سيف عدلك في الحد :

ومع المشيب فبعد عندي صبوة ويلى القميص وفيه عرف المندل
يا هذا انى لاعام أن الخرق يتسع على الراقع ، وان التماذى فى التصابى
سم ناقع، لكن العظام صعب وكل أحد لايمكنه رأب الشعب ، وترك منصب
الامارة شديد على النفس الامارة ، وهى الى خضرة الخضرة تميل وعلى الله
قصد السبيل :

لعمرك ما خضبت بياض شيبى رجاء أن يعود الى الشباب
ولكنى خشيت تراد منى عقول ذوى المشيب فلانصاب، وانا استغفر الله من
الزلل واستعين به على سد الخلل ، وأتوكل عليه انه جواد كريم ، وأتوب اليه
انه هو التواب الرحيم .

(فصل فى الحكم)

- العلم نعم السمير والعقل بشير بالخير يشير .
- اجتهد فى طلب العلوم تنفرد بما يرفعك الى النجوم .
- المجد ببذل اللهى والفضل بالادب والنهى .
- من صادق العلماء زها بدره ومن رافق السفهاء وهى قدره .
- العلم ثمرته الانصاف والزهد نتيجته العفاف .
- التقوى أفضل حلة والمرورة أجل حلة .

الحق سيف قاطع ، والحلم درع مانع .
 الزم الحجى فهو أطف سائس ولا تعدل عن العدل فهو أحفظ حارس .
 العقل أحسن المواهب والجهل أقبح المصائب .
 العقل احسن معقل فاهـرع الى ابوابه العليا تتل كل العلا
 واعلم بأن الشيء برحص كثرة والعقل ان كثرت حواصله عملا
 من رضى بالقدر وقى شر الحذر .
 اليأس يعز الاصاغر والطمع يذل الاكابر .
 حاسب نفسك تسلم، ولا تفتحم الا خطار تدم .
 من سره الفساد فى الارض ساءه طول التعب يوم العرض .
 لا تقل الا ما يطيب عنك نشره ولا تفعل الا ما يسطرلك اجره .
 السعيد من اعطى بماضى امسه والشقى من ظن بخيره على نفسه .
 لا يفرنك صحة بدنك اليسيرة فمدة العمر وان طالت قصيره .
 من لم يعتبر بالمساء والصباح لم ير تدع بقول اللوام والنصاح .
 من قنع برزقه استغنى ومن صبر نال ما يتمنى .
 اذا الرزق عنك نأى فاصطبر ومنه اقتنع بالذى قد حصل
 ولا تتعب النفس فى وصله فان كان ثم نصيب وصل
 من آمن بالآخرة فاز بالملابس الفاخرة .
 من رفع حاجته الى الله نجحت ، ومن تمسك بغيره خسرت تجارته هو
 ما ربحت .

من لم تفسد شهوته دينه وصل الى الاماكن المكيئة .
 أبصر الناس من نظر الى عيوبه ولجأ الى ربه فى التجاوز عن ذنوبه .
 أرفع الاعمال ما أوجب شكراً وأنفع الاموال ما أعقب أجراً .

الدنيا ظل زائل والمشية ضيف راحل .
من غالب الحق غلب ومن أستهان بالدين لسب وسلب .
لا تخل نفسك من فكرة تدنى من قلبك وطرفك قراراً وقررة .
عد عن طاعة هواك واحذر من مخالفة مولاك .
لامتابع هواك يا ذا المعاصي واجتنب ذلة الهوى والهوان .
أحمق الناس من أطاع هواه وتمنى على الآله الأمانى .
من وثق بالله أغناه ومن خرج عن حكم ربه عناه .
من لزم شأنه دامت سلامته ومن حفظ لسانه قلت ندامته .
الصمت يرفع لك المنار ويخلع عليك ثوب الوقار .
الزمان لا يبقى على حال والدنيا طبعها الغدرة والملال، تفتن بزهرتها الداوية
وتخدع بزينتها المتلاشيه .

لا تفن عمرك فى المعاصى وخذ حذرک من مالک النواصى .
إياک وکثرة الکلام فانها تنفر عنک الکرام .
ما سعد من شقى صاحبه وما عز من ذلت أقاربه .
من لزم شکر الاحسان استدام عدم الحرمان .
لا تودع سرک غير صدرك ولا تتکلم بما يحوجک الى اقامة عذرک .
تفرد بحفظ السر وحدک لا تثق الى أحد فيه ولو کان من کانا
فانک ان أودعت سرک عاقل يزل وان أودعته جاهلاً خاناً
من بسط يده بالوجود خرج من عدم الى الوجود .
من علا علم شيمته غلا مقدار قيمته .
أستر برأ يظهر من یدیک وانشر معروفأ يسدى اليک .
من أحسن الى جاره أطلع قمر الحمد فى داره .

من جاد لطلب الجزاء فليس بكريم ومن صفح لعدم القدرة فليس بحليم .
أحسن الخلق ما حثك على المكارم واوضح الطرق ما كفك عن المحارم .
عي تسلم بميلك اليه خير من نطق تندم عليه .
من قل عقله كثر قوله ، ومن نكا أصله تواتر طوله .
توق جنابة اللسان ولاتأمن من سطوات الزمان ، واستعد من شر أفعالي أفعالك
وتحل بالصدق في جميع احوالك .

الصدق يورث حامله مهابة سر نحوه نعم الطريق طريقه
واحفظ به عهد الصحاب فانه من قل منه الصدق قل صديقه
لاتعج عن سبيل الصواب ولد بجناب رب الارباب ، وأوسع الى باب من
بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، وأخش من يعلم السر وأخفى ، ان الذين
يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير .

(فصل في السماء والنجوم)

أيقظني ليلة داعي الهموم فنظرت نظرة في النجوم ، فاذا السماء كأنها روضة
مزهرة أو صرح كنس جوار مسفرة ، أو غدير تطفو عليه الفواقع او بنفسج
نوراً قاحه لامع ، أو مسح ألقى عليه درغواص ، أو ستر به لعين كل نجم وصوص
أو جمر في خلال رماد أو كما قال من أجاد .

بساط زمرد نثرت عليه دنانير تخالطها دراهم
ونهر المجرة يجري في سندسها . ويسرى ليسقى ذابل عن حبيها ياله نهراً
صفا ماؤه وعقد على الافق لواؤه ، ينقلب القلب اليه ويقف طرف الطرف عليه
ويقبل نحوه الدبران وينصب على شطه الميزان ، ويحوم حوله النسران ويعوم
فيه الحوت والسرطان .

والثريا كراية أو لجام أو بنان أو طائر او وشاح

او باقة من نرجس او كأس تدار في مجلس ، أو شمع يتوقد او شمسة من
عسجد، او شذر منضود او كرم او عنقود، او عقد لؤلؤ حسن الاتساق او اقرا، ط
خود ترتعد فرقا من الفراق .

وسهيل كوجنة الحب في اللون وقلب المحب في الخفقان
او كمصباح تلعب به ايدي الرياح ، او ظامي يريد ان يبرد او فارس في حمى
الحمى مجتهد، او مشوق يتبع الاثار او غريب لا يزور ولا يزار، او غريق يدعى
قوة السباحة او ماجد أنف من الذل فألف السياحة ، او مغاضب يدعى فلا يجيب
او محب يغض الطرف خوف الرقيب ، والجوزاء النيرة الشجرة المنورة كأنها
منطقة من ذهب قد عقدت على قباء ازرق ، وألفرقدان الهاديان المرشدان .

كأنهما الفان قال كلاهما لشخص اخيه قل فاني سامع

والذراع يذرع شقة الافق والجبهة تقعد على مفارق الطرق، والعيوق يعوقوا عن
السير الاسار والعوانشاوى قد تغشاهم خمار ، والسماك معتقل رمحه والنشرة
منظمة كالسبحة ، والنعائم تحدها النعامي ، وزهرة الزهرة تضى بين الخزامى
وبهرام بخجل البهرمان والاكليل ليس بكل من مسايرة الاضعان ، والمقدم لا
يتأخر عن الاعتناق والايجاف والصرفة قد همت مع العسكر بالانصراف .

تمدر قومها ليلا وتطوى نهارة مثل ما تطوى الازار

فكم بصقالها صدرى البرايا وما يصدى لها ابدأ غرار

فبيننا انا استرح في درر الدراري نظري واروض في رياضها جواد فكري ،
واقدمس من هي مسخرات بأمره وأنزه من هدى خلقه بها في بره وبحره ، اذهب
نسيم السحر يروى عن اهل نجد اطيب الخبر ، فعطر الكون بعرفه وملك البرق
برقته ولطفه ، وأهدى الروح الى الارواح وأطرب السمع بأحاديثه الصحاح .

فهو حياة لكل حي كأن انفاسه نفوس

فاستبشرت بوروده وحصلت على الفائدة من وفوده ، وسر بمناجاته سرى
 وقلت له والدموع تجرى .
 اعد ذكر من حل القضايا محدثي وان اضرموه بالاضالع والصدر
 ولا تنس سكان العقيق وان هم على وجثى اجره في مدة الهجر
 فلما اتممت الانشاء والانشاد وشرعت في طلب الاسعاف والاسعاد ، تبسم
 الفجر ضاحكاً من شرقه ، ونصب أعلامه على منازل افقه ، فانطوى نشر الليل
 وكف من عمره الذيل ، وارتفعت الحجب وباحت نار الشهب ، وانقص باز
 الضوء غراب الظلام وفض كافور النور من الغسق مسك الختام .
 وشرد الصبح عنا الليل فاتضح سطوره البيض في الواحه السود
 وقلت جيوش الدجا ، وحرك النهار منه ماسجا ، وجنح حنجه الى الرحيل ،
 وتلا اسان حال التحويل ، « يقرب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة الاولى
 الابصار » .

(فصل في الشمس والقمر)

بكرت يوماً بعد أداء الفرض ، أتفكر في خلق السماوات والارض، فلمحت
 المشرق بالنظر واذا قرن الغزالة قد ظهر ، كأنه جذوة نار او قطعة من دينار، او
 كأس ستر بعضه بالحجاب او حسناء عظمت وجهها بنقاب ، ثم كشفت استارها
 وألقت على الافق أنوارها ، وبرزت كأنها كرة في ميدان او مجن ضمخ بالزعفران
 او مرآة لم تصقل ، ولم تطرق أو وجه المليحة في خمار ازرق ، أو سبيكة زجاج
 منتفخة الجوانب . أو بوتقه بحول فيها ذهب ذائب .

وكأنها عند انبساط شعاعها بتر يذوب على فروع المشرق
 فقلت اهلا بالجارية التي في طلعتها ما يغنى عن الجارية ، والعين التي
 تغار منها العين ، والجوارة التي وضح منها الجبين ، والسراج الوهاج التي

تبرجت بها الابراج . أنت المخصوصة بالشرف والرفعة ، أنت واسطة عقد
الكواكب السبعة ، أنت للحكمة برهان وللفلك معيار وميزان ، أنت الناطقة في
صمتها التي قصر البليغ عن وصفها ونعتها ، أنت ملك مقدم ، أنت النير الاعظم
أنت يوح التي تغدو في مصالح المسلمين وتروح ، أنت ذكاء التي اذكت ناوها
انت الضح التي أعلى الله منارها ، أنت الشمس التي بها تعرف الاوقات الخمس
بك ينشر الظل ويطوى ويشد النبات بعهد ضعفه ويقوى ، ويستدل على طريق
الصواب ويعلم عدد السنين والحساب ، لما سفرت راقلة في الحلل المعصفر
محيت آية الليل وجعلت آية النهار مبصرة ، وناهيك بها منزلة وحسبك ان
صفاتك في الكتاب منزلة . ثم تمشت على بساطها وخطرت في وشيها ورياطها ،
وسبحت في فلکها مرشدة الى الحقائق مظهرة أسرار الساعات والدرج والدقائق .

تسمو الى كبد السماء كأنها تبغى هناك دقاع امر معضل

واستمرت سائرة يحدوها من النسيم ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك بقدير

العزيز العليم ، فلم يزل فكري يصاحبها وطرفي يرعاها ويراقبها .

حتى اذا بلغت الى حيث انتهت وقفت كواقفة سائل عن منزل

ثم اتثنت تبغى الحدود كأنها طير اسف مخافة من اجسد

فلما حجبت عن العيون شخصها وخطف المغرب من يد ال شرق قرصها ،

واكتحلت جفون الافق بالقاد وطرده رنجى الليل رومي النهار، بزغ الهلال بأمر

ذي الجلال كأنه قوس مونتور أو منحدر وفي بحر الديجور ، أو شطر سوار أو

مبخل معد لحصاد الاعمار ، أو خنجر مرهف التصلين أونون معرقة من لجين

أوشفة كأس مائلة أو مخلب عقاب صائلة ، او قطعة من قيد أوفخ نصب للصيد،

أو حرف الجيم أو عرجون القديم ، او حاجب شيخ ايركه الشمط أو نعل من

حافر أدهم الدجا سقط ، أو ذباب سيف خرج من جفنه او راعع يعبد من لا

يحدث امرأ الاباذنة ، فقلت : مرحباً بمن اسباب مناويه رثا ، قرعينا ستعود
قمرأ بعد ثلث ثم تصير بدرأ ان ذلك لذكري :

واذا رأيت من الهلال نموه أيقنت ان سيكون بدرأ كاملا

أنت الزمهرير الذي ليس له في نصرته نظير ، أنت الزبرقان الذي له في
كل شهر مهرجان أيها القمر كم معجب طاب له فيك السمر ، أيها الواضح الباهر
ما أنت الا مثل سائر ، أيها البدر الكامل الذي فضله للبرية شامل ، لاتأس على ما
فات من الدرج ولا يكن في صدرك من الغزاة حرج :

فقد تخمد الشمس الصباح بضوئها تفاوتت الانوار والكل رائق

منازلك معروفة ومحاسنك موصوفة ، وشرفك باذخ وقدمك راسخ ، وآياتك
ظاهرة وسفارتك سافرة ، كم أوضحت من طريق وهديت الرفيق السى الفريق ،
واذكرت محباً بمحبوبه وبلغت طالبا غاية مطلوبه ، احسن بضوء ذبالتك وجهلا
بهالتك ، جعلك البادى فى السماوات نوراً وكان امرالله قدراً مقدوراً ، وجلا بمحبياك
حندس الغسق واقسم بك فى قوله والقمر اذا اتسق ، قدرك اثيرأيشل ومحبك
بنيه نبيل ووجهك يابينة الحسن جميل :

على رسل فمالك من مجار السى رتب العلا ولا رسيل

فتبارك اسم من البسكما احسن الحبر ، وتعالى جد من جعلكما مصباحين
لاهل النظر ، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، ثم لم يبرح يسرى
وانا لا ابرح ويتجلى وانا أشاهد وجهه الاصبح الى ان غاب واختفى ، وحسبنا
الله وكفى :

(فصل فى السحاب والمطر)

ان لله تعالى حكماً دائم النفوذ وحكماً شفاء النجا لمن بها يلود ، واسراراً
معناها دقيق لايفهمه الا أرباب التحقيق ، أمسك الغيث عن عباده فى عام فحاض

كل منهم في مجرد معه وعام ، وسامت الظنون لظن السحاب ، واشتاق البنات
الى سماع وقع الرباب ، وظمت الحياض وعبست وجوه الرياض ، واستدت
عيون العيون بالنقع المشار ، وتعطلت من حلى المزن أجياد الازهار، وذهلت
العقول لفقد الصوب عن الصواب وقص حناح السرور وطارت الالباب، وطوى
بساط الانبساط ووقع القوم في هياط ومياط، وطالت عهود العهد وتأهبت الارض
للبس أثواب الحداد. وصابت نبت الرباعين شمس أورثته مذلة واصفراراً، كلما
جال طرفها ترك الناس سكارى وماهم بسكارى . فبينما هم بحرون اذبال الكآبة
ويرفعون الدعاء الى مواطن الاجابة ، تداركهم اللطف المخفي وانثال عليهم المن
الحفي ، ونظر الله اليهم بعين حكيمته وحرك ساكن الرخاء لتجري بنعمته، وهو
الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته، فمدت أعناقها وجدن اعناقها، وركضت
عادياتها وجرت على أحسن عاداتها، وسدات من أردبتها الاردان وأرخت العنان
في طلب العنان :

ورباح نبش الارض بالقطر كذبل الغلالة المبلول

ووجوه البقاع ينتظر الغيث انتظار المحب رد الرسول

فأقلت سحاباً ثقالاً يستهل كرمأ ونوالاً ، مسكى الاوهاب خصيب الجناب
فسيح الرحاب ، صادق الوعود متلاحق الوفود كثير الاعوان والجنود ، يؤذن
بالموارد الطامية وشفاء الشفاه الطامية، واثري فقير الثرى وأجرى دمه اسفأعلى
ما جرى :

اكب على الافاق اكباب مطرق يفكر أو كالنادم المتلهف

ومد جناحيه الى الارض جانحاً وراح عليها كالغراب المرفرف والرعد يزجره
ويسوقه بين يديه ، فاذا قصر صاح به وزمجر عليه تارة يترنم كالحمام وطوراً
يزار كالاسد الضرغام :

و كأن صوت الرعد خلف سحابه حاد اذا ونست النجائب صاحها

والبرق يللمح ويلمع ويمنح ثم يمنع ، كأنه ثغرا شنبه او قيس يتلهب ،
او حسام يمان أو فؤادجبان ، او سلاسل ذهب او اشقر مال جلده حين وثب .
او انامل بعض الحساب أوحية تلتوى ثم تنساب ، أو كف خضيب يمد ويقبض
أو خد خود تعرض بعد ان تتعرض :

تري الارض منه وقد فضضت و وجه السماء وقد ذهبها
وقوس الغمام للجو نطـاق ، لابل تاج على مفارق الافاق ، يزهو بلجينه
وعسجده ويفخر بياقوته وزبر جده :

كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض
فلما ترا كمت السحاب واجتمعت حولها الكتائب ، واتسع صدرها واستحکم
امرها ، وحلق بالجو ناهضها واعترض في الافق عارضها ، ونصبت راياتها وانتهت غاياتها
وآن رحيلها وتفرق شملها وحن وضعها وفصال حملها ، أجرت مدامعها وردت
ودائعها ، وحلت عقدنطاقها وفكت أزرار أطواقها ، وحثت الركائب واسيلت الذوائب ،
وسمحت بطلها وطشها وسكنت رهج الغبراء برشها ، وأروت الحرة برداذا وهطلها ،
وأذهبت الحرقه بديمها ووبلها ، وأثرت بجودها وجودها ونثرت على بساط الارض
جواهر عقودها :

تخال بها مسكاً وبالقطر لؤلؤـ و بالروض يا قوتاً وبالوحدل عنبرا
ثم ابدت احساناً وبرأ وبردت من كبده حرى راسدت معروفاً واغاثت ملهوفاً
وساقت انصاماً وسنت حرناً وانعاماً وكفت هماجين وكفت ، وقرطت آذان
الاعصان وشفنت وأنشرت امواتاً واخرجت حباً ونباتاً ، ونشرت مطرفاً بعدالطي
وجعلنا من الماء كل شيء حي ، وكم نفعت غليلا ونفعت غليلا ، وملات حياضاً
ونورت رياضاً ، اذالت درأ مصونا وشرحت صدوراً واقرت عيوننا ، وألبست
الحدائق بروداً عليها طلاوة واهتدت للزهر قطراً ظاهر الحلاوة :

ترى فواقعه فى الارض لائحة مثل الدراهم تبدو ثم تستره
فأمسى الناس فى عيشة راضية يرفلون فى حلال الرفاهية ، امرعوا بعد الضنك
ولشظف واخصبوا بعد الجذب والصف ، وأصبح محل المختل دارساً ووجه
الارض يضحك وقد كان عابساً ، واخذت الارض زخرفها بعد ان كاد زرعها يهيج
واهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ، فتغورها مبتسمة وفرائد قلايدها منتظمة ،
ونمارقها مذبحة ورؤوس اشجارها متوجه ، وعذرائها طافحة ومخائل السعادة
عليها لائحة ، والسنة اهلها مشتغله يشكر علام الغيوب وقلوبهم مطمئنة بذكره
ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، يبدىء ويعيد ويمتحن العبيد ، ثم يفتح لهم أبواب
جوده الوافر وفضله المديد ، وهو الذى ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر
رحمته وهو الولي الحميد .

(فصل فى الليل والنهار)

أرقت ذات ليلة فى مهادي فسمعت طارقاً ينادي فى النادي :
ان الليالى للانام مناهل تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار
فقلت من مضجعى وقد بل رذني مدمعى ، متحيراً فى امرى متأسفاً على ما
فات من عمري ، وقلت : أيها الطارق فى ظلمة الليل الغاسق هل لك فى المنادمة .
فقال : كم تديم سفك المنى دمه ، ثم سلم وجلس ، وتنفس وما بنس . فقلت :
يا من شنف السمع بدره اذكر لى شيئاً فى طول الليل وقصره ، فقال :
وليل كسواكبه لاتسير ولا هو منها يطبق البراجسا
كيوم القيامة فى طوله على من يراقب فيه الصباحا
مقيم ليس يبرح وعاجز لا يظعن ، ولا ينزح برد نجومه لا يدوب وغائب ضوءه
ليس يؤوب ، لا يبلى جديد مسحه ولا يجنح الى الحركة ساكن جنحه ، عليه

مايرجا صلاحه وصباحه لايلوح مصباحه، قطع الطريق على السجر وعذب اجفان
المحبين بالسهر :

حدثوني عن النهار حديثا اوصفوه فقد نسيت النهارا
كأنه صريع راح او طائر مقصوص الجناح ، أو اسير يتحبط فى قسده أو
بحر منع الجزر عن مده ، او كسير ليس له على النهوض اقتدار أو ضرير ايسر
طرفه من رؤية النهار ، او هائم غمر يقطع الغلا قد حار لايدرى بمن يهتدى او
جيش زنج بالثوى قد نوى او دارة حيث انتهت تبتدى. واعلم ايها البصير الناقد
انه يطول على المهجور الفاقد ويقصر على المسرور والراقد :

ليلى كما شات فان لم تزد طال وان زادت فليلى قصير
فقلت أيه ايها الامام اسمعنى شيئاً فى وصف الايام ، فقال :

لله ايام تقضت بهمم ما كان احلاها واهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها شىء سوى ان نتمناها

حيث الوقت معين وماء الشبيه معين ، ونشر البشر فائح ، ونور الهنالائح
والحبيب مجيب والرقيب غير قريب ، وعضن الصبارطيب ومطرف اللهوتشيب
والعيش غض والدهر غضيض الطرف وسعاد السعد ممنوعة من الصرف، والشمل
مجتمع والجمع مشتمل ، على الجميل وحسن الخلق والخلق . يا أخوا الادب
الى كم ذا الحرص والداب ، الايام نجمها عزار ومدعى الوفاء منها عذار ، كثير
الملال سريعة الزوال، تفرق الحبايب وتسترجع المواهب، ذمامها ذميم ومسالمها
سليم ، تحل العقود ولا تحفظ العهود ، وتكدر والصافى من الشراب وتعد
الظامى بورد السراب ، لقد سقط من تمسك بغراها وتعب من قصد الراحة فى
ذراها :

ومكلف الايام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

ثم قال: مضت الجبهة والشفق والفحمة، والغسق والقطع والسدقة والبهرة والزلفة، وآن لنسمات السحر ان تتخطر ولعيون الفجران تتفجر، وقام للوداع فقلت زورنى بأنعم المتاع، فقال ضح اوزار الاوزار واتق من لاتدر كه الابصار وسبحه بالعشى والابكار، وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار .
اقول : ان هذا الكتاب كنت قد كتبتة كله فى أيام الشباب ، ثم انه ذهب فيما ذهب من الكتب وكان جدي المرحوم المبرور المحقق الحسن ابو منصور قدس الله روحه قد انتخب هذه الفصول منه وهي عندى بخطه الشريف ، والترتيب مختلف وكتب فى أولها: هذه فصول أنبئة تشتمل على فقر فى البلاغة عريقة ، انتخبتها من الكتاب المسمى بنسيم الصبا للفاضل البارع الاديب الحسن ابن عمر بن الحسن بن حبيب ، وقدمت أمامها شيئاً من كلامه فى الديتاجه لانه مما تمس اليه الحاجة .

قال بعد أن حمد الله وصلى على النبى صلى الله عليه وآله : فهذه ثلاثون فصلاً طالت فرعاً وطابت اصلاً ، تشتمل على ألفاظ ارق من الشمول ومعان يعينون عقائلها تفنن العقول، انشأتها بعد الافاقة من نشوة الصبا ، وسميتها حيث ملكت زمام اللطف (نسيم الصبا) ، واودعتها ابياتاً لغيرى على وجه التضمين ، محلياً جيد منشورها بالمنظوم من عقدها الثمين ، منبهاً عليها بالحمرة مظهراً مالها على مأمور قولى من الامرة ، والله يهدى الى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

[حديث يود اسكفت]

بلغ ومن ذلك حديث قيل انه فى بصائر الدرجات فى (باب النوادر فى الاتمة عليهم السلام وأعاجيبهم) باسناده عن عفيف بن ابى سعيد قال : كنا فى

اصحاب البرود ونحن شبان، فرجع الينا امير المؤمنين فقال بعضنا بود اسكفت
قد جاء كم . فقال علي : ويحك ان اعلاه علم واسفله طعام .

اقول : معناه انا كنا في الجماعة الذين كانوا لابسى البرود ، ونحن شبان
جمع شباب ، فرجع امير المؤمنين عليه السلام الينا فقال بعضنا بود اسكفت
قد جاء كم ، أي قد جاءكم هذا ، وهذا الكلام غير عربى وقصد المتكلم به ان
لا يفهم امير المؤمنين عليه السلام ما يقوله واعتقد انه لا يعرفه فعبر بهذه اللغة لثلا
ينكر عليه ويتأثر منه أو لغير ذلك، ومعناه قد جاءكم البطين أو كبير البطن ونحنو
ذلك ، ومن صفاته عليه السلام الانزع البطين ، فقال له ويحك ان اعلاه .. أي
اعلى بطنى - علم واسفله طعام، فهو عليه السلام بطين من العلم، فأخبره بأنه يعلم
لغته وهذا من اعاجيبه عليه السلام .

[معنى حاجيتك الوارد فى الحديث]

ومن ذلك ما نقله ابن شهر اشوب رحمه الله فى مناقبه قال : كتب معاوية
الى ابي ايوب الانصارى : اما بعد فحاجيتك بما لاتنسى شياء . فقال امير المؤمنين :
اخبره انه من قتلة عثمان وان من قتل عنده مثل الشيباء ، فان الشيباء لاتنسى قاتل
بكرها ولا اباها مخذرها ابدأ .

اقول : قال فى القاموس باتت بليلة شياء بالاضافة وبليلة الشيباء اذا غلبت
على نفسها ليلة هداها . وقال : الشيباء آخر ليلة من الشهر .
وقال فى الحجى : حاجيته فحجيته قاطنته فغلبته، وقال الحجى المعاركة ،
وغير ذلك مما يمكن أن يكون له مناسبة بالمقام . فقول معاوية « فحاجيتك بما
لاتنسى شياء » مأخوذ من ذلك .

وحاصل المعنى انى خاصمتك بما يناسب هذا المثل أو نحو ذلك ، وقد

بينه امير المؤمنين عليه السلام بأن معاوية أخبر أبا ايوب الانصارى بهذا الكلام
انه من جملة من قتل عثمان وان من قتل عثمان عند معاوية مثل الشيباء ، فان الشيباء
لاتنسى قاتل بكرها وهو أول من تلده .

و« لاتنسى اباءها » أى امتناعها « فى مخدرها » اي خذرها ليلة الدخول
بها ابدأ . وهذا الابالة دخل فى عزه الولد ، فالمراد ان هذا القاتل لاينبغى ان
ينسى ما فعله ابدأ كالشيباء ، اذ الطالب بثاره مثل معاوية فيكون مما لاينسى ، كما
يقال اذا كان مثلى خصمك لم يفارقك الخوف منى ونحو ذلك .

ويحتمل ان يكون المعنى ان معاوية لاينسى قتلة عثمان ، فيكون مثلاً
ضربه له فى عدم نسيانه ذلك . والمراد التمثيل بعدم نسيان ذلك لان القاتل
كالشيباء .

ولكل قرب من جهة ، وان كان تشبيه القاتل بالشيباء اظهر من كلامه عليه
السلام والله اعلم .

[مسألة يعقوب من الصحاح]

ومن ذلك عبارة فى الصحاح وهى على ما نقله السائل: ويعقوب اسم رجل
لاينصرف فى المعرفة للمعجمة والتعريف لانه غير عن جهته فوقع فى كلام العرب
غير معروف المذهب ، واليعقوب ذكر الحجل وهو مصروف لانه عربى لم
يغير وان كان مزيداً فى أوله فليس على وزن الفعل ، قال الشاعر :

عال يقصر دونه اليعقوب

اقول : الذى يظهر من معنى هذه العبارة ان يعقوب اذا سمي به رجل كان
غير منصرف لانه حينئذ اعجمى وعلم فقيه العلمية والمعجمة ، ولم يكن منصرفاً
لان استعمال العرب له وقع فيه تغيير عن جهته الاصلية التى هى المعجمة، فوقع

فى كلامهم غير معروف مذهبهم فى هل هو بوضع منهم او أنهم استعمالوه فقط، فالاصل فى البقاء على العجمة أو ان لفظ يعقوب وقع فى بعض تغيير بالنسبة الى الاسم الاصلى من العرب، ولم يعلم أنهم استعمالوه مع التغيير بالوضع الاصلى أو بوضعهم ، كما فى الالفاظ التى أصلها فارسى فرعبت ، بمعنى أنها استعمالت فى لغة العرب مع تغيير فى اللفظ لذلك المعنى، فاستعمال العرب لذلك وتغييرهم له لا يعلم منه مذهبهم فى ذلك بأنه وضع او استعمال مع تغيير .

وهذا بخلاف يعقوب الذى وضعه العرب لذكر الحجل ، فانه عربى واقع على مذهبهم حيث وضعوه له وان كان منقولاً، فىكون منصرفاً لانه عربى وان كان علماً لهذا الجنس ، فلهذا كان منصرفاً .

والفرق بين يعقوب اسماً لرجل انه كان اولاً اسماً لرجل ثم استعمال كذلك، ويعقوب الذى هو ذكر الحجل أنه بقى على الوضع الاول بحسب اصطلاح العرب ومذهبهم فى الوضع .

[حديث حسن الخلق]

ومن ذلك ما رواه محمد بن يعقوب رضى الله عنه فى الكافى فى باب حسن الخلق باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال : هلك رجل على عهد النبى صلى الله عليه وآله، فأتى الحفارين فاذا هم لم يحفروا شيئاً وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا ما يعمل حديدنا فى الارض فكانما نضرب به فى الصفا . فقال : ولم ان كان صاحبكم لحسن الخلق ايتونى بقدر من ماء ، فأتوه به فأدخل يده فيه ثم رشه على الارض رشاً ثم قال : احفروا . قال فحفر الحافرون فكانما كان رملاً يتهايل عليهم .

اقول : محل الاشكال فى هذا الحديث قوله عليه السلام « ان كان صاحبكم

لحسن الخلق»، وتوضيحه أن ان هنا مسكورة الهمزة ساكنة النون وهي مخففة من الثقيلة نحو « وان كادوا ليفتنونك »^(١) « وان وجدنا اكثرهم لفاسقين »^(٢) قال في المغنى : وحيث وجدت ان وبعدها اللام المفتوحة فاحكم بأن اصلها التشديد، واذا دخلت على الفعل فالأكثر كون الفعل ماضياً ناسخاً نحو « وان كانت لكبيرة »^(٣) ودونه ان يكون مضارعاً نحو « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك »^(٤) انتهى .

فان قلت : هل يحتمل أن ان تكون شرطية .

قلت : سياق الكلام وربطه ووجود اللام مع شهادة الذوق السليم يسأى ذلك، ومثله كونها نافية مكسورة أو مفتوحة على ما حكى نادراً في المغنى وتبعه صاحب القاموس ، واستدل صاحب هذا القول بقوله تعالى « ان يؤتى احد مثل ما أو تيتم »^(٥) . ورد بأن المعنى ولاتؤمنوا بان يؤتى احد مثل ما أو تيتم من الكتاب الامن تبع دينكم وبالجملة فلا وجه في هذا التركيب للشرط والالغى مع وجود شروط المخففة واستقامة المعنى بها دون غيرها .

اذا تقرر هذا فمعنى الحديث -- والله أعلم -- انه عليه السلام تعجب من ذلك بقوله ولم ومدحه بحسن الخلق ففعل عليه السلام بقبره مافعل ، وهذا اما مع صفة ذميمة اقتضت تعسر الحفر ولأجل هذه الصفة فعل به مسافعل واما لكون الارض هكذا اتفقت صلابتها وانه لحسن خلقه يستحق مافعل به ، او أن التعجب

(١) سورة الاسراء : ٧٣ .

(٢) سورة الاعراف : ١٠٢ .

(٣) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٤) سورة القلم : ٥١ .

(٥) سورة آل عمران : ٣٣ .

من حيث أن صاحب الخلق الحسن لا يحصل له مثل هذا ظاهراً .
ويحتمل أن يكون عليه السلام تعجب من صلابة الأرض ثم قال : ان فيه
صفة حسن الخلق ولاجل ذلك فعل عليه السلام ذلك . وقد ورد في الخبر مامعناه
انه أتى عليه السلام بجماعة فعرض عليهم الاسلام فأبوا فأمر بقتلهم ، فلما انتهى
الامر الى رجل منهم أوحى اليه ان لا يقتله لانه يحب اطعام الطعام ، فقال له : لم
لا تقتلني ؟ فأخبره عليه السلام بذلك فقال : ربك يحب من يطعم الطعام؟ فقال:
نعم . فأسلم . ولا يحضرني ألفاظ هذا الحديث .

وفى خبر آخر من طرق العامة أنه مات رجل على عهده عليه السلام فامتنع
من الصلاة عليه حيث أنه كان تارك الصلاة، فجاء رجل وقال : يا رسول الله رأيت
يوماً يصلي فصلى عليه . فيحتمل أن يكون عليه السلام فعل بقبر هذا الرجل
ذلك من حيث انه كانت فيه هذه الصفة . والله اعلم .

بقي احتمال قريب ، وهو أن يكون لفظ لحسن محرفاً من النساخ وانسه
لخشن بالخاء والشين المعجمتين ، فتعجب عليه السلام من صلابة قبره ثم قال:
ان كان لخشن الخلق وهذا هو السبب في كون قبره هكذا ، ثم أمر عليه السلام
بالماء حتى سهل عليهم ذلك . وهذا يدل على مدح حسن الخلق ، فلا يتوهم عدم
مناسبته لباب حسن الخلق . والله تعالى اعلم .

[رسالة بغية المرید فی الكشف عن أحوال الشهيد]

ومن ذلك نبذة من تاريخ جدي المبرور العالم الرباني زين الملة والدين
الشهير بالشهيد الثنائي قدس الله تربته وأعلى في عليين رتبته ، وهو الذي ألقه
الشيخ الفاضل الاجل محمد بن علي بن حسن العودي الجزيني أحد تلامذته
رحمه الله تعالى ، وهذا الكتاب قد ذهب فيما ذهب من الكيب و وقع في

يدي منه أوراق بقيت من نسخة أحببت ان أنقلها في هذا الكتاب تيمناً بذكر بعض
أحواله ، قال المؤلف رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع درجات العلماء الى سماك السما، وناصب أعلام اجر الشهداء
يوم العرض بين الملا، وخافض من شك في فضلهم الى ما تحت الثرى، وجاعل
من جزم بتعظيم قدرهم معهم في الرفيق الاعلى. والصلاة على رسوله محمد خاتم
الانبياء ، وعلى آله الاطهار الاصفيا ، واصحابه الاخيار النجبا .

وبعد: فان أحق ما أودع في الطروس وتوجهت اليه النفوس من فن التواريخ
المحفوظة والسير الملحوظة وتواريخ العلماء الاعلام والفضلاء الفخام، اذ عليهم
مدار هذا العالم من مبدأ نشو آدم الى يوم الحشر والحساب ، وهم الهداة الى
طريق الصواب والادلة على ما ينجي من العقاب ، فكان الواجب على الخلق
معما يترتب على حفظ تواريخهم وضبط مواليدهم ووفاتهم ونشر سيرهم وما كانوا
عليه من المنهج القويم والخير العميم من المهمات الجليلة والفوائد النبيلة
وانبعاث النفوس على اقتفاء آثارهم والتأسي بصالح افعالهم والاهتداء بمشكاة
أنوارهم والابتهاج بلذيد اخبارهم ، فكان الواجب على الناس عموماً وعلى
التلامذة خصوصاً احياء ذكر مشائخهم بنقل احوالهم من البداية الى النهاية
ليكون ذلك تذكرة على ممر الاعصار ووسيلة الى وقوف من يأتي على ما يتعلق
بهم من محاسن الاخبار وذريعة الى اجرائهم على خاطر داع لهم ومترحم عليهم
بجميل الآثار .

وكان أحق من نظم في عقد هذا الشأن وأولى من نوه بذكره من فضلاء كل زمان
شيخنا ومولانا ومرجعنا ومقتدانا ومنقذنا من الجهالة وهادينا ومرشدنا الى الخيرات
ومربينا ، بديع زمانه ونادرة أوانه وفريد عصره وغرة دهره الشيخ الامام الفاضل

والحبر العالم العامل والنحرير المحقق الكامل خلاصة الفضلاء المحققين وزبدة العلماء المدققين الشيخ زين الملة والدين ابن الشيخ الامام نور الدين على بن الشيخ الفاضل احمد بن جمال الدين بن تقي الدين صالح^(١) تلميذ العلامة بن مشرف العاملي أفاض الله على روحه المراحم الربانية واسكنه في جنانه العلية وجعلنا الله من المقتدين بآثاره والمهتدين بأنوار بمحمد وآله عليه وعليهم افضل الصلاة واتم السلام .

ولما كان هذا الضعيف الملهوف عليه المحزون على طيب عيش من لديه مملوكة وخادمه (محمد بن علي بن حسن العودي الجزيني) ممن حاز على حظ وافر من خدمته وتشرف بمدة مديدة من ملازمته كان ورودى الى خدمته في عاشر ربيع الاول سنة ٩٤٥ الى يوم انفصاله عنه بالسفر الى خراسان في عاشر ذي القعدة سنة ٩٦٢ .

فكأنها احلام نوم لم تكن ياليتها دامت ولم تنصرم
وتمتعت منها القلوب ونارها من فرقة طغيت ولم لاتنصرم
فواشوقاه الى تلك الاوقات وواأسفاه على ما فات ، وجب أن توجه الهمة
الى جمع تاريخ يشتمل على ماتم من امره من حين ولادته الى انقضاء عمره
تأدية لبعض شكره وامثالاً لما سبق الي من أمره ، فانه قدس سره كان كثيراً ما
يشير الي بذلك على الخصوص ويرغب فيه من حيث العموم ، وقد نبه عليه في
(منية المرید في آداب المفید والمستفيد) .

فجمعت هذه النبتة اليسيرة وسميتها (ببغية المرید من الكشف عن احوال

(١) رأيت بخط جدى الشيخ حسن طاب ثراه أن تقي الدين ذكره السيد على بن عبد الحميد في كتاب الرجال ، وبخطه رحمه الله « هذا جدنا رحمه الله » ، ونقل معه جماعة من فضلاء ذلك الزمان من الكتاب المذكور « منه » .

الشيخ زين الدين الشهيد) ورتبتها على مقدمة وفصول وخاتمة :

(أما المقدمة) ففي وصفه بالكمال على الاطلاق وما اشتمل عليه من مكارم الاخلاق ووصف خلقته وشكله وهيئته ونبله ، واما الفصول :

(فالاول) في مولده وما عقبه من ختم كتاب الله وترتيب شروعه في تحصيل العلوم والمشائخ الذين استفاد منهم واخذ عنهم واجازوه ومهاجراته للتحصيل وما يتبع ذلك على التفصيل .

(والثاني) في ظهور اجتهاده وتعداد مصنفاته وما أفاده من التحقيقات في المسائل الفائقة والمباحث الرائعة .

(والثالث) في تعداد اصحابه وفضلاء تلامذته الذين قرؤا عليه وترددوا اليه واخذوا عنه واستفادوا منه من العرب وغيرهم .

(والرابع) في ذكر أمره في الكتابة وماله فيها من الايات ومحاسن الكرامات .

(والخامس) في تعداد زوجاته وعدد أولاده ومن بقي ومن مات منهم ومن رثى ومن رثاه .

(والسادس) في محاسن الرسائل البليغة والانشاءات الفصيحة التي برزت منه الى الغير ومن الغير اليه .

(والسابع) في ذكر القصائد التي مدح بها في الزمان ومن مدحه من أهل هذا الشأن .

(والثامن) في ذكر ما عرض له من الاخاويف وما نزل به من الارجيف وما يتبع ذلك من التستر واخفاء نفسه في النازلات من الاعداء واهل السعايات وما وقع في خلال ذلك بيننا وبينه من المراسلات .

(والتاسع) في مقتله وخاتمة اجله بنيل درجة الشهادة وتحصيل غاية السعادة وسبب القبض عليه ومن سعى في تعجيل الحتف اليه واين وقع وكيف اتفق وما

يتبع ذلك من الكتابات المشتملة على الشفاعات من أعيان علماء اهل الشام وفضلاء الاسلام .

(والعاشر) فى اضطراب الاخبار فى تحقيق الاحوال بعد أخذه من الحجاز الى الروم وما انتهى اليه الحال حتى صار من المعلوم .

(واما الخاتمة) ففى المراثى والندب وما وقع بعد فقده من الكرب وبيان من رثاه وأسأل الدمع على مصرعه وبلواه .

ولنرجع الى تفصيل ما اجملناه وترتيب ما اسلفناه ونقول .

المقدمة

(فى وصفه بالكمال على الاطلاق وما اشتمل عليه من مكارم الاخلاق)

حاز من خصال الكمال محاسنها ومآثرها، وتردى من اصنافها بأنواع مفاخرها كانت له نفس عليه تزهى بها الجوانح والطلوع وسجية سنية يفوح منها الفضل ويضوع ، كان شيخ الامة وفتاها ومبدأ الفضائل ومنتهاها ، ملك من العلوم زماماً وجعل العكوف عليها الزاماً فأحبنى رسمها واعلى اسمها ، لم يصرف لحظة من عمره الا فى اكتساب فضيلة ووزع أوقاته على ما يعود نفعه فى اليوم والليلة، اما النهار ففى تدريس ومطالعة وتصنيف ومراجعة ، وأما الليل فله فيه استعداد كامل لتحصيل ما يبتغيه من الفضائل .

هدامع غاية اجتهاده فى التوجه الى مولاه وقيامه بأوراد العبادة حتى يكمل قدماء ، وهو مع ذلك قائم بالنظر فى احوال معيشته على احسن نظام وقضاء حوائج المحتاجين بأتم قياس ، يلقي الاضياف بوجه مسفر عن كرم كانسجام الامطار وبشاشة تكشف عن شمم كالنسيم المعطار يكاد يبرح بالروح وترتاح اليه النفوس كالغض المروح ، ان رآه الناظر على اسلوب ظن انه ما تعاطى

سواه ولم يعلم أنه بلغ من كل فن منتهاه ووصل منه الى غاية أقصاه ، فجاء نظامه أرق من النسيم للليل وآنق من الروض لليل .

اما الادب فالبه كان منتهاه ورقى فيه حتى بلغ سماه ، وأما الفقه فقد كان قطب مداره وفلك شموسه واقماره وكان هوي نجم سعوده في داره ، وأما الحديث فقدمد فيه بأعطويلا وذل صعب معانيه تديلا وشعشع القول فيه وروقه ومدفي ميدان الاعجاز مطلقة حتى صار نصب عينه عباناً وجعل للسالكين في طرقه تبياناً أدأب نفسه في تصحيحه وابرازه للناس حتى فشا ، وجعل ورده في ذلك غالباً ما بين المغرب والعشاء وما ذاك الا لانه ضبط أوقاته بتمامها ، وكانت هذه الفترة بغير ورد قرين الاوراد بختامها ، واما المعقول فقد أتى فيه من الابداع ما أراد وسبق فيه الانداد والافراد ، ان تكلم في علم الاوائل بهج الاذهان والالباب وولج منها كل باب . وأما علوم القرآن العزيز وتفاسيره من البسيط والوجيز فقد حصل على فوائدها وحازها وعرّف حقائقها ومجازها وعلم اطالته وابعادها ، واما الهيئة والهندسة والحساب والميقات فقد كانت له فيها يدلاله تقصر عن الابات ، واما السلوك والتصوف فقد كان له فيه تصرف وأي تصرف .

وبالجملة فهو عالم الاوان ومصنّفه ومقرط البيان ومشفه بتأليف كأنها الخرائد وتصانيف أبهى من القلائد، وضعها في فنون مختلفة وأنواع واقطعها ما شاء من الاتقان والابداع وسلك فيها مسلك المدققين وهجر طريق المتشدين ، ان نطق رأيت البيان منسرباً من لسانه وان احسن رأيت الاحسان منتسباً الى احسانه ، جدد شعائر السنن الحنيفية بعد اخلاقها وأصلح للامة ما فسد من أخلاقها وبه اقتدى من رام تحصيل الفضائل واهتدى بهداه من تحلى بالوصف الكامل ، عمر مناجد الله وأشاد بنيانها وربت وظائف الطاعات فيها وعظم شأنها ، كم امسر بالمعروف ونهى عن المنكر وكم أرشد من صلى وصام وحج واعتمر .

كان لابواب الخيرات مفتاحاً وفي ظلمه عمى الامة مصباحاً ، منه تعلم الكرم كل كريم وبه استشفى من الجهالة كل سقيم واقتفى أثره في الاستقامة كل مستقيم لم تأخذه في الله لومة لائم ولم يثن عزمه عن المجاهدة في تحصيل العلوم الصوارم ، أخلصت لله أعماله فأثرت في القلوب اقواله .
اعز ما صرف همته فيه خدمة العلم واهله ، فحاز المحظ الوافر لما توجه اليه بكله .

ولقد كان مع علو رتبته وسمو منزلته على غاية من التواضع ولين الجانب ويبدل جهده مع كل وارد في تحصيل ما يبتغيه من المطالب، اذا اجتمع بالاصحاب عد نفسه كواحد منهم ولم تمل نفسه الى التميز بشيء عنهم، حتى انه كان يتعرض الى ما يقتضيه الحال من الاشغال من غير نظر الى حال من الاحوال ولا ارتقاب لمن يباشر عنه ما يحتاج اليه من الاعمال .

ولقد شاهدت منه سنة ورودى الى خدمته انه كان ينقل الحطب على حمار في الليل لعياله ويصلى الصبح في المسجد ويشغل بالتدريس بقية نهاره ، فلما أشعرت منه بذلك كنت أذهب معه بغير اختياره و كنت أستفيد من فضائله وأرى من حسن شمائله ما يحملني على حب ملازمته وعدم مفارقتها .

وكان يصلى العشاء جماعة ويذهب لحفظ الكرم ويصلى الصبح في المسجد ويجلس للتدريس والبحث كالبحر الزاخر ، ويأتي بمباحث عقل عنها الاوائل والواخر .

ولعمري لقد اشتمل علي فضيلة جميلة ومنقبة جلييلة تفرد بها عن ابناء جنسه وحباه الله بها تزكية لنفسه ، وهي أنه من المعلوم البين أن العلماء رحمهم الله لم يقدروا على ان يروجوا امور العلم وينظموا أحواله ويفرغوه في قالب التصنيف والترصيف حتى يتفقد لهم من يقوم بجميع المهمات ويكفيهم كل ما يحتاجونه

من التعلقات ويقطع عنهم جميع العلائق وبزبل عنهم جميع الموانع والعوائق
امن ذى سلطان يسخره الله لهم أوذي مروة وأهل خير يلقى الله فى قلبه قضاء مهماتهم
لثلا يحصل الاخلال باللطف العظيم ويتعطل السلوك الى المنهج القويم، ومع
ذلك كانوا فى راحة من الخوف بالامان وفى دعة من حوادث الزمان، ولكل
منهم وكلاء قوامون بمصالح معيشتهم ونظام دنياهم بحيث لا يعرفون الا العلم
وممارسته ولم يبرز عنهم من المصنفات فى الزمان الطويل الا القليل ومن التحقيقات
الا اليسير وان كان بعضهم خارجاً عما ذكرنا فلاغر ومعما كان فيه من تمام التوفيق
الموصل الى غاية مدارك تحقيق .

وكان شيخنا المذكور روح الله روحه معما عرفت يتعاطى جميع مهماته
بقلبه وبدنه حتى لو لم يكن الامهمات الواردين عليه ومصالح الضيوف المترددين
اليه مضافاً الى القيام بأحوال الاهل والعيال ونظام المعيشة واتقان أسبابها من غير
وكيل ولا مساعد يقوم بها ، حتى انه ماكان يعجبه تدبير أحد فى أمور ولا يقع
على خاطره ترتيب مرتب لقصوره عما فى ضميره ، ومع ذلك كله فقد كان غالب
الزمان فى الخوف الموجب لاتلاف النفس والتستر والاختفاء السدى لايسع
الانسان معه أن يفكر فى مسألة من ضروريات البديهة ولا يحسن أن يعلق شيئاً
يقف عليه من بعده من ذوى الفطن النبهة ، وسيأتى انشاء الله تعالى فى عدة
تصانيفه مظهر عنه فى زمن الخوف من غزارة العلوم المشبهة بنفائس الجواهر
المنظوم .

وقد برز عنه مع ذلك من التصنيفات والابحاث والتحقيقات والكتابات
والتعليقات ما هو ناش عن عين فكر صاف وعارف من بحار علم واف، بحيث
اذا فكر من تفكر فى الجمع بين هذا وبين ما ذكرنا تحير ، وهذه فضيلة تشهد
له بها كل من كان له به أدنى مخالطة ولا يمكن أحداً فيها مغالطة .

ومن الشاهد الواضح البين أن الواحد منا مع قلة موانعه وتعلقاته وتوفر
دواعيه وأوقاته بذل الجهد في استقصاء كتابه مصنفاً ومبرز من تحقيقاته فمسا
رأينا أحداً من أصحابه استقصاها ولا بلغ منتهاها ، وكفاه بذلك نبلاً وفخراً .
وأما شكله فقد كان ربعة من الرجال في القامة معتدل الهامة ، وفي آخر أمره
كان إلى السمن أميل بوجه صبيح مدور وشعر سبط إلى الشقرة ما هو مع سواد
العينين والحاجبين ، وكان له خال على أحد خديه وآخر على أحد جبينيه وبياض اللون
ولطافة الجسم عبل الذراعين والساقين ، كان أصابع يديه أقلام فضة إذا نظر
الناظر في وجهه وسمع عذوبة لفظه لم تسمح نفسه بمفارقة وتسلّى عن كل شيء
بمخاطبته ، تمنى العيون من مهابته وتتهيج القلوب لجلالته . وأيم الله انه لفوق
ما وصفت وقد اشتمل من حميد الخصال على أكثر مما ذكرت .

الفصل الاول

(في مولده وما أعقبه من ختم كتاب الله وترتيب شروعه في تحصيل
العلوم والمشائخ الذين استفاد منهم واخذ عنهم واجازوه ومهاجراته)
وقد وجدت بخطه الشريف قطعة من تاريخ يتضمن مولده وجملته من
أحواله أوزع على كل فصل من الفصول ما يليق به منها ، وأذكر ما أثبتته من
حفظي عنه أو عن غيره مما لم يذكره هو بحسب ما يليق بالحال وبالله التوفيق .
قال قدس الله نفسه وطهر رسمه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على أشرف المرسلين . وآله الطاهرين
وأصحابه المنتجبين .

هذه جملة من احوالي وتصرف الزمان بي في عمري وتاريخ بعض المهمات

التي اتفقت لي .

كان مولدي في يوم الثلاثاء ثالث عشر شوال سنة احدى عشرة وتسعمائة
من الهجرة النبوية ، ولا أحفظ مبدأ اشتغالي بالتعلم .

قلت : ذكر لي انه لشدة صغره ، وكان ابوه عطوفاً عليه جداً رؤوفاً به متفرساً
فيه الخير والنجابة ، حتى أنه ماضربه قط ، كان يقول للمعلم هذا الولد لا تضربه
أصلاً بل اتركه برأيه فاني اعلم انه لا يحتاج الى الضرب .

وكان الامر كما ذكر ، فانه كان في غاية الرشد لا يلتفت الا الى ما يعود نفعه
ولا يشتغل باللعب ولا بما يلهي مما هو مركز في جيلة الاطفال .

قال قدس سره : لكن كان ختمى لكتاب الله العزيز سنة عشرين وتسعمائة
من الهجرة النبوية وسني اذ ذلك تسع سنين ، واشتغلت بعده بقراءة الفنون العربية
والفقه على الوالد قدس الله سره الى ان توفي في العشر الاوسط من شهر رجب
يوم الخميس سنة خمس وعشرين وتسعمائة .

وكان من جملة ما قرأته عليه من كتب الفقه النافع مختصر الشرائع واللمعة
الدمشقية .

قلت : حكى لي أنه من جملة لطفه به أنه كان يقرأ تصريح الزنجاني على بعض
الاعاجم وكان يقول له كلما صرفت صبغة فلك كذا من الدراهم وكان يفى له بما
يجعل له .

قال نظر الله وجهه : ثم ارتحلت في تلك السنة مهاجراً في طلب العلم الى
ميس ، وكان ابتداء الانتقال في شهر شوال من السنة المذكورة ، واشتغلت على
شيخنا الجليل الشيخ على بن عبد العالي قدس الله سره من تلك السنة الى أواخر
سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، وكان من جملة ما قرأته عليه شرائع الاسلام والارشاد
واكثر القواعد .

ثم ارتحلت في شهر ذي الحجة الى كرك نوح عليه السلام وقرأت بها على
المرحوم المقدس السيد حسن بن السيد جعفر جملة من الفنون ، وكان مما قرأته
عليه قواعد ميثم البحراني في الكلام والتهذيب في أصول الفقه والعمدة الجلية
في الاصول الفقهية من مصنفات السيد المذكور والكافية في النحو ، وسمعت
جملة من الفقه وغيره من الفنون .

ثم انتقلت الى جبع وطني الاول زمن الوالد في شهر جمادى الاخر سنة
اربع وثلاثين ، وأقيمت بهامشغلا بمطالعة العلم والمذاكرة الى سنة ٩٣٧ .

ثم ارتحلت الى دمشق واشتغلت بها على الشيخ الفاضل المحقق الفيلسوف
شمس الدين محمد بن مكى ، فقرأت عليه من كتب الطب شرح الموجز النفيسى
وغاية القصد في معرفة القصد من مصنفات الشيخ المبرور المذكور وفصول
الفرغانى في الهيئة وبعض حكمة الاشراق للسهروردي ، وقرأت في تلك المدة
بها على المرحوم الشيخ احمد بن جابر الشاطبية في علم القراءات وقرأت عليه
القرآن بقراءة نافع وابن كثير وابى عمرو وعاصم .

ثم رجعت الى جبع سنة ٩٣٨ وبهاتوفى شيخنا الشيخ شمس الدين المذكور
وشيخنا المتقدم الاعلى الشيخ على في شهر واحد وهو شهر جمادى الاولى ، وكانت
وفاة شيخنا السيد حسن سادس شهر رمضان سنة ٩٣٣ ، وأقيمت بالبلدة المذكورة
الى تمام سنة ٩٤١ .

ورحلت الى مصر في أول سنة ٩٤٢ لتحصيل ما أمكن من العلوم واجتمعت
في تلك السفرة بجماعة كثيرة من الافاضل ، فأول اجتماعى بالشيخ شمس الدين
ابن طولون الدمشقى الحنفى وقرأت عليه جملة من الصحيحين وأجازنى روايتهما
مع ما يجوز له روايته في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة .

قلت : وكانت قراءته عليه فى الصالحية بالمدرسة السليمية وكنت انا اذ

ذلك في خدمته أسمع الدرس واجازني الشيخ المذكور الصحيحين المذكورين ،
ورآه بعض الاخوان الصالحين وهو الشيخ زين الدين الفقعاني تلك السنة في
المنام في قرية يقال لها البصة على ساحل البحر مع جماعة فدخل عليهم رجل
ذو هيئة ومعه جرة فيها ماء فألقم باب الجرة شيخنا الشيخ زين الدين وجعل يكرع
من الماء وهو قابضها معه ، فسأل الرائي عنه فقيل له هذا الشيخ على بن
عبد العالي الكركي وهذا الشيخ يروي عنه شيخنا بواسطة^(١) توفي مسموماً ثاني
عشر ذي الحجة سنة ٩٤٥ وهو فسي الغري على مشرفه السلام ، وكنت أريد
صحبته الى مصر فأرسلت اليه الوالدة أنه يمنعني من السفر فمنعني وما كان ذلك
الا لسوء حظي ، وكان القائم بامداده وتجهيزه بهذه السفارة الحاج المحترم
الخير الصالح شمس الدين محمد بن هلال رحمه الله ، عمل معه عملاً قصد به
وجه الله وقام بكل ما يحتاج اليه مضافاً الى ما اسدى اليه من المعروف وأجرى عليه
من الخيرات في مدة طلبه العلم قبل سفره .

هذا واصبح هذا الحاج محمد مقتولاً في بيته هو وزوجته وولدان له احدهما
رضيع في السريبر في سنة ٩٥٢ ، وكان مع كونه من اهل الدنيا على غاية من
الصلاح ، وكان في القافلة التي سافر معها رجل من اهل الشام يخاف من شره
وعناده وغدره ، وكان الحاج محمد المذكور يحذره منه حتى بالغ وقال : لو
كنت أنا اريد السفر وهذا الرجل في القافلة لتركت السفر وسيجيء ما اتفق له مع
هذا الرجل في الطريق وكفاية الله شره .

(١) اقول انه يروي عنه بغير واسطة لما اجتمع معه في الجملة ، واجازته له عندي بخطه
في اول شرح الجعفرية ، وكان الشيخ زين الدين قدس سره في أوائل السن ، وتاريخ الاجازة
في ثالث شهر رجب من سنة أربع وثلاثين وتسعمائة . ويظهر مما يسأني انه لم يكن في هذه
السنة مسافراً ، ويمكن أن تكون الاجازة المشارك له في الاسم وفيهما الشيخ زين الدين
العالمي « منه » .

ثم ودعناه وسافر من دمشق يوم الأحد نصف ربيع الأول سنة ٩٤٢ واتفق
فى الطريق الطاف الهبة وكرامات جليلة حكى لنا بعضها :

منها ما أخبرنى به ليلة الأربعاء عاشر شهر ربيع الأول سنة ستين وتسعمائة
أنه فى الرملة مضى الى مسجدها المعروف بالجامع الأبيض لزيارة الانبياء الذين
فى الغار وحده ، فوجد الباب مقفولا وليس فى المسجد أحد ، فوضع يده على
القفل وجذبه فانفتح فنزل الى الغار واشتغل بالصلاة والدعاء وحصل له اقبال على
الله بحيث ذهل عن انتقال القافلة وسيرها ، ثم جلس طويلا ودخل المدينة بعد
ذلك ومضى الى مكان القافلة فوجدها قد ارتحلت ولم يبق منها أحد ، فبقى متحيراً
فى أمره مفكراً فى اللحاق مع عجزه عن المشي وأخذوا أسبابه ومحافته ، فأخذ
يمشي على اثرها وحده ، فمشى حتى اعياه التعب فلم يلحقها ولم يرها من البعد
فبينما هو فى هذا الضيق اذ أقبل عليه رجل لاحق به وهو راكب بغلا ، فلما وصل
اليه قال له : اركب خلفى ، فردفه ومضى كالبرق ، فما كان الا قليل حتى لحق
به القافلة وأنزله وقال له اذهب الى رفقتك ، ودخل هو فى القافلة . قال :
فتحريته مدة الطريق انى أراه ثانياً فما رأيت اصلا ولا قبل ذلك ، وهذه كرامة
ظاهرة وعناية باهره لا ينكرها الامن عطى هواه على عقله واعتقد أن الله لا يعتنى
بمن هو من أهله .

ومنما انه لما وصل الى غزة واجتمع بالشيخ محي الدين عبدالقادر بن ابى
الخير الغزى وجرت بينه وبينه احتجاجات ومباحثات واجازه اجازة عامة وصار
بينهما مادة زائدة وادخله الى خزانة كتبه فقلب الكتب وتفرج فى الخزانة ،
فلما أراد الخروج قال له : اختر لنفسك كتاباً من هذه الكتب . فوضع يده على كتاب
من غير تأمل ولا انتخاب ، فظهر كتاب لا يحضرني اسمه من كتب الشيعة من مصنفات
المرحوم الشيخ جمال الدين بن المطهر . وهذه كرامة واضحة ومنقبة راجحة .

ومنها انه لما وصل الى قطية وكان معه شيء من الشريط بضاعة ، فجاء جماعة الحاكم يطلبون المكوس من القافلة وأخذوهم الى عند الحاكم وكان هو من الجملة فمر ، فرأى الرجل الشامي الذي كان الحاج محمد بن هلال المذكور يحذره منه جالساً عند باب الوالي ، فلما رآه مقبلاً قال للحاضرين : هذا هو الذي قلت لكم عنه . فقال له ما الذي قلت لهم عنى؟ قال : قلت لهم انك راثع الى مصر تطلب العلم وان الحاج محمد بن هلال أرسلك وامدك فحصل في نفسه بعض ريبة ، فلما دخلوا على الوالي وجعلو يحاسبون التجار على ما معهم حتى وصلت النوبة اليه ، فلما نظر اليه تفرس فيه الخبر وكتب بخطه رقعة فيها جمال فلان سماح ، فلما خرج من عنده مر على الرجل الشامي المذكور فقال له : لاشك ان معك لجمالاً تلجؤ به الناس ، فكأنه لما كان في قلبه عليه دغالة وغيرها الله تعالى وكفاه ذلك قال له ذلك ، والذي كان معه من البضاعة نصف حمل فجعل جمال بعض رفقته له وخرجها .

قال نفع الله ببركاته: وكان وصولي الى مصر يوم الجمعة منتصف شهر ربيع الاخر من السنة المتقدمة ، واشتغلت بها على جماعة .

(منهم) الشيخ شهاب الدين احمد الرملی الشافعی، قرأت عليه منهاج النووي في الفقه واكثر مختصر الاصول لابن الحاجب وشرح العضدي مع مطالعة حواشيه منها السعدية والشريفية ، وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون العربية والعقلية وغيرهما ، فمنها شرح التلخيص المختصر في المعاني والبيان لملا سعد الدين ومنها شرح تصريف العربي ومنها شرح الشيخ المذكور لورقات امام الحرمين الجويني في اصول الفقه ومنها اذكار النووي وبعض شرح جمع الجوامع المحلي في اصول الفقه وتوضيح ابن هشام في النحو وغير ذلك مما يطول ذكره، وأجازني اجازة عامه بما يجوز له روايته سنة ٩٤٣ .

(ومنهم) الملا حسين الجرجاني، قرأنا عليه جملة من شرح التجريد للملا
على القوشجي مع حاشية ملاجلال الدين الدواني وشرح اشكال التأسيس في
الهندسة لقاضي زاده الرومي وشرح الجفميني في الهيئة له .
(ومنهم) الملا محمد الاسترابادي، قرأنا عليه جملة من المطول مع حاشية
السيد الشريف والجامي شرح الكافية .

(ومنهم) الملا محمد الكيلاني ، سمعنا عليه جملة من المعاني والمنطق .
(ومنهم) الشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي ، قرأت عليه جميع شرح
الشافية للجمار بردي وجميع شرح الخ-زرجية في العروض والقوا في للشيخ
زكريا الانصاري وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون والحديث منها الصحيحان،
واجارني جميع ما قرأت وسمعت ومايجوز له روايته في السنة المذكورة .
(ومنهم) الشيخ ابوالحسن البكري ، سمعت عليه جملة من الكتب في الفقه
والتفسير وبعض شرحه على المنهاج .

قلت كثيراً ما كان قدس الله سره يطري علينا احوال عذر الشيخ ويثنى
عليه ، وذكر أنه كان له حافظة عجيبة كان التفسير والحديث نصب عينيه ،
وكان اكثر المشائخ المذكورين أبهة ومهابة عند العوام والدولة ، وكان على
غاية من حسن الطالع والحظ الوافر من الدنيا واقبال القلوب عليه ، وكان من
شدة ميل الناس اليه اذا حضر مجلس العلم أو دخل المسجد يزدحم الناس على
تقبيل كفيه وقدميه حتى منهم من يمشي حبواً حتى يصل الى قدميه يقبلهما .

صحبته شيخنا نفع الله به من مصر الى الحج وذكر أنه خرج في مهيع
عظيم من مصر راكباً في محفة مستصحباً ثقلاً كثيراً بعزم المجاورة بأهله وعياله،
وكان شأنه انه اذا حج يجاور سنة ويقوم بمصر سنة ويحج ، وكان معه من الكتب
عدة أحمال ، ذكر شيخنا عددها ولكن ليس في حفظي الان ، حتى انه ظهر

له منه التعجب من كثرتها ، فروى له أن الصاحب بن عباد رحمه الله كان اذا سافر يصحب معه سبعين حملاً من الكتب بحيث صار ما صحبه قليلاً في جنب ذلك .

وذكر أنه حكى له في أول منزل برز اليه الحاج خارج مصر أنه اخرج حتى صار في ذلك المنزل ألف دينار من المال ، وكان محبباً لشيخنا مقبلاً عليه متلطفاً به ، ولما رآه اول مرة راكباً في المحارة وهو كان في السفحة سلم عليه وتواضع معه وقال له : يا شيخ أنا اول حجة حججتها ركبت في موهية عبارة عن وعاء من الخوص ، وانت الحمد لله من أول حجة ركبت في المحارة ، وكان شيخنا يتحرى ان لا يراه وقت الاحرام ، فاتفق انه صادفه حال السير محرماً فقال له بصوت عال : ما أحسن هذا ما احسن هذا تقبل الله منكم ، وكانت له معه محاورات ولطائف في تضاعيف المباحث .

سأله يوماً في الطريق : ما تقولون في أمر هولاء العوام والرعاع الذين لا يعرفون شيئاً من الدلالات المنجية من الهلكات ، ما حكمهم عند الله سبحانه وهل يرضى منهم مع هذا التقصير ، بل تنقل الكلام الى العلماء الاعلام والفضلاء الكرام الذين جمد كل فريق منهم على مذهب من المذاهب الاربعة ولم يدروا قيل فيما عدا المذهب الذي اختاره مع قدرته على الاطلاع والتفحص وادراك المطالب ووقوع بالتقليد للسلف وجزم بأنهم كفوه مؤونة ذلك ومن المعلوم ان الحق في جهة واحدة ، فان قالت احدى الفرق الحق في جانبنا اعتماداً على فلان وفلان فكذلك الاخرى تقول اعتماداً على محققهم واعيان مشائخهم ، لان ما من فرقة الاولها فصلاً ترجع اليهم وتعول عليهم ، فالشافعية مثلاً يقولون نحن الامام الشافعي وفلان وفلان كفونا ذلك ، وكذلك الحنفية يستندون الى الامام ابي حنيفة وغيره من محققى المذهب ، وكذلك المالكية والحنابلة يستندون الى فضلائهم ومحققهم

وكذلك الشيعة يقولون نحن السيد المرتضى والشيخ الطوسي والخوارجانصير الدين والشيخ جمال الدين وغيرهم بذلوا الجهد وكفونا مؤونة التفحص ونحن على بصيرة وثقة من أمرنا ، فكيف يكتفى مثل هؤلاء الفضلاء بالاقنصار على احد هذه المذاهب ولم يطلع على حقيقة المذاهب الاخر بل ولا وقف على مصنعات أهله ولا عرف اسماءهم ، فكون الحق مع الجميع لايمكن ومع البعض ترجيح من غير مرجح .

فاجاب الشيخ ابو الحسن : اما ما كان من العوام فنرجو من عفو الله انه لا يؤاخذهم بتقصيرهم ، وأما العلماء فيكفيهم كون كل منهم محققاً في الظاهر . فقال شيخنا: كيف يكفيهم معما ذكر من تقصيرهم في النظر وتحقيق الحال؟ فقال له : يا شيخ جوابك سهل ، مثال ذلك من ولد مختوناً خلقه فانه يكفيه عن الختان الواجب شرعاً .

فقال له شيخنا : هذا المختنون خلقه لايسقط عنه الوجوب حتى يعلم أن هذا هو الختان الشرعي ، بأن يسأل ويتفحص من اهل الخبرة والممارسين لذلك وان هذا القدر الموجود خلقه هل هو كاف في الواجب شرعاً ام لا ، اما انه من نفسه يقتصر على ما وجدته فهذا لاكفيه شرعاً في السقوط .

فقال له : يا شيخ ليست هذه أول قارورة كسرت في الاسلام . توفي سنة ٩٥٣ بمصر ودفن بالقرافة ، وكان يوم موته يوماً عظيماً بمصر لكثرة الجمع ودفن بجانب قبة الامام الشافعي وبنوا عليه قبة عظيمة . قال روح الله روحه الزكية : ومنهم الشيخ زين الدين الحري المالكي ، قرأت عليه الفية ابن مالك .

(ومنهم) الشيخ المحقق ناصر الدين اللقاني المالكي محقق الوقت وفاضل تلك البلدة ، لم أربالديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية؛ سمعت

عليه البيضاوى فى التفسير وغيره من الفنون .

(ومنهم) الشيخ ناصر الدين الطلاوي الشافعى ، قرأت عليه القرآن بقراءة
ابى عمرو ورسالة فى القراءات من تأليفاته

(ومنهم) الشيخ شمس الدين محمد ابى النجا النحاس ، قرأت عليه الشاطبية
فى القراءات والقرآن العزيز للائمة السبعة ، وشرعت ثانياً اقرأ عليه للعشرة ولم
اكمل الختم بها .

قلت : كثيراً ما كان ينعت هذا الشيخ بالصلاح وحسن الاخلاق والتواضع
وكان فضلاء مصر والاكابر يترددون اليه القراءة فى فنون القرآن العزيز لبروزه
فيها ، وكان هذا الفن نصب عينه حتى أن الناس كانوا يقرأون عليه وهو مشغول
بالصنعة لايرمى المطرقة من يده الا اذا جاء أحد من الفضلاء الكبار فيفرش له
شيئاً ويجلس هو على الحصير .

قال : اعاد الله علينا من بر كاته .

(ومنهم) الشيخ الفاضل الكامل عبد الحميد السمهودى ، قرأت عليه جملة
صالحة من الفنون وأجازنى اجازة عامة .

قلت : وهذا الشيخ ايضاً كان شيخنا قدس سره كثير الثناء عليه بالجمع بين
فضيلتى العلم والكرم، وانه كان فى رمضان لايدعهم يفتطرون الا عنده ، حتى أنهم
غابوا عنه ليلة فلما جاؤا بعدها تلتطف بهم كثيراً .

وقال : كل من فى البيت استوحش لكسم البارحة حتى لطيفة اسم بنت
صغيرة كانت له ، وكان له جارية اذا جاء أحد بطلبهم للضيافة يقول اعلمى سيدك
بالخبر أن فلاناً يطلب الجماعة ليكونوا عنده الليلة ، تقول هذا الخبر لا أعلمه به
ولا اقول له عن ذلك .

قال قدس سره (ومنهم) الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر الفرضى الشافعى

قرأت عليه كتباً كثيرة في الحساب الهموائي والمرشدة في حساب الهند الغباري والياسمينية وشرحها في علم الجبر والمقابلة وشرح المقنع في علم الجبر والمقابلة وسمعت عليه بعض شرح الوسيلة واجازني اجازة عامة .

وسمعت بالبلد المذكور من جملة متكثرة من المشائخ يطول الخطب بتفصيلهم ، ومنهم الشيخ عميرة الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق والشيخ شهاب الدين البلقيني والشيخ شمس الدين الديروطي وغيرهم .

قلت ، وكل هؤلاء المشائخ لم يبق منهم أحد وقت انشاء هذا التاريخ ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون .

ثم ارتحلت من مصر الى الحجاز الشريف سابع عشر شهر شوال سنة ٩٤٣ ، ورجعت الى وطني الاول بعد قضاء الواجب من الحج والعمرة والتمتع بزيارة النبي وآله واصحابه صلوات الله عليهم .

وكان قدس سره قد رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه بمصر ووعدته بالخير ولا أحفظ صورة المنام الان ، فلما وقف على القبر المقدس وزاره خاطبه وأنشده وقال :

صلاة وتسليم على اشرف الورى	ومن فضله ينوعى الحد والحصر
ومن قدرقى السبع الطباق بنعله	وعوضه الله البراق عن المهر
وخاطبه الله العلى بحبه	شفاهاً ولم يحصل لعبد ولاحر
عدولسى عن تعداد فضلك لايق	يكل لسانى عنه فى النظم والنثر
وماذا يقول الناس فى مدح من انت	مدائحہ الغراء فى محكم الذكر
سعبت اليه عاجلا سعى عاجز	بعب ذنوب جمه أنقلت ظهري
ولكن ريسح الشوق حرك همتى	وروح الرجامع ضعف نفسى ومع فقرى
ومن عادة العرب الكرام بوفدهم	اعادته بالخير والجبر والوفر

وان يبك وقد قد وفوا لنزيلهم فكيف وقد اعدتني الخير في مصر
 فحقق رجائي سيدي في زيارتي بنيل مناسي والشفاعة في حشري
 قال طاب مثواه : ووصلت رابع عشرى شهر صفر سنة ٩٤٤ . قلت : وكان
 قدومه الى البلاد كرحمة نازلة وغيوث هائلة احبى بعلمه نفوساً امامها الجهل
 وازدحم عليه أو لوا العلم والفضل ، كان ابواب العلم كانت مغلقة ففتحت وسوقه
 كانت كاسدة فربحت ، وأشرفت انواره على ظلمة الجهالة فاستنارت وابتهجت
 قلوب اهل المعارف واضاعت ، اشهر ما اجتهد في تحصيله منه واشاع وظهر من
 فوائده ما لم يطرق الاسماع ، رتب الطلاب ترتيب الرجال وأوضح السبيل لمن
 طلب الكمال . وفي هذه السنة توشح ببرود الاجتهاد وافاض مولاه عليه من
 السعادة ما اراد الا انه بالغ في كتمان امره ، وسيأتي تفصيل ذلك في بابيه
 انشاء الله .

قال روح الله ورحمة الزكية : وأقامت بها الى سنة ست واربعين . قلت : وفي
 خلال هذه المدة عمر داره التي انشأها بجمع وقلت امدها .

فيالك بقعة قد نلت خيرا	وشرفك الاله بمن وطبك
لقد أصبحت تفتحون بشرى	بزين الدين اذ قد حل فيك
فكيف ولافتخار وصرت ظرفاً	ونبع العلم مسكوت بفيك
تمنى الواردون بأن يكونوا	مكانك في سمار مسامريك
ليقتضوا غرايب كل فن	من الاقطار قد جمعن فيك
فلا زال السرور بكل يوم	بخاطب بالتحية ساكنيك

وكان يحصل له هذه الابيات غاية الابتهاج ، وشرع ايضاً في عمارة المسجد
 المجاور للدار المذكورة وانتهى في سنة ٩٤٥ .

قال نفعنا الله بعلمه : وسافرت الى العراق لزيارة الائمة عليهم السلام

وكان خروجي سابع عشرى شهر ربيع الآخر سنة ٩٤٦ ورجوعي خامس عشر شهر شعبان منها .

قلت : وكنت فى خدمته مع جماعة من الاصحاب وأهل البلاد تلك المرة وكانت من أبرك السفرات بوجوده ، واتفق انه رافقنا من حلب رجل اخو بعض سلاطين الازبك كان قد جاء من الحج ومعه جماعة من جملتهم رجل شيعى أعجمى ومنهم آخر من بلاده فى غاية البغض للشيعه والبعء عنهم ، وكان شيخاً كبيراً طاعناً فى السن واخر لا يصلى به اماماً ، وكان يظهر من الشيخ الكبير بعد زائد عن الشيخ ورفقته ، فلم يزل ذلك العجمى يقرب خاطره حتى ألف بينه وبين الشيخ وما بقي يصلى الا معه ، واذا نزلت القافلة حال نزوله عن الفرس يجىء الى عنده ، وألقى الله سبحانه حبه فى قلبه وترك الصلاة مع صاحبه الملا وجعله قائداً لكلاب كانت معه ، فحصل فى نفسه نفس ذلك الشيخ على شيخنا من الغل والحقد ما حصل وعزما على السعاية عليه فى بغداد ، وكان شيخنا فى فكر لذلك حتى انه عزم على الرجوع ان لم يمكنه الزيارة حضيه علما وصلنا الى الموصل ضعف ذلك الشيخ جداً وعجز عن السفر مع القافلة وانقطع هناك وكفاه الله شره ، وزار الشيخ قدس سره الاثمة عليهم السلام مستعجلاً ورجع واجتمع عليه فضلاء العراق ، وكان منهم السيد شرف الدين السماك العجمى احد تلامذة المرحوم الشيخ على بن عبد العالى ، وأخذ عليه العهد عند قبة الامام امير المؤمنين عليه السلام الا ما اخبره ان كان مجتهداً واقسم له انه لا يريد بذلك الاوجه الله سبحانه، ثم بعد رجوعه الى البلاد جاء منه سؤالات ومباحث وايرادات ، فأجابها عنها بما تقتضيه الحال وحقق فيها المقال .

قال أعلى الله شأنه فى الجنة : وسافرت لزيارة بيت المقدس منتصف ذى الحجة سنة ٩٤٨ ، واجتمعت فى تلك السفرة بالشيخ شمس الدين بن ابى اللطف

المقدسى وقرأت عليه بعض صحيح البخارى وبعض صحيح مسلم واجازنى اجازة عامة ، ثم رجعت الى الوطن الاول المتقدم وأقمت به الى أواخر سنة احدى وخمسين مشتغلا بمطالعة العلم ومذاكرته مستفرغاً وسعى فى ذلك ، ثم برزت الى الاوامر الالهية والاشارات الربانية بالسفر الى جهة الروم والاجتماع بمن فيها من اهل الفضائل والعلوم والمتعلق بسطان الوقت والزمان السلطان سليمان ابن عثمان ، وكان ذلك على خلاف مقضى الطبع وساق الفهم لكن ما قدر لانتصل اليه الفكرة الكليية والمعرفة القليلة من أسرار الحقائق واحوال العواقب، والكيس الماهر والمستسلم فى قبضة العالم الخبير القاهر الممثل لاوامره الشريفة المنقاد الى طاعته المنيفة ، كيف لا وانما يأمر بمصلحة تعود على المأمور مع اطلاعه على دقائق عواقب الامور وهو الجواد المطلق والرحيم المحقق ، والحمد لله على انعامه واحسانه وامتنانه ، والحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يهمل من غفل عنه ولا يؤاخذ من صدق عن طاعته بل يقوده الى مصلحته ويوصله الى بغيته .

وكان الخروج الى السفر المذكور بعد بواذر الاوامر به والنواهي عن تركه والتخلف عنه وتأخيرته الى وقت آخر ثانى عشر شهر ذى الحجة المحرام سنة ٩٥١ ، واقمت بمدينة دمشق بقية الشهر ثم ارتحلت الى حلب ووصلت اليها يوم الاحد سادس عشر شهر المحرم سنة ٩٥٢ ، وأقمت بها الى السابع من شهر صفر من السنة المذكورة .

ومن غريب من اتفق لنا بحلب انا أزمعنا عند الدخول اليها على تخفيف الاقامة بها بكل ما أمكن ولم ننو الاقامة ، فخرجت قافلة الى الروم على الطريق المعهود المار بمدينة أذنة ، فاستخرنا الله على مرافقتها فلم يخرلنا ، فكان قدتها بعض طلبة العلم من اهل الروم الى السفر على طريق ملوقات وهو طريق غير

مسلوك غالباً لقا صد قسطنطينية، وذكروا أنه قد تهيأ قافلة للسفر على الطريق المذكور فاستخرنا الله تعالى على السفر معهم فأخاربه فتأخر سفوهم وساءنا ذلك، فتفألت بكتاب الله تعالى على الصبر وانتظارهم فظهر قوله تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم »^(١) فاطمأنت النفس لذلك وخرجت قافلة أخرى من طريق اذنة و اشار الاصحاب برفتهم لما يظهر من مناسبتهم ، فاستخرت الله تعالى على صحبتهم فلم يظهر خيره وتفألت بكتاب الله تعالى على انتظار الرفقة الاولى وان تأخروا كثيراً فظهر قوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره » الى قوله تعالى « فقد باء بغضب من الله »^(٢) ثم خرجت قافلة اخرى على طريق اذنة فاستخرت الله تعالى على الخروج معها فلم يظهر خيرة ، فضقت لذلك ذرعاً وسمت الاقامة وتفألت بكتاب الله تعالى فى ذلك فظهر قوله تعالى « واتبع ما يوحى من ربك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين »^(٣) ثم خرجت قافله رابعة على الطريق المذكور فاستخرت الله تعالى على رفتها فلم يظهر خيرة ، وكانت القافلة التى أمرنا بالسفر معها تسوفنا بالسفر يوماً وتكذب كثيراً فى اخبارنا ، ففتحت المصحف صبيحة يوم السبت وتفألت به فظهر قوله تعالى « وتلقاهم الملائكة هـذا يومكم الذى كنتم توعدون »^(٤) فتعجبنا من ذلك غاية العجب وقلنا ان كانت القافلة تسافر فى هذا اليوم فهو من أعجب الامور وأغربها وأتم البشائر بالخير والتوفيق ، فأرسلنا بعض أصحابنا يستعلم الخبر فقالوا له اذهب الى اصحابك وحملوا ففى هذا اليوم يخرج ،

(١) سورة الكهف : ٢٨ .

(٢) سورة البقرة : ٦١ .

(٣) سورة يونس : ١٠٩ .

(٤) سورة الانبياء : ١٠٣ .

فحمدنا الله تعالى على هذه النعم العظيمة والمنن الجسيمة التي لا نقدر على شكرها .

ثم بعد ذلك ظهر لاقامتنا بحلب تلك المدة فوائده وأسرار لا يمكن حصرها، وظهر لسفرنا على الطريق المذكور ايضاً فوائده وأسرار وخيرات لا تحصى ، وقلنا انه بعد ذلك بلغنا ممن سافر على تلك الطريق التي نهينا عنها أن عليق الدواب وزاد الناس كان في غاية القلة والصعوبة والغلاء العظيم ، حتى أنهم كانوا يشترون العليقة الواحدة بعشرة دراهم عثمانية ، واحتاجوا مع ذلك الى حمل الزاد أربعة ايام لعدم وجوده في الطريق للدواب ولا للانسان ، فلوناسفر في تلك الطريق لانه علينا ضرر عظيم لا يوصف ، بل لا يفى جميع ما كان بيدنا من المال بالصرف في الطريق خاصة لكثرة ما معنا من الدواب والاتباع، وكانت العليقة في طريقنا اكثر الاوقات بدرهم واحد عثمانى وقل الى ان وصلنا ، ولم نفتقر الى حمل شيء بل جميع طريقنا تمر على البلاد العامرة والخيرات الوافرة فالحمد لله على نعمه الغامرة .

وكان وصولنا الى مدينة طوقات صبيحة يوم الجمعة ثاني عشر شهر صفر ونزلنا بعمارة السلطان بايزيد ، وهي مدينة كثيرة الخيرات عامرة أهله بحلب اليها ومنها اكثر الامتعة والارزاق كثيرة المياه والجبال محيطة بها من كل جانب ويلبها الى الشمال واد طويل متسع فيه نهر كبير جداً يشتمل هذا الوادي على ما قيل على نحو أربع مائة قرية شاهدنا كثيراً منها ومررتنا فيه يومين بعد خروجنا من طوقات ، وهذه القرى المذكورة كلها عامرة جداً كثيرة الخير والقوات متصلة بعضها ببعض لا يفصل بينها شيء ، وربما بعد الانسان منها في نظر واحد ما يزيد عن عشر قرى الى عشرين قرية ، وكان خروجنا من طوقات يوم الاحد عند الظهر ووصلنا يوم الاربعاء الى مدينة امامية ، وبها ايضاً عمارة السلطان بايزيد

عظيمة البناء محكمة غاية الاحكام فى بقعة متسعة جداً حسنة تشتمل على مطابخ عظيمة وصدقات وافرة لكل وارد، وفيها مدرسة عظيمة حسنة وحاكم المدينة مع باقي تلك الجهات يؤمئذ السلطان مصطفى ابن السلطان سليمان ، وهذا السلطان مصطفى قتله ابوه خوفاً على الملك فى سنة ستين وتسعمائة ، وهي السنة التى خرج فيها الى حرب الفرس و كان قتله وفيها كان موت ولده امر الزمان بحلب وقيل ان اباه قتله ايضاً .

واقمنا بهذه المدينة ستة عشر يوماً ثم توجهنا منها نحو قسطنطينية . ومن غريب ما رأينا فى الطريق بعد مفارقتنا اماسية بأيام انا مررنا بوادى عظيم لم تر احسن منه وليس عمارة طوله مسيرة يوم تقريباً ، وفيه من سائر الفواكه والثمار بغير ما لك بل هو نبات من الله سبحانه كثيره من الاشجار البرية ، وكذا فيه معظم أنواع المشمومات العطرة والازهار الارجة، فمما رأينا فيه الجوز والمان والفندق والعناب والعنب والتفاح وانواع من الخوخ وأنواع من الكمثرى والزعرور والقراصيا حتى ان بعض اشجار القرصيا بقدر شجر الجوز الكبير بغير حرث ولاسقي، وفيه البر باريس بكثرة . ورأينا من المشمومات الورد الابيض والاحمر والاصفر والياسمين الاصفر والبلسان والزيرقون والبان ، وكان ذلك الوقت أو انزهرها وفيه من الاشجار الجيدة العظيمة شجر الصنوبر والدلب والصفصاف والسنديان والملول شجر البلوط، وهذه الاشجار كلها مختلطة بعضها ببعض ورأينا فيها انواعاً كثيرة من الفواكه قد انعقد حبهـا ولانعرف اسماءها ولارأيناها قبل ذلك اليوم ابداً .

ثم سرنا منه اياماً كثيرة ، ثم وصلنا الى أرض اكثر شجرها الفواكه سيما الخوخ والتفاح واكثر ما اشتمل عليه ذلك الوادى يوجد فيها وسرنا فى هــ هذه الارض خمسة أيام وهي من اعجب ما رأينا من أرض الله تعالى وأحسنها واكثرها فاكهة مجتمعـة بعضها ببعض كأنها حدائق مقصودة بالفرس لا يدخل بينها اجنبى

وفيهما أشجار عظيمة طولاً وعرضاً وربما بلغ طولها مائتي شبراً فصاعداً ودور بعضها يبلغ ثلاثين شبراً فصاعداً ، ومررنا في جملة هذا السير على مدن حسنة وقرى جيدة .

وكان وصولنا الى مدينة قسطنطينية يوم الاثنين سابع عشر من شهر ربيع الاول من السنة السابعة وهي سنة ٩٥٢ ، ووفق الله تعالى لنا منزلاً حسناً وقصاً من أحسن مساكن البلد قريباً الى جميع اغراضنا ، وبقيت بعد وصولي ثمانية عشر يوماً لا أجتمع بأحد من الاعيان ، ثم اقتضى الحال ان كتبت في هذه الايام رسالة جيدة تشتمل على عشرة مباحث جليلة كل بحث في فن من الفنون العقلية والفقهية والتفسير وغيرها ، وأوصلتها الى قاضي العسكري وهو محمد بن قطب الدين ابن محمد بن محمد بن قاضي زاده الرومي ، وهو رجل فاضل أديب عاقل لبيب من أحسن الناس خلقاً وتهذيباً وأدباً ، فوعدت منه موقعاً حسناً وحصل لي بسبب ذلك منه حظ عظيم ، واكثر من تعريفي والثناء علي فاضل ، واتفق في خلال المدة بيني وبينه مباحثة في مسائل كثيرة من الحقائق .

قلت : ومن قواعد الاروام المقررة في قانونهم بحيث لا يمكن خلافه عندهم ان كل طالب مهم منهم لا بد له من عرض قاضي جهته بتعريفه وانه اهل لما يطلب الا شيخنا قدس سره فانه استخار الله سبحانه أن يأخذ عرضاً من قاضي صيدا وكان اذ ذلك القاضي معروف الشامي فلم يظهر خيره وكانت بينه وبينه صحبة ومداخلة ، فبقى متحيراً في أنه يسافر ولا يعلمه ولا يطلب منه عرضاً ، فاقترضى الرأي ان ارسلني اليه لاسوق معه سياقاً يفهم منه الاعلام بالسفر ولا أطلب منه عرضاً ، فمضيت الي عنده وأعلمته بذلك ، فقال نكتب له عرضاً . فقلت : هو ما قال لي من جهة العرض . فقال : رواحه بلا عرض لا يمكن لانه لا يقتضى له مهم الا به البتة لان من عادة هؤلاء الاروام وقانونهم انه لو مضى اليهم مذهبهم ابو

حنيفة وطلب منهم غرضاً من الاغراض يقولون له أين عرض القاضي فيقول لهم
أنا أمامكم ولا احتاج الى عرض القاضي فيقولون له لا بد من ذلك نحن لانعرف
الا القانون .

وحكى لنا قدس سره انه اجتمع ببعض الفضلاء في قسطنطينية فسأله هل معك
عرض القاضي ، فقال لا . فقال : اذا أمرك مشكل يحتاج الى تطويل زائد ،
فأخرج له الرسالة المذكورة التي ألفها وقال : هذا عرضي . فقال : ما تحتاج
معه شيئاً .

قال طاب ثراه : ففي اليوم الثاني عشر من اجتماعي به أرسل الي الدفتر
المشتمل على الوظائف والمدارس وبذل لي ما أخترته وأكد في كون ذلك في
الشام أو حلب ، فاقترضى الحال أن اخترت منه المدرسة النورية ببلبك لمصالح
وجدتها ولفظهور أمر الله تعالى بهاعلى الخصوص ، فأعرض لي بها الى السلطان
سليمان وكتب لي بها براءه ، وجعل لي لكل شهر ما شرطه واقفها السلطان
نور الدين الشهيد ، واتفق من فضل الله سبحانه ومنه لي في مدة اقامتي بالبلدة
المذكورة من الالطاف الالهية والاسرار الربانية والحكم الخفية ما يقصر عنه
البيان ويعجز عن تحريره البنان وبكل عين تقريره اللسان فله الحمد والمنة
والفضل والنعمة على هذا الشأن ونسأله ان يتم علينا منه الاحسان انه الكريم
الوهاب المنان .

ومن غريب ما اتفق لي من نعم الله تعالى وفضله وكرمه وجوده زمان اقامتي
بمدينة قسطنطينية أن خرجت يوماً من الاصحاب وكان ذلك اليوم في شهر جمادى
الاولى لزيارة مشهد شريف هناك بسمونه أبا ايوب الانصارى الصحابي قدبني
عليه سلطان محمد مشهداً خارج البلد ، فلما كنت في المشهد تخلوت وقرأت جزءاً من
القرآن وأخذت المصحف وتفأللت به ان يكشف لي عن حال حمل كنت قد فارقت به الزوجة
قبل سفري وميعاد ولادته أوائل شهر جمادى المذكور ، فظهر لي في أول القاتحة «وبشرناه

بغلام حلیم»^(١) فسجدت لله شكراً ورجوت من الله تعالى أن يحقق لى ذلك وان يكون قد رزقنى ولداً ذكراً مباركاً ميموناً حميد العاقبة ، فكتبت صورة الفال والتاريخ فى تلك الساعة فى رقعة ، واستمر الحال الى ان خرجت من المدينة المذكورة الى مدينة اسكدار وهى قرية منها بينها وبينها قطعة يسيرة من البحر سيرها نحو ميل ، فجاءنى وانا مقيم بها فى يوم ثلاث تساع عشرى شهر رجب من السنة المذكورة كتب من أصحابنا بالبلاد فى بعضها بشارة بولد ذكر ولد فى المدة المذكورة .

قلت : البشارة كانت فى بيتين انشأتها فى رسالة كتبتها اليه فى تاريخ ولادة المولود المذكور وستأتى الرسالة وهما .

وقد من مولانا الكريم بفضله عليكم بمولود غلام من البشر
فيا رب متعنا بطول بقائه واحيى به قلياله الوصل قد هجر
وكان هذا المولود من زوجته الكبرى ابنة الشيخ على الميسى وبنت خالته واسمه محمد مات صغيراً فى غيبة والده المقدس .

قال طاب ثوابه: فالحمد لله الذى حقق رجائنا ونسأل من فضله الكريم وجوده العميم ونتوسل اليه بأشرف خلقه عليه محمد وآله ان يجعله ولداً صالحاً وعقياً ناجحاً راجحاً ويرينى فيه ماتقربه عينى ويجعله لى وارثاً وذويه سالحة ويرزقه خيرى الدنيا والاخرة ، ويجمع له بين العمر السعيد والعيش الرغيد والعلم النافع والعمل بطاعته فانه على كل شىء قدير وباغاثه دعاء عباده جدير .
وكانت مدة اقامتى بمدينة قسطنطينية ثلاثة اشهر ونصفاً .

قلت لم يذكر اجتماعه فيها بالسيد عبد الرحيم العباسى ، فقد كان قدس سره كثيراً ما يطري ذكره علينا وانه من أهل الفضل التام وله مصنفات منها شرح

(١) سورة الصافات : ١٠١ .

شواهد التلخيص سلك فيه مسلكاً واسعاً سماه كتاب معاهد التنصيص في شرح أبيات التلخيص ، نقل شيخنا منه جملة بخطه وذكر انه اذا تعلق بشرح بيت من الابيات أتى على غالب احوال منشده راشعاره ومايتعلق به واطنّب ، ولهذا السيد اشعار في غاية الجودة موجودة منها شيء بخط شيخنا في بعض المجاميع .

قال روح الله روحه: وخرجت منها يوم السبت حادى عشر شهر رجب في السنة المذكورة وعبرت البحر الى مدينة اسكدار ، وهى مدينة حسنة جيدة صحيحة الهواء عذبة الماء محكمة البناء ، يتصل بكل دار منها بستان حسن يشتمل على الفواكه الجيدة العطرة على شاطئ البحر مقابلة لمدينة قسطنطينية بينهما البحر خاصة. وأقامت بها انتظر وصول صاحبنا الشيخ حسين بن عبدالصمد لانه احتاج الى التأخر عن تلك الليلة .

ومن غريب ما اتفق لى بها حين نزلت بها انى اجتمعت برجل هندي له فضل ومعرفة بفتون كثيرة منها الرمل والنجوم ، فجرى بينى وبينه كلام فقلت له: ان قاضى العسكر أشار علي بأن اسافر يوم الاثنين وخالفته وجئت في هذا اليوم وهو يوم السبت حذراً من نحس يوم الاثنين بسبب كونه ثالث عشر الشهر ، وكان قد ذكر لى قاضى العسكر المذكور أن يوم الاثنين يوم جيد للسفر لا يكاد يتفق مثله بالنسبة الى أحكام النجوم وان سعده يغلب نحسه بسبب كونه ثالث عشر . فقال لى ذلك الرجل الهندي على البديهة : صدق القاضى فيما قال ، وأما يوم السبت الذى خرجت فيه فانه يوم صالح لكن يقتضى انك تقيم فى هذه البلدة اياماً كثيرة ، واتفق الامر كما قال فان الشيخ حسين بعد مفارقتى بحث عن أمر المدرسة التى كان قد اعطاه اياها القاضى ببغداد ، فوجد أوقافها قليلة فاحتاج الى ابدالها بغيرها ، فتوقف لاجل ذلك احدى وعشرين يوماً ، وظهر صدق

ذلك الفاضل الهندي فيما اخبر به على البديهة .

ثم اتفق لي أن رقمت له شكلاً رملياً وطلبت البحث عنه ، ففكر فيه ساعة ثم أظهر لي منه اموراً عجيبة كلها رأيتها موافقة للواقع بحسب حالي ، وكان مما اخرج من بيت العاقبة انها في غاية الجودة والخير والتوفيق ، فالحمد لله على ذلك ، ومن بيت السفران هذه سفرة صالحة حميدة جداً والعود فيها سعيد صالح ، لكن فيه طول خارج عن المعتاد بالنسبة الى العود الى الوطن ، وكان الامر في الباطن على ما ذكر لانني كنت قد عزمت على التوجه الى العراق لتقبيل العتبات الشريفة في طريق العود ثم ارجع منها الى الوطن ، وذلك بعد تأكد الامر الالهي لنا بذلك ونهينا عن تركه .

وكان خروجنا من اسكدار متوجهين الى العراق يوم السبت لليلتين خلتا من شهر شعبان ، واتفق ان طريقنا اليها هي الطريق التي سلكتها من سيواس الى اصطنبول ، ووصلنا الى مدينة سيواس يوم الاثنين لخمس بقين من شعبان وخرجنا منها يوم الاحد ثاني شهر رمضان متوجهين الى العراق ، وهو أول ما فارقناه من الطريق الاولى وخرجنا في حال نزول الثلج وبتنا ليلة الاثنين أيضاً على الثلج وكانت ليلة عظيمة البرد .

ومن غريب ما اتفق لي تلك الليلة ان نمت يسيراً فرأيت في تلك الليلة كأنني في حضرة شيخنا الجليل محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله ، وهو شيخ بهي جميل الوجه عليه أبهة العلم ونحو نصف لمته بياض ، ومعى جماعة من أصحابي منهم رفيقي وصديقي الشيخ حسين بن عبد الصمد ، فطلبنا من الشيخ ابي جعفر الكليني المذكور نسخة الاصل لكتابه الكافي لنسخه ، فدخل البيت واخرج لنا الجزء الاول منه في قالب نصف الورق الشامي ففتحه فاذا هو بخط حسن معرب مصحح ورموزه مكتوبة بالذهب ، فجعلنا نتعجب من كون نسخة الاصل بهذه

الصفة ، فسررنا بذلك كثيراً لما كنا قبل ذلك قد ابتلينا به من رداة النسخ . فطلبت منه بقية الاجزاء فجعل يتألم من تقصير الناس في نسخها ورداة نسخهم وقال اني لأعلم ابن بقية الاجزاء ، وكان ذلك صدر منه على وجه التألم لتقصير الناس في نسخ الكتاب وتصحيحه وقال : اشتغلوا بهذا الجزء الى ان أجد لكم غيره . ثم دخل الى بيته لتحصيل باقى الاجزاء ثم خرج الينا وبيده جزء بخط غيره على قالب الورق الشامي الكامل وهو ضخيم غير جيد الخط ، فدفعه الي وجعل يشتكى الينا من كتابة كتسابه بهذه الصورة ويتألم من ذلك ، وكان فى المجلس الاخ الصالح الشيخ زين الدين الفقعاى نفعنا الله ببركته ، فقال : أنا عندي جزء آخر من نسخة الاصل على الوصف المتقدم ودفعه الى فسررت كثيراً ، ثم فتش البيت واخرج جزءاً آخر الى تمام اربعة اجزاء أو أكثر بالوصف المتقدم فسررنا بها وخرجنا بالاجزاء الى الشيخ الجليل المصنف وهو جالس فى مكانه الاول ، فلما جلسنا عنده أعدنا فيما بيننا وبينه ذكر نسخ الكتاب وتقصير الناس فيه ، فقلت : ياسيدنا بمدينة دمشق رجل من أصحابنا اسمهم زين العابدين الغرايلى قد نسخ كتابك هذا نسخة فى غاية الجودة فى ورق جيد وجعل الكتاب فى مجلدين كل واحد بقدر كتاب الشرائع ، وهذه النسخة فخر على المخالف والمؤلف ، فهلل وجه الشيخ رحمه الله سروراً وأظهر الفرح وفتح يديه ودعاه بدعاء خفى لم احفظ لفظه ، ثم انتهت .

وانتهينا بعد اربعة ايام من اليوم المذكور الى مدينة ملطية ، وهى مدينة لطيفة كثيرة الفواكه تقرب من أصل منبع الفرات ومررنا بعد ذلك بمدينة لطيفة تسمى أزغين ، وهى قريبة من منبع الدجلة .

وكان وصولنا الى المشهد المقدس المبرور المشرف بالعسكريين بمدينة سامراء يوم الاربعاء رابع شهر شوال ، وأقمنا به ليلة الخميس وبومه وليلة الجمعة .

ثم توجهنا الى بغداد ووصلنا الى المشهد المقدس الكاظمي يوم الاحد ثامن الشهر وأقمنا به الى يوم الجمعة وتوجهنا ذلك اليوم لزيارة ولي الله تعالى سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

ورحلنا منه الى مشهد الحسين عليه السلام ووصلنا يوم الاحد منتصف الشهر المذكور ، وأقمنا به الى يوم الجمعة .

وتوجهنا منه الى الحلة وأقمنا بها الى يوم الجمعة ، وتوجهنا منها الى زيارة القاسم ثم الى الكوفة ومنها الى المشهد المقدس الغروي، ووصلنا اليه يوم الاربعاء ثالث شهر ذي القعدة الحرام وأقمنا به بقية الشهر .

واتفق لنا من فضل الله تعالى وكرمه ورأفته وعنايته من التوفيقات الالهية والخيرات الربانية والتأييدات السبحانية والنعمة الشاملة والرحمة الواصلة ما لا يقتضي الحال ذكره ومفيضة سبحانه اعلم به ، ونسأل من فضله العميم وكرمه الجسيم أن يمدنا بفضله ويجود علينا بستره وكفايته كما عودنا ذلك فيما سلف، وان يعصمنا فيما بقي من كل ما يخالف رضاه ويبعد عن جواده ويحرسنا بعين عنايته ، وقد أظهر الله سبحانه لجماعة من الصالحين بالمشهدين وغيرهما آيات باهرة ومنامات صالحة وأسراراً خفية أوجبت كمال الاقبال وبلوغ الامال ، فله الحمد والمنة على كل حال .

قلت ، مما اخبرني به من الكرامات بعد رجوعه من هذه الزيارة في صفر سنة ست وخمسين وتسعمائة انه لما حرر الاجتهاد في قبة العراق وحقق حالها واعتبر محراب جامع الكوفة الذي صلى فيه امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ووجد محراب حضرته المقدسة مخالفاً لمحراب الجوامع واقام البرهان على ذلك وصلى فيه منحرفاً نحو المغرب بما يقتضيه الحال وقرر ما أدى اليه اجتهاده في ذلك المجال وسلم طلبه العلم ذلك لما اتضح الامر لهم هنا لك ،

وتخلف رجل عن التسليم أعجمي يقال له الشيخ موسى وانقطع عن ملاقاته لاجل ذلك ثلاثة ايام وانكر عليه غاية الانكار لما قد تردد الى تلك الحضرة من الفضلاء الاعيان على تباير الزمان خصوصاً للمرحوم الشيخ على وغيره من الافاضل الذين عاصروهم هؤلاء الجماعة، وهذا الموجب لنفورهم عما حققه الشيخ قدس سره، فلما انقطع الرجل المذكور عنه هذه المدة رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه وانه دخل الى الحضرة المشرفة وصلى بالجماعة على السميت الذي صلى عليه الشيخ منحرفاً كانحرافه فانحرف معه أناس وتخلف آخرون ، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وآله من الصلاة التفت الى الجماعة وقال : كل من صلى ولم ينحرف كما انحرفت فصلاته باطلة . فلما انتبه الشيخ موسى طفق يسعى الى شيخنا قدس سره وجعل يقبل يديه ويعتذر من الجفاء والانكار والتشكيك في امره ، فتعجب شيخنا من ذلك وسأله عن السبب فقص عليه الرؤيا كما ذكر .

قال احسن الله جزاه وطيب مثواه : ومما اتفق لي اني كنت جالساً عند رأس الصريح المقدس ليلة الجمعة وقرأت شيئاً من القرآن وتوجهت ودعوت الله أن يخرج لي ما اختبر به عاقبة امرى بعد هذه السفارة مع الاعداء والحساد وغيرهم ، فظهر في أول الصفحة اليمنى « ففررت منكم لما خفتكم فوهد لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين » فسجدت لله شكراً على هذه النعمة والتفضل بهذه البشارة السنية .

وكان خروجنا من المشاهد الشريفة بعد أن ادركنا زيارة عرفة بالمشهد الحائري والغدير بالمشهد الغروي والمباهلة بالمشهد الكاظمي سابع عشر شهر ذي الحجة الحرام من السنة المتقدمة ولم يتفق لنا الاقامة لادراك زيارة عاشوراء مع قرب المدة لعوارض وقواطع منعت من ذلك والحمد لله على كل حال .

واتفق وصولنا الى البلاد منتصف شهر صفر سنة ٩٥٣ ووافق من الحروف
بحساب الجمل حروف « خير معجل » ، وهو مطابق للواقع أحسن الله خاتمنا
بخير كما جعل بدايتنا الى خير بمنه وكرمه .

ثم أقمنا بيبليك ودرسنا فيها مدة في المذاهب الخمسة وكثير من الفنون،
وصاحبنا أهلها على اختلاف آرائهم أحسن صحبة وعاشرناهم أحسن عشرة، وكانت
أياماً ميمونة وأوقات ابهجة ما رأى أصحابنا في الأعصار مثلها .

قلت : كنت في خدمته في تلك الايام ولا أنسى وهو في أعلى مقام ومرجع
الانام وملاذ الخاص والعام ومفتى كل فرقة بما يوافق مذهبها ويدرس في المذاهب
كتبها ، وكان له في المسجد الأعظم بها درس مضافاً الى ما ذكر وصار اهل البلد
كلهم في انقياده ومن وراء مراده بقلوب مخلصه في الوداد وحسن الاقبال والاعتقاد
وقام سوق العلم بها على طبق المراد ورجعت اليه الفضلاء من أقاصى البلاد
ورقى ناموس السادة والأصحاب في الازدياد، وكانت عليهم تلك الايام من الاعياد
وقلت انا في محاسن تلك الاوقات وصفاتها واعيان تلك الرجال وحسن وفائها
ما دحساً :

ابيبليك تسروم فرقة صحبة	كانت لي بالسى و صلهم أياما
سادوا الانام بفضلهم وبجودهم	فلذاك صاروا للورى أعلاما
حازوا السيادة والمكارم والتقى	فتجنبوا ما يوجب الاثاما

قال روح الله روحه : ثم انتقلنا عنهم الى بلدنا بنية المفارقة امتثالاً لامر
الالهى سابقاً في المشاهد الشريفة ولاحقاً في المشهد الشريف مشهد شيت عليه
السلام ، وأقمنا في بلادنا الى سنة خمس وخمسين مشتغلين بالدرس والتصنيف .
آخر ما وجدته بخطه الشريف مما نسبه اليه من التاريخ المنيف ، وهذا
التاريخ كان خاتمة أوقات الامان والسلامة من الحدثنان ، ثم نزل به ما نزل وستقف

عليه ان شاء الله الى خاتمة الاجل ، ولنكمل ما وعدنا به من اتمامه وما اطلعنا عليه في تضاعيف مخالطته وبلغنا من ثغرات تلامذته ، ولنرجع الى ترتيب الفصول
فئة-ول :

الفصل الثاني

(في ذكر اجتهاده ومتى كانت بدايته وتعداد مصنفاته وما افاده من

التحقيقات في الرسائل الفائقة والمباحث الرائقة)

اخبرني قدس الله لطيفه وكان في منزلي بجزين متخفياً من الاعداد ليلة الاثنين
حادى عشر شهر صفر سنة ٩٥٦ ان مولده كان في ثالث عشر شوال سنة ٩١١
وان ابتداء امره في الاجتهاد كان سنة ٩٤٤ وان ظهور اجتهاده وانتشاره كان في
سنة ٩٤٨ ، فيكون عمره لما اجتهد ثلاثاً وثلاثين سنة .

وكان في ابتداء امره يباليغ في الكتمان وشرح في شرح الارشاد ولم يبده
لاحد ، فكتب منه قطعة ولم يره أحد ، فرأيت في منامي ذات ليلة ان الشيخ على
منبر عال وهو يخطب خطبة ما سمعت مثلها في البلاغة والفصاحة ، فقصصت
عليه الرؤيا فدخل الى البيت وخرج ويديه جزء فناولني اياه ، فنظرته فاذا هو
شرح الارشاد وقد اشتمل على خطبته المعروفة التي أخذت بمجامع البراعة
والفصاحة وتردت بحسن الترصيع والبلاغة، سيما باشتمالها على براعة الاستهلال
المفهمة لموضوع الكتاب وتعداد جملة من كتب الفقه بأوجز عبارة وارشف اشارة
وقال اعلى الله درجته: هذه الخطبة التي رأيتها . وامرني ان أطالع الجزء خفية وكان
كلما فرغ من جزء يأتيني به فأطالعه ، وهذا الكتاب ما صنف للشيعه مثله، مزج
المتن بالشرح ولم يسبق الى هذه الطريقة من أصحابنا ، خرج منه مجلد ضخيم
كتاب الطهارة والصلاة لو يتم لتم به المراد ولكن حكمة الله تفنضى غالباً عكس

ما يظهر لعقول العباد .

ثم اكب على المطالعة والتأليف واستفراغ الوسع في التدريس والتصنيف الى سنة ثمان وأربعين وتسعمائة ، حتى اراد الله اظهار ماأراد كتماناه واعلى في البرية شاناه وألقي في قلوب ذوي العلم الانقياد اليه والتسليم لما اعتمد عليه ، ودخل معه كل من لسه بالشريعة المطهرة تقييد في ربة الرجوع اليه بالتقليد ، وظهرت عنه التصانيف الفائقة والمباحث الراقية ورجعت اليه الفضلاء بالاذعان واطلق في ميدان السبق العنان ، وصارت فضائله مشاهدة بالعيان .

فأول ما افرغه في طالب التصنيف الشرح المذكور لارشاد الامام العلامة جمال الدين الحسن بن المطهر قدس الله روحه يعرف فضله من وقف عليه من أولى الفضل ورفع حجاب الهوى عن بصيرة العقل ، خرج منه مجلد ضخم ، ثم قطع عنه على آخر كتاب الصلاة والتفت الى التعلق بأحوال الالفية والمقلدين في الصلاة اليومية، وكتب عليها حاشية وسطى تتعلق بمهمات ، واخرى مختصرة تكتب على الهامش لتقييد الفتوى وغالب العبادات، وشرحاً مطولاً مجلداً كاملاً مزج فيه المتن بالشرح ايضاً واشتمل على مباحث شريفة وتحقيقات لطيفة . ومن مصنفاته شرح الرسالة النغلية للامام السعيد ابي عبد الله الشهيد مزجاً مجلد .

ومنها الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية للشيخ المبرور المحبور الشهيد المذكور مجلدان مزجاً ايضاً ، سلك فيه مسلكاً لطيفاً وحرره تحريراً معروفاً^(١) . ولما علم الله النسبة بينه وبين الشهيد من المشاركة في نيل درجة السعادة بخاتمة الشهادة ألقى في قلبه الميل الى احياء آثاره والتعليق بشرح مصنفاته واظهار

(١) كتب في أول المجلد الاول ابتداء تصنيفه ، ومع تاريخ آخره يكون مدة ذلك ثلاثة اشهر واياماً « ع ل » .

تحقيقاته، ولقد كانت نفسه كأنها ممزوجة بنفسه ، و كثيراً ما كان يبني على مباحثه ويرجع الى عباراته ويصوب ما اعتمده من ترجيحاته . كان من انسه به كأنه معاصره ومن اطلاعه على شريف أنفاسه كأنه معاشره قدس الله روحهما الزكية وأفاض عليهما المراحم الربانية . واما رغبته في الشروح المزج فانه لما رآها للعامه وليس لاصحابنا منها حملته الحمية على ذلك ومع ذلك فهي في نفسها شيء حسن .

ومنها شرح الشرائع الذي تفجرت منه بناييع الفقه وأخذ بمجامع العلم سلك فيه اولاً مسلك الاختصار على سبيل الحاشية حتى كمل منه مجلد ، وكان قدس سره كثيراً ما يقول نريد نضيف اليه تكلمة الاستدراك مافات ، ثم أخذ في الاطباب حتى صار بحراً يسلك فيه سفن اولى الالباب ، فكمل سبعة مجلدات ضخمة من احزره فقد أحرز تمام الفقه مما حواه واستغنى بمطالعه عن غيره من كل كتاب سواه .

ومنها كتاب تمهيد القواعد الاصولية والعربية لتفريع فوائد الاحكام الشرعية مجلد سلك فيه مسلكاً بديعاً ومنهجاً غريباً ما سبق اليه ، رتبته على قسمين احدهما في تلخيص القواعد الاصولية وتفريع ما يلزمها من الاحكام الفرعية والثاني في تقرير المطالب العربية وترتيب ما يناسبها من الفروع الشرعية ، واختار من كل قسم منهما مائة قاعدة متفرقة من أبواب مضافة الى مقدمات وفوائد ومسائل لانظير لها في رد الفروع الى اصولها المقيد بالملكة القدسية التي هي العمدة في المسائل الاجتهادية ، ووضع له فهرساً شتملاً على جدول لطيف يستخرج منه الطالب أي مسألة أرادها، ولقد وصفنا هذا الكتاب لبعض فضلاء العجم بقزوين فقال مثل قواعد الشهيد قلنا احسن فقال دعوى عظيمة قلنا الشاهد حاضر ، ودفعنا اليه الكتاب فأخذه الى منزله وفي اليوم الثاني أرسل يستأذن منا في تقطيع أجزائه

وتفريقتها على الكتاب ليكتبوه عاجلاً ، فكتبه في أيام قلائل ومدحه .
ومنها حاشية على قطعة من عقود الارشاد للعلامة مشتملة على تحقيقات مهمة
ومباحث محررة .

ومنها حاشية على قواعد الاحكام للعلامة ايضاً حقق فيها المهم من المباحث
ومشي فيها مشي الحاشية المشهورة بالبخارية للمولى السعيد الشيخ الشهيد ، وغالب
المباحث فيها بينه وبينه ، برز منها مجلد لطيف الى آخر كتاب التجارة .

ومنها كتاب منية المرید في آداب المفيد والمستفيد ، مجلد مشتمل على
مهمات جليلة وفوائد نبيلة ، تحمل على غاية الانبعاث في الترغيب في اكتساب
الفضائل واجتناب الرذائل والتحلى بشيم الاخيار والعلماء الابرار .

ومنها حاشية مختصرة على الشرائع خرج منها قطعة صالحة .
ومنها جزء لطيف يشتمل على فتوى خلافيات الشرائع .

ومنها حاشية على مختصر النافع تشتمل على تحقيق المهم منه .
ومنها رسالة في أسرار الصلاة القلبية رتبها على ترتيب الالفية وذكر
وظائف كل باب باعتبار ملاحظة القلب للاسرار الباطنية حسب ترتيب الواجبات
الظاهرة .

ومنها رسالة في احكام نجاسة البثر بالملافة وعدمها ، جمع فيها الاقوال
وحرر فيها الحال .

ومنها رسالة فيما اذا تيقن الطهارة والحدث وشك في السابق منهما .
ومنها رسالة فيما اذا أحدث المجنب في اثناء غسل الجنابة حدثاً اصغرو تحقيق
المحل على أتم وجه .

ومنها رسالة في تحريم طلاق الحائض الحائل الحاضر زوجها عندها
المدخول بها .

ومنهارسالة تشتمل على حكم صلاة الجمعة في حال الغيبة وتحقيق الخلاف فيها وبيان ما اعتمد عليه وساقه البرهان .

ومنها رسالة في الحث على صلاة الجمعة .

ومنها رسالة نفيسة في بيان حال حكم المسافر اذا نوى اقامة عشرة ايام في غير بلده وتقسيم المسألة الى اقسامها المشهورة ، وفيما اذا خرج ناوى المقام عشرة الى ما دون المسافة وتقسيمها ايضاً الى اقسامها ، وبيان جميع أحكامها ، جليلة الفروع غريبة الوقوع سماها « نتائج الافكار في حكم المقيمين في الاسفار » .
ومنها منسك الحج والعمرة .

ورسالة لطيفة في نياتهما .

ومنها رسالة في احكام الحبوة وتحقيق المقام على أتم نظام .

ومنها رسالة في تحقيق ميراث الزوجة غير ذات الولد وتحريير الاقوال

وبيان سائر الاحوال .

ومنها رسالة في أجوبة ثلاثة عن ثلاث مسائل لبعض الافاضل احداها في شخص على بدنه مني واغتسل في ماء كثير ومعك بدنه لازالة الخبث فلما انصرف يتقن أن تحت اظفاره شيئاً من وسخ البدن المختلط بالمنى فهل يطهر الوسخ الذي له جرم مخالط للمننى بنفوذ الماء في اعماقه ام لا ، والثانية قطعة الجلد المنفصلة عن بدن الانسان هل هي طاهرة ام نجسة ، والثالثة في شخص مرض مرضاً بالغاً اراد الوصية فعرض عليه بعض أصحابه ان يجعل عشرين تومانياً من ماله خمساً فقال اجعلوا - الى آخر السؤال .

ومنها رسالة في عشر مباحث في عشرة علوم صنفها في اصطنبول وعقد في

كل مبحث اشكالا يعجز عن حله الراسخون في العلم .

ومنها كتاب مسكن الفؤاد في فقد الاحبة والاولاد .

ومنها رسالة في الغيبة وتحقيق احكامها .
ومنها رسالة في عدم جواز تقليد الاموات من المجتهدين ووجوب تقليد
الاحياء منهم على المكلفين، صنفها برسم الصالح الفاضل المرحوم السيد حسين
ابن ابي الحسن قدس الله روحه .
ومنها البداية في علم الدراية وشرحها .
ومنها كتاب غنية القاصدين في معرفة اصلاحات المحدثين ، وهذا العلم
لم يسبقه أحد من علمائنا الى التصنيف فيه وهو أول من فتح بابه وذلك صعابه .
ومنها كتاب منار القاصدين في أسرار معالم الدين .
ومنها رسالة في شرح قوله صلى الله عليه وآله « الدنيا مزرعة الآخرة » .
الى هنا كلام جامع الكتاب .
واقول : وانا الفقير الى الله تعالى على بن محمد بن الحسن بن زين الدين
عفا الله عنهم أني عثرت له قدس الله روحه على كتب ورسائل غير ما ذكره هنا .
وهي : كتاب الرجال والنسب ذكره في بعض مصنفاته .
و كتاب في تحقيق الاسلام والايمان عندي بخطي .
ورسالة في تحقيق النية عندي بخطي .
ورسالة في الولاية وان الصلاة لا يقبل الا بها ذكرها في شرح الارشاد .
ورسالة في طلاق الغائب .
ورسالة في المختار من مواضع الخلاف من اللمعة .
ورسالة في تحقيق الاجماع عندي بخطه .
و كتاب الاجازات ذكره في بعض فوائده .
وحاشية على الارشاد الى آخره .
ومنظومة في النحو وشرحها رأيت بعضها بخطه .

ورسالة في شرح « بسم الله الرحمن الرحيم » عندى بخط والذى رحمه الله.
وسؤالات الشيخ زين الدين وأجوبتها ، وسؤالات الشيخ احمد وأجوبتها.
ورأيت فى تفصيل لمصنفاته زيادة عما ذكر وهى : فتاوى الارشاد ، بغية
المريد مختصر منية المريد، مبرد الاكباد مختصر مسكن الفؤاد، مختصر الخلاصة
فتاوى المختصر ، رسالة فى تحقيق قوله تعالى « والسابقون الاولون » الآية ،
رسالة فى تحقيق العدالة ، جواب المباحث النجفية ، جواب المسائل الهندية
المسائل الشامية ، الرسالة الاصطنوبولية فى الواجبات العينية ، البداية فى سبيل
الهداية، فوائد خلاصة الرجال ، رسالة فى دعوى الاجماع فى مسائل من الشيخ
ومخالفة نفسه .

وسمعت من بعض مشائخنا ان مصنفاته بلغت ستين مصنفاً .

ورأيت بخط جدى المبرور الشيخ حسن قدس الله روحه ما صورته : ولد
الوالد قدس الله نفسه فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر شوال سنة احدى عشرة
وتسعمائة ، واستشهد فى سنة خمس وستين وتسعمائة - انتهى .

وللشيخ بهاء الدين قدس الله روحه تاريخ وفاته وهو قوله :

تاريخ وفاة ذلك الاواه الجنة مستقرة والله

أقول : ومما سمعته فى بلادنا مشهوراً ورأيته أيضاً مشهوراً فى غيرها انه
قدس الله روحه لما سافر السفر الاول الى اصطنبول ووصل الى المكان الذى قتل
به تغير لونه، فسأله اصحابه عن ذلك فقال مامعناه : انه يقتل فى هذا المكان رجل
كبير أو عظيم له شأن، فلما اخذ قتل فى ذلك المكان .

ورأيت نسخة لشرح اللمعة عند بعض الاكابر أن الشيخ حسين بن عبد الصمد
رحمه الله سأل عن هذا وكان رفيقه فى ذلك السفر ، فأخبر بان ذلك حق سؤاله

او سؤال غيره^(١).

وفى آخر المجلد الثالث من شرح الشرائع بخط السيد علي الصائغ رحمه الله ما صورته : هذا آخر كلامه بلغه الله أعلى مرامه وحشره مع نبيه وامامه وانتقم ممن كان سبباً في سفك دماؤه ولا جعل له نصيباً في دماؤه ، فانه كان اخذاً بالحق قابضاً بزمامه ولم يعطفه عنه خوف سلامه ، وناهيك بكيفية شهادته دلالة على فضله واعضامه وتجيله واكرامه ، فانه أسر وهو طائف حول البيت، واستشهد يوم الجمعة في رجب تالياً للقرآن على محبة اهل البيت ، والحال انه غريب ومهاجر الى الله سبحانه الذي هو على كل شيء رقيب ، وختم له بحج بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة واكمل السلام ، لبت نفسى كانت له الفدا ومهجتي تقيه من الردى ، قدس الله نفسه وطهر رمسه ونفعنا به وجعلنا من خلص اصحابه انه جواد كريم - انتهى كلام السيد علي قدس الله نفسه نقلته حيث لم يوجد بقية هذا التاريخ .

(١) وجد بخط المرحوم المبرور الشيخ حسين بن عبد الصمد رحمه الله بعد سؤاله وصورة السؤال والجواب :

سئل الشيخ حسين بن عبد الصمد « ره » : ما يقول مولانا شيخ الاسلام فيما روى عن الشيخ المرحوم المبرور الشهيد الثاني انه مر بموضع في اصطنبول ومولانا الشيخ سلمه الله معه فقال : يوشك ان يقتل في هذا الموضع رجل له شأن ، او قال شيئاً قريباً من ذلك ، ثم انه استشهد رحمه الله في ذلك الموضع ، ولا ريب ان ذلك من كراماته رحمه الله واسكته جنان الخلد .

نعم هكذا وقع منه قدم سره ، وكان الخطاب للفقير ، ويقال انه استشهد في ذلك الموضع ، وذلك مما كشف لنفسه الزكية حشره الله مع الائمة الطاهرين . كتبه حسين بن عبد الصمد الحارثي ثامن عشر ذى الحجة سنة ٩٨٣ في مكة المشرفة زادها الله شرفاً وتعظيماً - انتهى « ع ل » .

ومن ف كلام الشيخ جامع كتاب رحمه الله قال :

الفصل الثالث

(فى ذكر اصحابه وفضلاء تلامذته الذين قرؤا عليه وترددو اليه واخذوا عنه واستفادوا منه من العرب وغيرهم).

اول من قرأ عليه فى اوائل امره وتصديه للتدريس الشيخ الفاضل العالم الكامل عز الدين حسين بن عبدالصمد الحارثى الهمدانى ، صحبه مدة مديدة وقرأ عليه كتباً عديدة : منها قواعد الامام العلامة من اولها الى آخرها وباقى مفرداته المذكور فى اجازة مطولة اجازه اياها مشتملة على محاسن جميلة وفوائد جلية ، وكان رفيقه الى مصر فى طلب العلم والى اصطنبول فى المرة الاولى ، وفارقه الى العراق وأقام بها مدة ثم ارتحل الى خراسان واستوطن هناك الان ادام الله توفيقه .

(ومنهم) الشيخ علي بن زهرة الجبعي ابن عم الشيخ حسين المذكور، قرأ عليه جملة من العلوم ، وكان غاية من الصلاح والتقوى والخير والعبادة ، كان شيخنا يعتقد فيه الولاية وكان رفيقه الى مصر وتوفي بها رحمه الله .

(ومنهم) الشيخ الجليل العالم الفاضل الشيخ محمد بن الشيخ محمد الحر أبقاه الله تعالى والد زوجته المتوفاة فى حياته بمشغره ، من اول المدعين باجتهاده المخلصين معه ، قرأ عليه جملة من الكتب وأخذ عنه شرائع دينه وأجازه اجازة عامة، وكانت له به خصوصية ومحبة صادقة وعلاقة متصلة بتمام المودة وصدق المحبة .

(ومنهم) السيد الجليل الكبير المعظم خلاصة الاخبار وعمدة الابرار وزين الافاضل وعمدة الاوان ونادرة الزمان صاحب الشيم المرضية والاخلاق السنية

السيد نورالدنيا والدين ابن المرحوم السيد فخر الدين عبد الحميد الكر كسى القاطو بدمشق الان أدام الله أيامه وأعلى الله مقامه ، وانه من أكابر خاصة وأوائل العاكفين على ملازمته، قرأ عليه جملة من العلوم الفقهية وغيرها واخذ عنه وأجازه وكان له قدس سره عليه مزيد اعتماد ومحكم استناد .

(ومنهم) السيد الامام العلامة خلاصة السادة الابرار وعين العلماء الاخيار وسلامة الائمة الاطهار السيد العالم الفاضل الكامل ذو المجد بن علي بن الامام السيد البدل أوحد الفضلاء وزبدة الاتقياء السيد المرحوم المبرور عز الدين حسين بن ابي الحسن العاملي أدام الله شريف حياته، رباه كالوالد لولده ورفاه الى المعالي بمفرده وزوجه ابنته رغبة فيه وجعله من خواص ملازميه ، قرأ عليه جملة من العلوم الفقهية والعقلية والادبية وغيرها واجازه اجازة عامة .

(ومنهم) السيد الجليل الفاضل العالم الكامل فخر السادة الاعلام وأعلم العلماء الفخام وأفضل الفضلاء فى الانام السيد علي بن السيد الجليل النبيل حسين الصائغ العاملي أدام الله توفيقه ، قرأ عليه وسمع من جملة نافعة من العلوم فى المعقول والمنقول والادب وغير ذلك ، وكان قدس الله لطيفه له به خصاصة تامة وكان غالباً^{١)}.

ومن الكتاب المذكور من جملة منام سقط من أوله ما سقط والموجود منه هذا : رأيت فى المنام قائلاً يقول لى : ما لى أراك ملولاً ؟ فقلت : وكيف لا أكون كذلك وأنا على هذه الحالة فى بلاد غربة . فقال : لا تخف فانك بين اثني عشر بيتاً فى كل منها ماء جارى ، ففتحت عينى فى النوم فرأيت كما قيل لى فانتبهت وحمدت الله تعالى على ذلك ووجدت بعض التخفيف مما كنت فيه ،

(١) الى هنا انتهى ما وجدنا من الكتاب متصلاً ، وبعده ما يأتى من أوراق من جملة منام سقط من أوله ما سقط « منه » .

فلما كانت ليلة الثلاثاء الثامن والعشرون من الشهر المذكور رأيت العجب العجيب
والامر الغريب ، وهو انى اول ليلتى تلك فكرت فى أمرى وقلت لو مت فى
مرضى هذا ما يكون عاقبة أمرى أمن اهل الجنة اكون أم من اهل النار ، ثم
التفت الى نفسى وأزريت عليها وقلت بأى عمل حسن ترجو الجنة وأنت قد
قضيت اكثر عمرك فى الاسفار فى طهارة غير جيدة وأوقات غير محمودة
وليس لك عمل تستحق به الجنة ، اللهم الا الايمان وحب أهل البيت عليهم
السلام .

ثم قلت فى نفسى لاشك ان الايمان علة تامة فى دخول الجنة وانا مؤمن
بحمد الله تعالى ولي ذنوب كثيرة فأعاقب عليها ثم أدخل الجنة ، ولكن العذاب
فى مقابلة الذنوب خطر خطير وبلاء كبير ان لم يحصل مسقط من عفو الله تعالى
وشفاعة النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام وانى لي بالمسقط مع
كثرة ذنوبى ، ثم امتد هذا الفكر برهة من الليل وأنا ازري على نفسى واعاتبها
فأخذنى النوم على تلك الحال فرأيت فى المنام كأنى واقف فى أرض مقفرة
موحشة ليس فيها حشيش ولا أنيس ولا علي من الثياب الا مئزر من السرة الى
الركبة وأرى جسدي مشوهاً فيه مثل الدماميل السود البشعة ، فطار عقلي وحوار لى
لما رأيت وحشة المكان وقبح منظر بدنى ، فبينما انا كذلك اذ جاءنى شخص
وقال: أجب . فقلت: ما الخبر؟ فقال: هذا يوم القيامة وقد طلبت للعرض والحساب،
فسرت معه ساعة فأوقفنى فى أرض خالية واذأ قد اقبل شخص آخر وقال لي: سر.
فقلت : الى أين ؟ فقال : قد امر بك الى النار فسرت معهما حزين القلب منكسر
المخاطر وكان مسيرنا ذات الشمال. فقلت لهما: ألا تمران بى على النبي صلى الله
عليه وآله والائمة عليهم السلام لعل شفاعة . فقالا : لم نؤمر بذلك. فقلت : مرا
بى قريباً منهم صلوات الله عليهم كأنكم غير قاصدين لذلك .

فبينما انا معهما فى الخطاب واذا بالنبي وامير المؤمنين صلوات الله عليهما
 جالسان عن يميننا وعندهما ثلاثة اشخاص متأخرون عنهما فى المجلس قليلا
 فلما رأونا طلبونا فلما قربنا منهم سلمت عليهم بقلب منكسر ورأس مطرق من
 الحياء من سوء المنظر ومن انى مأمور بى الى النار، فنظر الى النبي صلى الله
 عليه وآله وأنا منكس رأسى وتأمل طويلًا ثم قال : اذهبوا به الى الجنة . فقالوا:
 يا رسول الله ليس فى صحيفته شىء من الحسنات وصحيفة سيئاته مملوءة، فأشار
 الى النبي صلى الله عليه وآله وكان معي صحيفتان فأعطيته صحيفة الحسنات واذا
 فى الصفحة الثانية من الورقة الاولى سطر واحد مكتوب فيه بخط واضح الايمان
 وحب أهل البيت والباقي بياض ليس فيه شىء اصلا، ثم اشار الى الاخرى فأعطيته
 صحيفة السيئات واذا هى مملوءة ليس فيها موضع كلمة ، فوضعهما صلى الله عليه
 وآله تحت ركبته ثم قال : اذهبوا به الى الجنة . فقالوا : يا رسول الله قد رأيت
 صحيفته ، فأخرج صلوات الله عليه الحسنات فنشرها فاذا هى مملوءة من
 الحسنات من اولها الى آخرها ، ثم نشر صحيفة السيئات واذا هى خالية الا قليلا
 فقال لهما : انظرا . فقالا : الامر اليك يا رسول الله ، فأشار بيده صلى الله عليه
 وآله ذات اليمين وقال : اذهبوا به الى الجنة . فقالا : يا رسول الله لسنا ممن
 يؤدى الى الجنة . فقال لى صلوات الله عليه وآله : اذهب انت الى الجنة فقلت
 يا رسول الله وأين الجنة . فقال : سر هكذا - وأشار ذات اليمين - سترى باباً
 عالية نورانية فادخل . فقلت : يا رسول الله ويكون الباب مفتوحاً . فقال : يكون
 مفتوحاً انشاء الله تعالى .

فقلت : يا رسول الله كيف أدخل الجنة بهذه الخلقة المشوهة . فقال صلى
 الله عليه وآله : اذا دخلت تجد نهر الكوثر عند باب الجنة فاغتسل منه يزل ما
 بك من سوء المنظر ثم اعبر الى الجانب الاخر تجد ثياباً معدة فلبس منها حاجتك

ثم اجلس واسرح وكل مما هناك . فقلت : وما هناك يا رسول الله . فتبسم وكأنه قال ملبح تسأل هناك رطب وعنب ولبن . فقلت له : وحقك يا رسول الله اني أحب الرطب مع اللبن ، فكأنه قال : نعم هما مأكول اهل بلادك . فقلت : ثم ما أفعل يا رسول الله . فقال صلى الله عليه وآله : اجلس هناك حتى يجيء اليك من يأخذك الى موضعك الذي أعده الله تعالى لك .

فسرت من عنده قليلا فرأيت باباً عالية نورانية واذا هي مفتوحة وليس هناك أحد ، فدخلت واذا بنهر الكوثر يجري ، فنزلت فيه واغتسلت فذهب عني ما في من تشويه البدن ، وعبرت الى الجانب الاخر واذا هناك ثياب بعضها في صناديق كبار وبعضها في اسفاط صغار فلبست بعضها ، ونظرت فاذا أشجار كثيرة وأرض حسنة مانوسة واذا بالثمار دانية والرطب واللبن والعنب كما قال صلى الله عليه وآله ، فأكلت كفايتي ثم جلست ساعة واسترحت مما كنت فيه من كرب الموقف والرعب الذي كان في قلبي .

فبينما انا كذلك اذ أقبل شخصان فسلما وقالا قم لتنظر ما وعد ربك سبحانه وتعالى ، فسرت معهما قليلا فأدخلاني باباً حسناً متوسطاً بالعلو ، واذا بأشجار مثمرة وانهار جارية وارض حسنة خضراء انيسة ، فقالا هذا ابتداء محلك ، وسرنا قليلا فوصلنا الى قبة على أعمدة ليس لها حيطان وانهار تجري حولها فقالا لي اجلس ، فجلست فقالا ألا تأكل شيئاً فقلت لا بأس ، فأحضر مائدة فيها ألوان من الاطعمة يفوح فيها الرائحة الزكية يحملها شبان حسان الوجوه ومعهم امرأة متوسطة في العمر ، فوضعوا المائدة وقالوا اكل فقلت ألا تأكلون معي قالوا نحن ملائكة وهؤلاء خدمة ، فقلت للمرأة الانا كلين معي فقالت بلى وسيأتى اليك من يأكل معك احب اليك مني .

فبينما نحن كذلك في الكلام اذ أقبلت امرأة جميلة فلم ير الراؤن مثلها ،

فلما قربت سلمت وقبلت ركبتى وجلست عن يمينى فقلت لها: بسم الله كلى ثم
اشرت الى المرأة الاولى من هذه؟ فقالت: هذه من الحور العين التى أعدها
الله لك، فأكلنا حتى اكتفينا وانا انظر اليها وأتحير فى حسن منظرها، ثم قال
الملك اللذان كانا معي أولاً قم حتى تنظر ما اعطاك الله، فقمتم معهما فسرنا قليلا
وإذا قد أقبل ثلاثة او اربعة نفر حسان الوجوه ومعهم دابة بين الفرس والبغل
حسنة المنظر وعليها سرج فقالوا اركب، فركبت وساروا بين يدى وانا أتفرج
فى تلك البساتين والانهار الجارية ساعة فقالوا لي: تدرى كم سرت؟ قلت: لا.
قالوا: مائة فرسخ تقريباً وبقي لك مثلها مراراً الى هذه الجهة التى نحن عليها.
ثم اخذوا بى يميناً وسرنا ساعة طويلة حتى انتهينا الى حائط فقلت لهم ما هذا
الحائط، قالوا هذا حد ملك الشيخ زين الدين، فقلت واين الشيخ، فقالوا هو
جالس فى الموضع الذى اعطاه الله تعالى، فقلت وتلك الجراحات التى كانت
فى بدنه من أهل البغي والعدوان اندملت، قالوا نعم لم يبق منها الاثر واحد
على عاتق كالنجم المضىء بقي علامة، فقلت ومن عنده قالوا أجمع اصحابه
وذكروا على الخصوص الشيخ محمد الحر والسيد على والشيخ بهاء الدين
وجماعة لم يحضرنى اسماؤهم. فقلت: أريد ان ارى السيد على بن الصائغ،
قالوا سيجىء.

فبينما نحن فى الكلام واذا برجلين جالسان عليهما الهيبة والوقار، فقلت
من هؤلاء قالوا هذا موسى الكاظم وابنه على بن موسى الرضا صلوات الله عليهما،
فسارعت اليهما وسلمت عليهما فردا على السلام وكأنهما يهنيانى بما انعم الله
تعالى به علي وسابرتهما ساعة ثم فارقانى صلوات الله عليهما، فبينما نحن
كذلك واذا أنا بالسيد على المذكور قد أقبل، فاستقبلته واستبشر كل منا
بصاحبه وسألته عن الشيخ والجماعة فقال هم بخير، واذا هو يقول لابأس ان

نعين مواضع لبعض من سيأتي، فقلت من هم فذكر ابن عمه السيد زين الدين وجماعة لم أحفظ اسماءهم وهو يعين لهم مواضع ثم انتبهت على تلك الحالة مسرور الخاطر منشرح البال وعرفت بقية ليلتي تلك ومن الله تعالى علي بالعافية .

ونحن نسأل الله سبحانه وتعالى ان لا يجعل مارأيناه في المنام اضطرابات احلام، بل يجعله موصولاً بلطفه العام مبشراً بالوصول الى دار السلام ، لما ورد عنهم عليهم الصلاة والسلام من رأنا فقد رأنا ، فان الشيطان لا يتمثل بنا وان يختم لنا ولسائر المؤمنين خاتمة خير ويدفع عنا وعنهم الضر ، وان يجعل سعينا فيما يحبه ويرضاه ويمنعنا عما سواه انه سميع مجيب والى داعيه قريب، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله اجمعين .

(ومن الكتاب) ومما سمح به الخاطر الفاتر والفكر القاصر ، وذلك عند النظر الى تلك المعالم والرسوم فشاهدناها كما سيرب عنه المقال ويترجم بلسان الحال فقال :

مخبرات بأن القوم قد رحلوا	هذي المنازل والاثار والطليل
فاليوم لاعدوض عنهم ولا بدل	ساروا وقد بعدت عنا منازلهم
وكلما جئت ربعاً قبل لي رحلوا	فسرت شرقاً وغرباً في تطلبهم
يتلو الزبور وجنح الليل منسدل	حتى وصلت الى دير وراهبة
ياراهب الدير هل مرت بك الابل	شبكت عشري على رأسى وقلت له
عن الركاب التي في حيكم نزلوا	ياراهب الدير بالانجيل تخبرني
وقال لي يا فتى قلت بك الحيل	فرق لي وبكى من رحمة وشكا
بالامس قد نزلوا واليوم قد رحلوا	ان الركاب التي عنهم تسائلني
وانه ليس لى في وصلهم أمل	فحين أيقنت ان الذكر منقطع

رجعت والعين عبرى والفؤاد شج
وجئت نأديهم الفيته قفرا
وعاينت أعينى الأصحاب فى وجل
فقلت مالكم لأحباب قالكم
هل نالكم غير بعد الألف عن وطن
أتى من الروم لا اهلا بمقدمه
يقول ان أولى العدوان قد شهروا
لما سمعت كلام القوم خسامرنى
وصار حزنى أنيسى والبكاسكنى
لهفى له نازح الاوطان منجدلا
مضرجاً بالدماء لاغسل ولا كفن
لابلغ الله عينى طيب رؤيته
اشكو الى الله رزأ ليس يشبهه
قد كنت املت آمالا اسر بها
لكن تسلت همومى مذرأيتهم
منعمين مع الأصحاب قاطبة
هذا جزائى لهم مما جرى لهم
هذا وحزنى عليهم لانقضاء له

هذا آخر ما وجد من التاريخ المذكور ، ونرجو من الله تعالى الظفر بالتمتة
فان الساقط منه كثير بمقتضى الفصول المتقدمة .

يقول جامع اصل الكتاب على بن محمد بن الحسن بن زين الدين العاملى
تجاوز الله عن سيئاته: انه لما اقتضى الحال نقل ما نقلته فى هذا الكتاب من بعض

احوال جدي العالم الرباني الشيخ زين الملة والدين الشهيد الثاني قدس الله
تربته واعلى في عليين رتبته ، أحببت ان اتبعها بنبذة من احوال ولده المبرور
المحقق الحسن جمال الدين أبي منصور قدس الله روحه الزكية وافاض عليه
المراحم الربانية ونبذة من احوال ولده فخرالدين ابي جعفر والد هذا الفقير
قدس الله روحه ونور ضريحه ، فأقول :

[ترجمة الشيخ حسن صاحب المعالم]

ان الشيخ حسن رحمه الله كان فاضلا محققاً ومنتقناً مدققاً وزاهداً تقياً وعالمياً
رضياً وكاملاً ذكياً بلغ من التقوى والورع اقصاهما ومن الزهد والعبادة منتهاهما
ومن الفضل والكمال ذروتها وأسناهما ، وحق على ابن الصقران يشبه الصقرا ،
كان لا يحوز قوت اكثر من أسبوع أو شهر الشك منى فيما نقلت عن الثقات ، لاجل
القرب الى مساواة الفقراء والبعد عن التشبه بالاغنياء ، وشاهدي على حاله وفضله
ما حرره من المصنفات وحققه من المؤلفات ، فمن عرفها حرق المعرفة أذعن
بثبوت دعوى هذه الصفة ، كان ينكر كثرة التصنيف مع عدم تحريره ويبدل
جهده في تحقيق ما ألفه وتحريره ، فتطلع من العلوم الحديث والرجال والفقه والاصول
مستغنياً بما يحتاج اليه مما سواها من المعقول والمنقول .

كان هو والسيد الجليل السيد محمد ابن اخته قدس الله روحيهما في التحصيل
كفرسي رهان ورضيعي لبان ، وكانا متقاربين في السن ، وبقي بعد السيد محمد
بقدر تفاوت ما بينهما في السن تقريباً ، وكتب على قبر السيد محمد « من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا
تبديلاً » ورثاه بأبيات كتبها على قبره ، وهي قوله :

لهفى لرهن ضريح صار كالعلم للجود والمجد والمعرف والكرم

قد كان للدين شمساً يستضاء به محمد ذو المزايا طاهر الشيم
سقى نوره وهناه الكرامة والريحان والروح طراًبارى والنسم

والحق ان بينهما فرقاً في دقة النظر يظهر لمن تأمل مصنفاتهما ، وان الشيخ
حسن كان أدق نظراً واجمع من انواع العلوم ، وكانا مدة حياتهما اذا اتفق
سبق احد منهما الى المسجد وجاء الآخر بعده يقتدي به في الصلاة ، وكان كل
منهما اذا صنفا شيئاً يرسل اجزائه الى الآخر وبعده يجتمعان على ما يوجب البحث
والتحريير رحمهما الله تعالى . ومثل هذا عزيز وقوعه من ابناء الزمان .
وكان اذا رجح احدهما مسألة وسئل عنها الآخر يقول ارجعوا اليه فقد
كفاني مؤونها ، استشهد والده قدس سره في سنة خمس وستين وتسعمائة كما
تقدم نقله .

وبخطه الشريف عندي ما صورته : مولد العبد الفقير الى عفو الله وكرمه
حسن بن زين الدين بن علي بن احمد بن جمال الدين بن تقي الدين عفا الله عن
سيئاتهم وضاعف حسناتهم في العشر الاخير من شهر الله الاعظم شهر رمضان
سنة تسع وخمسين وتسعمائة ، اللهم اختم بخير انك ولي كل خير .

وبخطه ايضاً ما لفظه : وبخط والدي رحمه الله بعد ذكر تواريخ اخوتي
ما هذا لفظه : ولداخوه حسن ابو منصور جمال الدين عشية الجمعة سابع عشري
شهر رمضان المعظم سنة تسع وخمسين وتسعمائة والشمس في ثالثة الميزان
والطالع زايل اللهم خاتمتنا الى خير يامن بيده كل خير .

وقد تقدم عن السيد علي الصائغ رحمه الله ان وفاة والده كانت في شهر
رجب ، فيكون سنة ذلك الوقت اربع سنين واشهرأ ، وقد كان والده قدس الله
روحه على ما بلغني من جماعة من مشائخنا وغيرهم له اعتقاد تام في المرحوم
المبرور العالم العامل السيد علي الصائغ وانه كان يرجو من فضل الله ان رزقه
الله ولأ أن يكون مربيه ومعلمه السيد علي المذكور ، فحقق الله رجاءه وتولى

السيد علي الصائغ والسيد علي بن الحسن رحمهما الله تربيته الى أن كبر وقرأ عليهما خصوصاً على السيد علي الصائغ هو والسيد محمداً كثر العلوم التي استفادها من والده من معقول ومنقول وفروع وأصول وعربية ورياضي ، ولما انتقل السيد علي الى رحمة الله ورد الفاضل الكامل مولانا عبد الله اليزدي تلك البلاد فقرأ عليه في المنطق والمطول وحاشية الخطائي وحاشيته عليها وقرأ عنده تهذيب المنطق ، وكان يكتب عليه حاشية في تلك الاوقات وهي عندي بخط الشيخ حسن .

وبلغني ان ملا عبد الله كان يقرأ عليهما في الفقه والحديث ، ثم سافر هو والسيد محمد الى العراق الى عند مولانا احمد الاردبيلي قدس الله روحه ، فقالا له : نحن ما يمكننا الاقامة مدة طويلة ونريد أن نقرأ عليك على وجه تذكرة ، وان رأيت ذلك صلاحاً . قال : ما هو ؟ قال : نحن نطالع وكل ما نفهمه ما نحتاج معه الى تقرير بل نقرأ العبارة ولا نقف وما يحتاج الى البحث والتقرير يتكلم فيه ، فأعجبه ذلك وقرأ عنده عدة كتب في الاصول والمنطق والكلام وغيرها مثل شرح المختصر للعضدي وشرح الشمسية مع الحاشية وشرح المطالع وغيره وكان قدس الله روحه يكتب شرحاً على الارشاد ويعطيها اجزاء منه ويقول انظروا في عبارته وأصلحوا منها ما شئتم فاني أعلم ان بعض عباراته غير فصيح فانظر الى حسن هذه النفس الشريفة .

وكان جماعة من تلامذة ملا احمد يقرأون عليه شرح المختصر للعضدي وقد مضى لهم مدة طويلة وبقي منه ما يقتضي صرف مدة طويلة اخرى حتى يتم ، وهما اذا قرءا يتصفحان اوراقاً حال القراءة من غير سؤال وبحث ، وكان يظهر من تلامذته تبسم على وجه الاستهزاء بهما على هذا النحو من القراءة ، فلما عرف ذلك منهم تألم كثيراً منهم وقال لهم عن قريب يتوجهون الى بلادهم ويأتيكم

مصنفاتهم وانتم تقرأون في شرح المختصر، وكانت اقامتهما مدة قليلة لا يحضرني قدرها ، ولما رجعا صنف الشيخ حسن المعالم والمنتقى والسيد محمد المدارك ووصل بعض ذلك الى العراق قبل وفاة ملا احمد رحمه الله .

وطلب الشيخ حسن من مولانا احمد شيئاً من خطه ليكون عنده تذكراً ، فكتب له بعض أحاديث في الصحيفة التي عندي بخطه قسدر ورقة ، وكتب في آخرها كتبه العبد احمد لمولاه امتثالاً لامره ورجاء لتذكرة وعدم نسيانه اياه في خلواته وعقيب صلواته ، وفقه الله لما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه بمحمد وآله صلى الله عليه وآله - انتهى .

وفي تلك الصحيفة صفحة بخط الشيخ الجليل الشيخ بهاء الدين قدس الله روحه كتب فيها كلمات حكمية، وفي آخرها كتب هذه الكلمات امتثالاً لامر سيده صاحب الكتاب حرس مجده وكبت ضده اقل العباد بهاء الدين الجباعي أصلح الله شأنه سائلاً منه اجراءه على خاطره الخطير وعدم محوه عن لوح ضميره المنير ، سيما في محال الانابات ومظان الاجابات وذلك سنة ٩٨٣ - انتهى .

وكان اجتماعهما في كرك نوح عليه السلام لما سافر الشيخ بهاء الدين السی تلك البلاد ، ولما رجع من العراق اشتغل بالتدريس والتصنيف وقرأ عليه والذي جملة من كتب العلوم معقولا ومنقولا وفروعا واصولا حتى انه قرأ عليه شرح الشرائع من أوله الى آخره على ما بلغني والمنتقى والمعالم وغيرهما، وتخرج عليه وقرأ مدارك السيد محمد وشرح مختصره عليه وغير ذلك، واستفاد من جدی المرحوم جماعة كثيرة من الفضلاء مثل السيد نور الدين والشيخ نجيب الدين والشيخ حسين ابن الظهير وغيرهم وذكروهم جميعاً يحوج الى التطويل. جده من جهة أمه الشيخ الكامل الفاضل صاحب الذهن الوقاد والفكر النقاد والفطرة السليمة الشيخ محي

الدين قدس الله نفسه .

واقعد بلغنى عن بعض فضلاء اكابرالعجم وهو خليفة سلطان قدس اللهروحه وكان منصفاً ومتصدياً لتدريس المعالم وشرح اللمعة ومطالعة كتب مصنفيهما ، وكان له فيهما اعتقاد حسن انه قال يوماً ما معناه : كنت أسمع ان الشيخ حسن توفي في اثناء تصنيف المنتقى والمعالم ، ومن كان هكذا فكره وتحقيقه ليس عجباً وفاته في مثل هذا التصنيف والفكر فيه .

وله قدس سره مصنفات وفوائد ورسائل وخطب اطلعت منها على : كتاب منتقى الجمان في الاحاديث الصحاح والحسان مجلدان ، وكتاب معالم الدين وملاذ المجتهدين مقدمته اصول وبرزمن فروعه مجلد ، وحاشية على مختلف الشيعة مجلد عندي بخطه، وكتاب مشكاة القول السديد في تحقيق معنى الاجتهاد والتقليد ذهب فيما ذهب من الكتب، وكتاب الاجازات ، والتحرير الطاووسى فى الرجال مجلد ، ورسائله الاثنا عشرية في الطهارة والصلاة ، وله ديوان شعر كان في بلادنا بخطه سمعت أنه باق عند اولاد الشيخ نجيب الدين مجلد ، ومجموع جميعه بخطه يحتوى على نفائس الشعر والفوائد له ولغيره وهو عندنا بخطه ، ومجموع آخر بخطه انتخب فيه من فصول نسيم الصبا عشرة فصول وفيه فوائد وحكايات وأشعار وكان عندنا بخطه كتب كثيرة بقي منها القليل .

انتقل الى جوار الله فى سنة احدى عشرة وألف ، ولا يحضرنى خصوص الشهر واليوم ودفن في بلدة جبج قدس الله روحه ونور ضريحه ، فيكون سنه اثنتين وخمسين سنة وشيئاً.

واقول : جزى الله عنا سوء الجزاء من حرماننا من الكتب التي كانت عندنا اجتمعت فى زمن الشيخ زين الدين والشيخ حسن ووالدي رحمهم الله وأضيف اليها كتب الشيخ محى الدين رحمه الله ، وقد وقع عليها الفتور غير مرة منها

قريب ألف كتاب احترقت وانا اذ ذلك ابن نحو سبع سنين أو ثمان حرقها اهل
البيهي ، ولما سافرت الى العراق كان الباقي لنا في الجبل ودمشق وغيرهما ما
يقرب من ألف كتاب واكثرها منه ما أخذه الناس ومنه ماتلف من النقل والوضع
تحت الارض ، والباقي نحو مائة كتاب وصلت الي بعد السعي التام .

ومن العجب اني لما فارقت ما فارقت من الكتب كان فيما بقي بعد الفتور
الاول ما يريد عن مائة كتاب بخط جدي الشيخ زين الدين رحمه الله وما كان بخطه
فيما تلف واحترق لا يعلم مقداره ، ومما تواتر عنه رحمه الله انه كان اذا غمس القلم
في الدواة ربما يكتب عشرين سطرأ أو ثلاثين سطرأ ، وهذا من جملة التأييدات
الالهية ، ولهذا جعل كاتب التاريخ فصلاً في ذكر أمره في الكتابة وماله فيها
من الايات ومحاسن الكرامات كما تقدم . وبالجملة فبذهاب هذه الكتب ذهب
كثير من فوائده وفوائد جدي ووالدي رحمهم الله تعالى وحرمانا الاطلاع عليها
والانتفاع منها .

ولنرجع الى تنمة ما يتعلق بجدي المرحوم الشيخ حسن فأقول : انه كان
ذا شعر رائق واسلوب فيه فائق كالماء الزلال والسحر الحلال ، بلفظ حسن رقيق
ومعنى جدير شيق ، ما بين مواعظ وألغاز وغزل ومرثي ومديح لالغرض دنيوى
وقد تقدمت قطعة من شعره في الكلمات المنشورة ومنه قوله :

واعجباً منى وما ان أرى	تعجبى منى يحدبنى
أطبع نفسى ان دعتنى السى	امر به توذى وتوذبنى
وحيث أدعوها الى مطلب	تنجو به حقاً وتنجبنى
تلقي دعايها على غرة	بأي اعراض وتعصبنى
فمن عذبرى أو شيفى اذا	ناديتها يوماً تلبىنى
او من معيرلى نفساً بها	اعتاض عن نفسى وتكفينى

ومن شعره قدس الله روحه :

قف بالديار وسلها عن اهاليها
واستفهم من لسان الحال ما فعلت
فسوف تنبيك أن القوم قد رحلوا
وغادرتها صروف الدهر خالية
وأصبحت بالنوى والبين في ظمأ
وأظلمت بعدهم ايامها ولقد
وناب عن عزلها ذل الكآبة اذ

عسى ترد جواباً اذ تناديهما
أيدي الخطوب وماذا أبرمت فيها
ولم تكن بلغت منهم أمانيهما
قد هدمت اسفاً منها معانيها
وما سوى القرب منهم ليس يرويهما
كانت بهم أشرفت بيضاً لياليها
تغيرت بعدما بانوا معانيها

ومن شعره لما كان بالعراق وقد شاهد ركباً متوجهاً من العراق الى الشام:

فؤادي ظاعن اثر النيباق
ومن عجب الزمان حياة شخص
وحل السقم في جسمي فأمسي
وصبري راحل عما قليل
وفرط الوجد أصبح لي حليفاً
وتعبت ناره بالروح حينما
واظماني النوى وأراق دمعي
وقيدني على حال شديد
ابى الله المهيمن أن ترانسي
ابيت مدى الزمان لنار وجدى
وما عيش امرء في بحر غم
يود من الزمان صفاء يوم
سقتني نائبات الدهر كأساً

وجسمي قاطن أرض العراق
ترحل بعضه والبعض باق
له ليل النوى ليل المحاق
لشدة لوعتي ولظي اشتياقي
ولما ينوفي الدنيا فراقى
فيوشك أن تبلغها التراقي
فلا ادوى ولا دمعي براقى
فما حر ذا الرقي منه بواقى
عيون المخلق محلول الوثاق
على جمر يزيد به احتراقي
يضاهي كربه كرب السباق
يلوذ بظله مما يلاقى
مريراً من أباريق الفراق

ولم يخطر ببالي قبل هذا
وفاض الكأس بعد البين حتى
فليس لداء ما القى دواء
لفرط الجهل ان الدهر ساقى
لعمري قد جرت منه سواقى
يؤمل نفعه الا التلاقي

ومن شعره وهو بالعراق متشوقاً الى وطنه :

طول اغترابي بفرط الشوق اضناني
يا بارقاً من نواحي الحي عارضني
فما رأيتك في الافاق معترضاً
ولا سمعت شجى الورقاء نائحة
كم ليلة من ليالي البين بست بها
كان ايدى خطوب الدهر منذناوا
وبابليلا سرت من حيهم سحرا
أحييت ميتاً بأرض الشام مهجته
وكم حييت وكم قدمت من شجني
شابت نواصي من وجدى فوا أسفى
والهف نفسي حصون البين عامرة
بالائمي كم بهذا اللوم تزعجني
لا يسكن الوجد ما دام الشتات ولا
في ربيع أنسي الذي حل الشباب به
كم قد عهدت بهاتيك المعاهد من
وكم نقضت لنا بالحى آونة
لم أدر حال النوى حتى علقت به
حتى مدهرى على ذا الهون تمسكني

والبين في غمرات الوجد القانى
اليك عنى فقد هيجت اشجانى
الا وذكرتنى اهلى واوطانى
فى الايك الا وشبت منه نيرانى
أرعى النجوم بطرفى وهى ترعانى
عن ناظرى كحلت بالسهد اجفانى
فى طيها نشر ذاك الرند والبان
وفى العراق لم تخيل جثمان
ما ذاك اول احياء ولا الثانى
على الشباب فشيبنى قبل ابانى
وربع قسرب التلاقى ماله بانى
دعنى فلومك قد والله أغرانى
تصفوا لمشارب لى الا بلبنان
تمايمى وبه صحبى وخلانى
اخوان صدق لعمري أي اخوانى
على المسرة فى كرم وستان
فغمرتى من وقوعى قبل عرفانى
هلا جنحت لتسريح باحسان

اقسمت لولا رجاء القرب يسعفنى
لكدت اقضى بها نحبي ولا عجب
يا جيرة الحي قلبى بعد بعدكم
يمضى الزمان عليه وهو ملتزم
باق على العهد راع للذمام فما
فان يرانى سقامى أو نأى رشدى
وان بكت مقلتى بعد الفراق دماً
وله قدس سره فى صدر كتابه :

سلام عليكم لارى العيش والنوى
هل البين الا شرداء اذا اعتدى
وله قدس الله روحه :

سقونى فى الهوى كاساً
فلى فى مهجتى اصل
وله قدس الله روحه :

قد كنت أحسب قلبى قبل مارحلوا
ومن بقائى وقد بانوا تبين لى
وله قدس الله روحه :

فكلما مست بالاشواق أحيانى
كم أهلك الوجد من شيب وشبان
فى حيرة بين أوصاب فاشجان
بحبكم لم يدنسه بسلوان
يسوم عهدكم يوماً بنسيان
فلا عج الشوق او هانى والهانى
فمن نذكركم يا خير جيران

يجاذبنا ثوب الحياة بطيب
فليس له غير اللقاء طيب

معانى حسنهم راحة
لوجد اين شراحه

مبرأ ويحه من قسوة الناس
انا سواء وانى مثلهم قاسى

انبئهم انى على الميعاد
كالميت ملقى بين اهل البادى
بعد التفرق والقلا بسهاد
حتى متى يروى غليل الصادى
قدح الزناد مسعر بفؤادى

ولقد نذرت صيام يوم لقائهم
روحى الفدا لاجبة من وصلهم
اشكو الزمان واهله فكأنما
لكنتنى متمسك بهدايتى
اهل النبوة والرسالة والهدى
أعنى النبي المصطفى المبعوث من
والطاهر الحبر الامام المرتضى
والبضعة الزهراء والحسين سا
ومحمد وبجعفر وبكاظم
والعسكري ونجمله المهدي من
تنجوا اذا وضع الكتاب ولا ترى
يا آل احمد حبيكم لى منهج
أرجو به عند النزول بحفرتى
وله قدس الله روحه :

صد دلالاتى وانتى معرضاً
لئن ابى عن ان نراه فقد

وله قدس الله روحه :

اختلف الاصحاب فى محتى
فقبل طول الناي والبعد عن
وقيل لابل صدغه لم يزل
وقيل سهماً لحظه أذنا
وقيل ضعف الطرف والخصر اذ

مع انه من أكرم الأعياد
ذهب الزمان وما بلغت مرادى
خلق الزمان واهله لعتادى
لولاء اصحاب الكسا الامجاد
للخلق بعد الشرك والاحاد
ام القرى بالحق للارشاد
زوج البتول اخا النبي الهادى
دات الورى فيهم وبالسجاد
ثم الرضا ومحمد والهادى
نرجوه يروى غلة الاكباد
نفعاً من الاموال والاولاد
خلف عن الابهاء والاجداد
انساً وذخري انتم لمعادى

فأرسل الصدغ على خاله
انبأنا المرسل عن حاله

وما الذى أوجب لى البلوى
نيل المنى من وصل من اهوى
بالسحر يرمى القلب بالاسوا
لم يخطئا من جدى عضوا
عليه قلب الصب لا يقوى

وقيل بل كل له مدخل فيها وعندى انه أقوى
اقول : انى اكتفيت بهذا القدر من شعره قدس الله روحه خوف الاطالة ،
ومن اراد الاطلاع على غيره طلبه من ديوانه .
وسمعت من بعض مشائخنا وغيرهم انه لما حجج كان يقول لاصحابه نرجو
من الله سبحانه ان نرى صاحب الامر عليه السلام فانه يحجج فى كل سنة ، فلما
وقف بعرفة امر أصحابه ان يخرجوا من الخيمة ليتفرغ لادعية عرفة ويجلسوا
خارجها مشغولين بالدعاء ، فبينما هو جالس اذ دخل عليه رجل لا يعرفه ، فسلم
وجلس قال : فبهت منه ولم أقدر على الكلام ، فكلمنى بكلام نقل لى ولا يحضرنى
الان وقام ، فلما قام وخرج خطر ببالى ما كنت رجوته وقمت مسرعاً فلم أره وسألت
اصحابى قالوا : ما رأينا احداً دخل عليك . وهذا معنى ما سمعته والله اعلم .

[ترجمة الشيخ محمد العاملى]

وأما والدي الشيخ محمد قدس الله روحه فقد كان عالماً عاملاً وفاضلاً كاملاً
وورعاً عادلاً وطاهراً زكياً وعابداً تقياً وزاهداً رضيعاً يفر من الدنيا وأهلها فرارك
من الاسد ويتجنب الشبهات وذويها فلا يركن منهم الى أحد ، جمع بين جيد
الحافظة والذكاء حتى كان يكاد لا ينسى ما رأى . وحاز من الفكر الدقيق والغور
فى المسائل العميق ما اذا أرسله لم يصل الى حد ومنتهى .

كانت افعاله منوطة بقصد القربة وأقواله مربوطة بمراعاة مالا يخالف فيه
خالقه وربيه ، صرف عمره فى التصنيف والعبادة والتدريس والافادة والاستفادة .
كان اشتغاله أولاً عند والده والسيد محمد قدس الله روحيهما ، فقرأ عليهما
وأخذ عنهما الفقه والحديث والاصولين وغير ذلك من العلوم ، وصار له معهما
أبحاث شريفة يتعرض لذكرها فى مصنفاته ، ومما قرأ المنتقى والمعالم وشرح

الشرائع بتمامه عند والده والمدارك بتمامه وما كتبه السيد محمد علي المختصر
النافع ، وكتب غالب ما قرأه من ذلك بخطه ولهما عليها بلاغات واجازات وكذا
الاستبصار .

ولما انتقلا الى رحمة الله ورضوانه بقي مدة مشغلا بالمطالعة والتدريس ،
ثم سافر الى مكة المشرفة وجاور بها سنين اظنها خمساً ، وكان اذ ذلك بمكة
مرزا محمد الاسترآبادي رحمه الله وكان بينهما اختصاص زائد ومحبة وافية ، وقابل
عنده بعض الحديث وكان يفيد اكثر مما يستفيد وهذب له كتاب الرجال الكبير
وبوبه احسن تبويب ورتبه أحسن ترتيب وكتبه بخطه .

ثم رجع الى البلاد واقام بها مدة قليلة وسافر الى العراق خوفاً وقرناً
وفراراً ممن نصبوا له العداوة حسداً منهم وحنفاً والجمال مظنة للحسد وصاحب
الكمال لا يكاد يصفو عيشه من الضيق والتكد ، واقام بكر بلاء مدة طويلة وقرأ
عنده جماعة من العرب والعجم في علوم شتى خصوصاً الحديث والفقه والاصول .
وكان مع التدريس مشغلاً بالتصنيف ، فصنف هناك كتباً يأتي تفصيلها
انشاء الله مضافة الى ما صنفه في البلاد ، وكان يوماً يصلي في كربلاء على السطح
فرماه رجل بسهم فمرتجاه صدره ووقاه الله منه ، فسافر الى مكة المشرفة واقام
بها مدة ثم رجع الى العراق فأقام بها مدة ، ثم عرض له ما يقتضي الخروج
منها فسافر الى مكة وبقي الى ان اختار الله سبحانه له دار البقاء .

وكان وهو في البلاد يذهب الى دمشق ويقوم بها مدة بعد مدة ، واختم
بفضلاء العامة وصاحبهم وعاشرهم أحسن عشرة وقرأ عندهم في علوم شتى ،
وكانت الشيعة بها تختلف اليه وتستفيد منه ، وكان من جملة من قرأ عليهم رجل
فاضل في علوم العربية والتفسير والاصول اسمه الشيخ شرف الدين الدمشقي ،
وكان يجتمع في درسه خلق كثير رأيت انا وشاهدت حلقة درسه وهو طاعن في

السن، وكان اذا جرى بحث في مجلسه وتكلم والذي في مسألة بكلام وبحث معه بعارضه اهل ذلك المجلس عنسداً أو لمؤفهم فيقع البحث بينهم والشيخ ساكت ، فاذا انتهى الامر اليه ليحكم بينهم يقول يا اخوان لا يغير في وجوه الحسان يعنى به والذي رحمه الله ، فاذا سمعوا هذا سكتوا .

سمعت هذا من شيخنا الشيخ محمد الحرفوشي رحمه الله لانه كان يحضر مجلس درس هذا الشيخ وقرأ على والذي واستفاد منه .

ولو الذي رحمه الله أشعار رائقة تشتمل على مواعظ وحكم وألغاز ومراسلات بينه وبين فضلاء ذلك العصر من المؤلف والمخالف وغزل ومديح وغيره ، وله مراسلات وانشاءات نثر، وكان مصاحباً للفريقين بحسن الخلق وبسط اليد . ومن جملة احتياطه وتقواه انه بلغه ان بعض اهل العراق لا يخرج الزكاة ، فكان كلما اشترى من القوت شيئاً زكواً زكاه قبل أن يتصرف فيه ، وأرسل اليه الامير يونس بن الحرفوش رحمه الله الى مكة المشرفة خمسمائة قرش، وكان هذا الرجل له أملاك من زرع وبساتين وغير ذلك يتوقى أن يدخل الحرام فيها ، وارسل اليه معها كتابة مشتملة على آداب وتواضع ، وكان له فيه اعتقاد زائد والتمس منه أن يقبل ذلك وانه من خالص ماله الحلال وقد زكاه وخمسه، فأبى أن يقبل ، فقال له الرسول: ان اهلك وأولادك في بلاد هذا الرجل وله بك تمام الاعتقاد وله على أولادك وعيالك شفقة زائدة فلا ينبغي أن تجبه بالرد. فقال: ان كان ولا بد من ذلك فابقها عندك واشتر في هذه السنة بمائة قرش منها شيئاً من العود والقماش وغيره ونرسله اليه على وجه الهدية وهكذا نفعل كل سنة حتى لا يبقى منها شيء ، فأرسل له ذلك تلك السنة وانتقل الى رحمة الله ورضوانه . وطلبه سلطان ذلك الزمان عفا الله عنه مرة من العراق فأبى ذلك ، وطلبه من مكة المشرفة فأبى ، فبلغه انه يعيد عليه امر الطلب وهكذا صارفانه عين له مبلغاً

لخرج الطريق ، وكان يكتب له ما يتضمن تمام اللطف والتواضع .
وبلغنى انه قيل له اذا لم تقبل الاجابة فاكتب له جواباً فقال : ان كتبت شيئاً
بغير دعاء له كان ذلك غير لائق وان دعوت له فقد نهينا عن مثل ذلك ، فالح
عليه بعض أصحابه وبعد التأمل قال : ورد حديث يتضمن جواز الدعاء لمثله
بالهداية . فكتب له كتابة وكتب فيها من الدعاء هداه الله لا غير .

وأخبرتني زوجته بنت السيد محمد بن ابى الحسن رحمه الله وأم ولده انه
لما توفي كن يسمعن عنده تلاوة القرآن طول تلك الليلة . ومما هو مشهور انه
كان طائفاً فجاء رجل واعطاه ورداً من ورود شتى ليست فى تلك البلاد ولا فى
ذلك الاوان ، فقال له : من أين أتيت ؟ فقال : من هذه الخرابات . ثم أراد أن
يراه بعد ذلك السؤال فلم يره .

ورأيت فى شرحه على الاستبصار وهو عندى الان بخط الشيخ حسين المشغرى
رحمه الله وكان ممن صاحبه واستفاد منه فى مكة المشرفة ما لفظه : انتقل مؤلف
هذا الكتاب وهو الشيخ السعيد الحميد بقية العلماء الماضين وخلف الكملاء
الراسخين ، أعنى شيخنا ومولانا ومن استفدنا من بركاته العلوم الشرعية من
الحديث والفروع والرجال وغيرها الشيخ محمد بن ابن الشهيد الثانى من دار
الغرور الى دار السرور ليلة الاثنين عاشر من شهر ذى القعدة الحرام سنة ثلاثين
من هجرة سيد المرسلين ، وقد سمعت منه قدس الله روحه قبيل انتقاله بأيام
قلائل مشافهة وهو يقول لى : انى انتقل فى هذه الايام عسى الله أن يعيننى عليها
وكذا سمعه غيرى وذلك فى مكة المشرفة ودفنناه برد الله مضجعه فى المعلى
قريباً من مزار خديجة الكبرى ، حرره الفقير الى الله الغنى حسين بن الحسن
العاملى المشغرى عامله الله تعالى بلطفه الخفى بالنبي والولى والصاحب الوفى
فى التاريخ المذكور -- انتهى كلام الشيخ حسين رحمه الله بلفظه .

وقال له بعض أصحابه : انه بعد هذا يرسل اليك السلطان على وجه لا
يمكنك الا السفر الى بلاده، فكان يدعو الله سبحانه أنه ان كان يعلم ان هذا الامر
يلزمه وان وفاته خير له بحسب الآخرة ان يتوفاه، وبعد ذلك كان يقول انى انتقل
قريباً وقد استجيب دعائى .

وله مصنفات جليلة دقيقة وتحقيقات عظيمة أنيقة وتدقيقات منيفة رشيقة :
فمنها شرح الاستبصار برزمنه ثلاث مجلدات كبار سلك فيه مسلكاً عجيباً ومنهجاً
غريباً مستوفياً احوال السند والرجال والمتن واللغة على وجه لم يسبق اليه فى
هذا الفن، ومنه يعلم سعة اطلاعه وتنبهه للرجال واحوالهم مما فاق به على اهل
هذا الفن الاعلى والده وجدته طاب ثراهما وربما زاد عليهما وذلك كتبه على كتاب
الطهارة والصلاة .

ومنها حاشية على شرح اللمعة مجلدان وصل فيها الى كتاب الصلح ، وله
مع جده وغيره فيها أبحاث طويلة وفوائدها جليلة .
ومنها حاشية دقيقة على أصول معالم الدين لو والده مجلد متوسط .
ومنها حاشية على عبادات من لا يحضره الفقيه مجلد .
ومنها حاشية على تهذيب الحديث مجلد .
ومنها شرح اثنى عشرية والده مجلد ، وهو شرح مبسوط استوفى فيه
ما يليق به .

ومنها حاشية على مختلف الشيعة ذهبت فيما ذهب من الكتب .
ومنها حاشية على مدارك السيد محمد رحمه الله سوى الحواشى التى علقها
على حاشية المدارك الذى كتبه وقرأه على مصنفه ذهبت ايضاً .
ومنها حاشية على المطول شرح التلخيص ، وهذه ايضاً غير موجودة عندي
وذكرها فى بعض فوائده .

ومنها كتاب روضة الخواطر ونزهة النواظر رأيت منه المجلد الثاني والثالث،
وهو كتاب مشتمل على فوائد ومسائل وأشعار له ولغيره وحكم وغيرها ملتقطة
من كتب شتى .

ومنها الرسالة المتقدمة في هذا الكتاب في المفاخرة بين الغنى والفقر .

ومنها رسالة في تزكية الراوي .

ومنها رسالة في التسليم في الصلاة حقق فيها ما ترجح عنده .

ومنها رسالة في التسبيح والفتاحه فيما عدا الركعتين الاولتين وترجيح ما

ترجح عنده من اختيار التسبيح .

ومنها كتاب مشتمل على مسائل وبعض أحاديث من الكافي نقلتها في كتاب

الدر المنظوم وفيه فوائد متفرقة .

ومنها كتاب نقل فيه مسائل من كتب شتى وفوائد كذلك .

ومنها كتاب مشتمل على اشعار له ولغيره ومراسلات بينه وبين من عاصره .

ومنها كتاب جامع لاكثر اشعاره مشتمل على مواعظ ونصائح وحكم ومراثي

وألغاز ومدائح ومراسلات شعرية بينه وبين شعراء اهل العصر واجوبة منه لهم

في المدائح والألغاز وغيرها ، وهذا كان عندي وذهب فيما ذهب .

ولقد كان رحمه الله جيد الشعر كثير النظم سريعه يشتمل شعره على معان دقيقة

وألفاظ رشيقة ومواعظ شريفة وفوائد منيفة ، ولم يكن الان يحضرني من شعره

الا القليل النزر، فمما هو حاضر قوله يرثي شيخه السيد محمد ره :

وطلقت ايام السها واللباليا

سرورى وأمست الى المنايا امانيا

يناضر منى الناظر السحب باكيا

عظيم جوى قد أرسل الدمع جاريا

صحبت الشجا مادمت في العمر باقيا

وفلت عرى صبري مدى الوجد

وعنى تجافى صفو عيشى كما غدا

ونومى نأى من حين امسى مسامرى

ولسم يسبق منى السقم الابقية
فلى ضر ايوب واحزان آدم
وكم فى فؤادى من فم الفكر لسعة
وقد قل عندي كل ماصرت واجداً
فتى زانه فى الدهر فضل وسؤدد
حليم كريم شرف العصر شأنه
هو السيد المولى الذى تم بدره
مضى فاكتست ثوباً من الحزن بعده
وشقت عليه الشمس جيباً واعلنت
وكادت به الاطواد تعفو رسومها
وكم للمعانى ماتم حين شاهدت
وللفقه نوح يترك الصلد ذائباً
فويح المنايا حيث لم ترع قدره
ولله رزه جبل حتى لقد غدا
فقد تابه النور الذى لم يزل به
امام بكاه الغيث اذ صار فى الورى
لقد كان شمس الدين مغنى وبدره
فهل من معز للعلى فى مصابه
وهل مخبر للخطب من أم بالردي
ومن لليتامى بعد ففسدان كامل
فلا خير فى الدنيا اذا لم يدم بها
وهيات ان تصفو حياة لطالب

على ملكها قد أصبح الخطب واليا
وبى فرط وجد غادر الجسم باليا
لها لم أجد مادمت فى العمر راقيا
بفقد الذى أشجى الهدى والمعاليما
الى ان غدا فوق السماكين راقيا
كما شرفت منه الايادى الاياديا
فأضحى الى نهج الكرامات هاديا
ليالى كان العيش فيهن صافيا
ببوح الاسى والبدر قد صار خافيا
بما حملت والبحر قد بات شاكيا
سباسبها قد أفقرت والفيافيا
كما سال دمع الحق يحكى الغواديا
وشلت يمين الخطب اذ صار راميا
به كل ذى حزن لشكواه ناسيا
طريق الهدى للناس فى الدهر باديا
شقيقاً له والماء قد عاد صاديا
كما كان فيه مشرب الفضل صافيا
بفقد جليل كان فى العسر كافيا
فقد كان حين الرمى لاشك ساهيا
كفيل ومن امسى عن النكر ناهيا
سرور لما يأت ما كان ماضيا
وللدهر احوال تشيب النواصيا

وما نافع الانسان فيه سوى الرضا
وبما صار محتوماً على الناس جارياً
وله رحمه الله من قصيدة اولها من الكتاب :

ولدنا على هول نطول بأنفس
تضييق احتمالاً عند موقعه الاكم
فسر اذا ما كان محض غذائنا
هبيد البرادى حيث لذنا الطعم
نعم شان منا الشان بعد مهذب
همى الشان من اشواقه وسرى السقم
كريم رفيع المعجد مصدر بغية
حميد سما فاشتق من فعله الاسم
تخذناه درعاً للزمان منيعة
تقى البأس مافى مثلها نفذ السهم
نأى البخل عنه حيث كان كما دعا
الى راحته البذل واتضح القسم
سأنشر فيه طي بعض حقوقه
واذكر فيه ما يقوم به النظم
همام له رب الفضائل خادم
وبين يديه يسجد البأس والحرم
متى رام امراً أو تخيل موعداً
مضى قبل ان يلقي على فعله الجزم
مدبحى له فوق المدايح مثل ما
سما فوق هام النجم وانخفض النجم
غروس ابيه دام بعض فنونها
وقد سقيت من فيض نعمائه العلم
لافتانها الفضل المبين ثمارها
بيان المعانى فقه تصرفها المعلم
يسير وأهل الارض تحت ركابه
يفيض عليهم من فواضله القسم
سرور الندامى ذكره ونعوته
على صفحات القلب اثبتها الرقم
له المدح مادام السماك مؤبد
واعداؤه فى الارض لازمها الرغم
لاطفاله مهد السرور موبد
اتانا كتاب من رقوم يمينه
موبد
له عمل الصهبا فى العقل كلما
فهذا الذى احبب السماع و اطرب
اساود مسك فى لجين صحائف

نسبنا به كرب الزمان وأحدث
أشار إلى صدق العهود وصحة
أثار اشتياقاً كامناً لمؤيد
وله رحمه الله في مدح بعض أمراء الشيعة وكان شاعراً إذا شعر جسده وقد

مدحه بقصيدة فأجابه بهذه وذلك في أوائل سن الشباب :

جادت بسكت الحيا من مائها الحب
والارض حاكت لها الانواء هاطلة
والطير غنت على الافنان من طرب
والجو هبت به ريح الصبا فغدا
واكؤس البشر دارت وهي صافية
والعيش قد حفه صفو فعادله
وراية العدل في الافاق قد نشرت
وعسكر الهم ولي وهو منهزم
والدهر ذو السن بالمدح ناطقة
موسى ابي الجود قد حاز الكمال كما
الوارث المجد والافضال عن سلف
مولى اباد العدل لما لم بهم
لم ترم بالسحر آيات له شهدت
وقد حكاه لدى الهيجاء قسورة
بالجود والعدل قد احبب الانام كما
فالشاة والذئب في مرعاهما اصطحبا

واستبشرت بالحيا الارضون والحقب
اثواب وشى حكمتها الانجم الشهب
فاهتز من لحنها الاغصان والقضب
بعطرهما تهتك الاستار والحجب
على الورى فاحتساها والمعجم العرب
نضارة وانفضى الطالب الارب
والجور احشاؤه قدمسها الوصب
وموطن الغم منه دائر خرب
لكامل ذاته الافضال والحسب
يحاز بالسبق فى ميدانه القصب
له كما في البرايا يورث النسب
كانه مدنشا فى حتفهم سبب
بأنه الان فى فلك العلى قطب
لكن اظفاره الهندية القضب
يحبى النبات اذا ما عمت السحب
كما به اصطحب الاحسان والادب

ضرباته علة في الحنف كاملة
 ان كان موسى له الطاعون معجزة
 و لم يشاور سوى نفس مؤيدة
 مولى به الحق امسى و هو مبتهج
 وقد اتى ساير العاقين نائله
 به سمت بعلبك الشام وافتخرت
 لولم يكن ذكره في النطق ما حسنت
 كذلك لولم يكن في بذله ذهب
 مولى له البشر داب والسرور فلا
 في كل قلب له بالحس منزلة
 لو رام حاسده يخفى مكارمه
 فما عسى أن يفى مثلى بمدحتيه
 لزال في سائر الازمان محتفظاً
 ماهب في ساير الاقطار ربح صبا
 وكتبه رحمه الله جواباً لبعض معاصريه عن قصيدة ارسل بما اليه من البحر
 والقافية :

يا خليلي باللطيف الخبير
 وبعهد ما بيننا وولا
 وبعق الاخا وعيشي هنى
 وزمان زهى بكم اذ نعمنا
 وبوجد اشجى القوادف امسى
 خصصا بالثنا اماماً جليلاً
 وبودأضحى لكم في ضميري
 ليس ينسى على ممر الدهور
 قد خلا صفوه من التكدير
 بلقاكم في ظل صفو السرور
 ذالهب ضاهاه حر السعير
 وخليلاً امسى عديم النظير

حائز السبق جابراً كل كسر	فى المعانى بحسن لفظ نصير
اروع بارع ادب اريب	حازم الراى فى جميع الامور
حاد عما يشينه بعد ان جاد	ببذل قضى بشأن خطير
ما جرير وابن الخطيب وقس	ان يقاسوا به وما ابن الخبير
بدر علم عفت به ظلم الجهل	وكالشمس فضله فى الظهور
مفرد فى الانام اذ جمع الفضل	اتفاقاً مع كامل التدبير
لفظه شامل له عدل الجرم	على قدرة الجليل الكبير
هاكشمس الاسلام نظاماً وقصدى	بث عذرى لكم عن التقصير
لا برحتم فى نعمة وسرور	ما حدا منشد بركب المسير

وكتب طاب ثراه الى بعض الفضلاء من معاصريه جواب لغز كتب به اليه من هذا البحر والقافية، وقد تقدم شىء فى باب الالغاز من نظمه رحمه الله فى رسالته الغنى والفقر :

ما لفؤادى مدى بقائى	قد صار وفقاً على العناء
وما لجسمى حليف سقم	بدابه اليأس من شفائى
و ما لجفنى به سهاد	ارعى به انجم السماء
أمن زمان به استطالت	على البرايا يد القضاء
ام من ثواء على طول	بها اعتبار لكل رائى
ام من غزال رنى بلحظ	اورث قلبى عظيم داء
استغفر الله ليس ضرى	بخفى على الناس مع دوائى
كيف وعنى نايء خليل	رقى الى ذروة العلاء
محمد الحبر من سناه	فى الناس اضحى بلا خفاء
مولى ودادى له حقيق	كما له خالصاً ثنائى

به لقد شيد ركن مجد	وزين الفضل بالحياه
وطالما قد زهت معان	مذمنحت منه بالصفاء
فيا اماماً له فؤادى	ربيع كما حل فى حشائى
هاك جواباً لحل لغز	من قاصر كامل الولاء
وهو اسم بنت لدى ملك	و فروعها عادم البقاء
له معان تطول شرحاً	ان اهملت احرف الهجاء
فمنه وصف يفتح عين	لحسن عين من الظباء
وساكنوا الخلد فيه اسم	لهم و لكن بضم فاء
و ان تزد فيه كل آن	فاسم بلاد بلا امتراء
هذا ومع حذف عين فعل	فهو مداد يزيد باء
و فيه بحر و فيه حرب	و قلب ذا موجب البلاء

و كتب طاب ثراه لغزاً لبعض فضلاء معاصريه وأرسله اليه وهو فى سليمان:

يا ايها المولى الذى شانته	علا على كل مقام وشان
الكامل الحبر الذى فضله	لديه صعب القول فى الدهر هان
اليك انهى الان ما قد بدا	بخاطرى والقصد منك البيان
ولا تؤاخذنى بذنبى فقد	انبأنى حلمكم بالامان
وها هو اسم جاء فى لفظه	اسمان غير الاصل فيما استبان
وان حذف السدس فاسم لمن	صاحب خير الخلق فى كل آن
و حذفك السدسين يبقى به	اسم لسلطان قريب الزمان
مقلوب عجز فيه ان رمته	فعل مسماه يريح الجنان
وصدره سل عنه من بعد ان	تفتح الفكر يرى بالعيان
أحرفه ست و لكن اذا	صحفت ذا الاسم تراها ثمان

وان يكن من بعد فيه خفا
وربما تلقاه قد مات من
هذا ولي سدسائه واسمى به
وبعد ذا فالسدس في عده
افد فلا زلت لنا باقياً

وله طاب ثراه ملغزاً وارسله الى بعض الفضلاء :

يا ايها المولى السدى فضله
وغاص في الدأماء مستخرجاً
وافترض ابكار المعاني لها
اللودعى الالعمي الذى
وحاز بالسبق رهان العلى
ما اسم ثلاثى اتى لاه
مقلوبه غير بعيد اذا
فى البشر ثلاثه بلا شبهة
وعجزه فى الشرق دوماً كما
هذا وان دمت بياناً له
فانظر الى تصحيف مقلوبه
وان يكن من بعد فيه خفاً
فهو اذا فعل اذا رمته
ماضيه قد رقى الذى وصله
لا زلت ذا عمر طويل ومن

واقصر على هذا القدر من شعره قدس الله روحه ونور ضريحه حيث ان

هذا الكتاب لا يناسبه نقل اكثر من هذا .

وعندى بخط جدي المرحوم المبرور الشيخ حسن قدس الله روحه ما هذا
لفظه بعد ذكر مولده زين الدين علي: ولد اخوه فخر الدين محمد ابو جعفر
وفقهما الله سبحانه لطاعته وهداهما الى الخير وملازمته وأيدهما بالسعد والاقبال
فى جميع الامور وجعلنى فداهما من كل محذور ضحى يوم الاثنين العاشر من
الشهر الشريف شعبان عام ثمانين وتسعمائة ، وقد نظمت هذا التاريخ عشية الخميس
تاسع شهر رجب عام واحد وثمانين وتسعمائة بمشهد الحسين عليه السلام فى
هذين البيتين وهما :

احمد ربى الله اذ جاءنى محمد من فيض نعماه
تاريخه لازال مثل اسمه بجوده يسعده الله

انتهى . فظهر من تاريخ مولده ووفاته ان عمره خمسون سنة وثلاثة أشهر
قدس الله تربته واعلى فى عليين رتبته .

[ترجمة الشيخ زين الدين العاملى]

اقول : انى احببت ان اذكر نبذة من احوال اخى وشقيقى وقرة عينى الشيخ
الجليل زين الملة والدين عطر الله مرقده ، فقد كان فاضلاً ذكياً وعالماً لودعياً
وكاملاً رصياً وعابداً تقياً ، اشتغل فى اول امره فى بلادنا على تلامذة ابيه وجده ،
ثم سافر الى العراق فى اوقات اقامة والده رحمه الله بها ، وكان يتوقع من
والده زيادة عما اظهره من المحبة وكان اذ ذاك فى سن الشباب ، فسافر الى
بلاد العجم ، ولما قدمها انزله المرحوم المبرور الشيخ بهاء الملة والدين
العاملى قدس الله روحه فى منزله واكرمه اكراماً تاماً ، وبقي عنده مدة طويلة
لا يحضرنى ضبط مقدارها ، وكان فى تلك المدة مشغلاً عنده قراءة وسماعاً

لمصنفاته وغيرها، وكان يقرأ أيضاً عند غيره من الفضلاء في تلك البلاد في العلوم
الرياضية وغيرها.

ولما انتقل الشيخ بهاء الدين رحمه الله في السنة التي توفي فيها والذي
طاب ثراهما وهي سنة ثلاثين بعد الألف سافر إلى مكة المشرفة وأقام بهامشغلا
بالمطالعة، ثم سافرت أنا إلى مكة المشرفة ورجعت في خدمته إلى بلادنا وقرأت
عنده في الأصول والفقه والهيئة، ثم سافر مرة ثانية إلى بلاد العجم لمرافقتي
ذلك ورجع سريعاً إلى البلاد، وكنت مدة في خدمته أستفيد منه إلى أن اتفق
سفري إلى العراق، وله فوائد متفرقة على بعض الكتب وما رأيت له كتاباً بمدوناً
وله شعر رائق في فنون الشعر، فمن شعره قصيدة يرثي بها ولداً كان لي في جبل
عاملة وانتقل إلى جوار الله صغير السن واسمه محمد، وكان ذا فطرة عجيبة وفطنة
غريبة تشعان بعدم بقاءه في هذه الدار الفانية، وكان يحبه حباً شديداً كما كنت
أحب أخى رحمه الله ويحبني وهي قوله :

هو الدهر لا يلقى لديه سرور	فناميل صفو العيش فيه غرور
تصاريفه في كل يوم ولبسة	بكاسات حتف في بنيه تدور
واحدائه تسعى بعين بصيرة	لهدم مباني المجد حين تسير
فكم ثل منها عرش مجد وسؤدد	وهان لها بين الأنام خطير
إذا منحت بعد الصباح سرورها	يكون لها قبل المساء سرور
سلوني عن الأيام اني بشأنها	لما بلغت مني الخطوب خبير
رمتني برزء فادح جل خطبه	حقيق بارسال الدموع جدير
ففي كبدي نار لتذكار وقعه	يؤججها داعي الأسي وسعير
هو نجم ابني من مطالع سعده	فهطال دمعي ما حبيت غزير
وخلت بجهل ان دهرى ماملى	ففاجأني بالغدر منه نذير

وغاض سرورى منذغاب محمد
 هلال دهاه الخسف قبل كماله
 تقضت لنا اوقات أنس بقربه
 لبسنا جلايب الكآبة بعدها
 وصرت حليفاً للسهاد وليس لي
 ولى فى دجى ليلى اذا جن انه
 فلبت زمانى حين جارت صروفه
 وليت الكرى من بعده زار مضجعي
 بقلبي وروحي ظاعن جل فقه
 خلت من معانيه الربوع وافقرت
 ثوى مذئوى صفوا الحياة وطيبها
 تخذناه للخطب الكبير ذخيرة
 ولو أنه يفدى بروحي فدينه
 وان غاب عن عيني بديع جماله
 على العيش والايام من بعده العفا
 يعز علينا ان يكون له الثرى
 وان تصبح الاوطان منه خلية
 وان يتوارى في التراب ولم يكن
 سأكبيه ما حنت اليه جوانحي
 فكل البكا الا عليه سفاهة
 اذا رمت عنه سلوة حال دونها
 سقى جدثاً وارت معانيه تربة
 على انني في النائبات صبور
 وغصن طواه الحنق وهو نضير
 قصار وما في حسنه قصور
 فليس لنا حتى الممات سرور
 سوى فرط اشجانى عليه سمير
 تقطع افلاذ الحشا وزفير
 علي بغير الخطب فيه تجور
 عسى روح انسى في المنام يزور
 صغير وان الرزء فيه كبير
 فلاغرو ان شقت عليه صدور
 فمما لها حتى النشور نشور
 فأودت بها الايام وهو صغير
 وما صنعتها ان الفداء حقيبر
 فقلبي لديه حيث كان اسير
 فكيف يلد العيش وهو مـرير
 وطاءاً وان تعلق عليه صخور
 وتضرب من دوني عليه ستور
 له من دموعي الهاطلات ظهور
 وكاد لذكره الفؤاد يطير
 وكل الاسى الا عليه لسزور
 غرام على جيش العرا بغير
 وحياء من غادى الغمام مطير

ومن شعره رحمه الله :

ان خنت عهدي ان قلبي لم تخن
لكنه يبدى السلو تجلسدا
وله قدس الله روحه :

و حق هواك ما حال المعنى
ولو قطعت بالهجران قلبي
وله طاب ثراه :

ولما رأينا منزل الحى قد عفا
لبسنا جلايب الكآبة والاسى
وله رحمه الله :

أو دعكم ولى جسد نحيل
و قلب كلما ذكرت لبالى
وله رحمه الله :

لا تحسبونا وان شط المزار بنا
نحول عن منهج الود القديم لكم
وله رحمه الله :

سقىا لليلة وصلنا من ليله
وأببح لى فيها المنى حتى بدا
كادت لفرط تقاصر من طيبها
املت او مدت بكل شيبه
ومن شعره رحمه الله :

كم ذا أوارى الجوى والسقم يبديه

عهد الحبيب وان اطال جفاه
حذراً من اللاحى ويخفى داه

بحبك عن هواك ولا يحول
واحشائى وافنائى النحول

وشطت اهاليه واقوت معالمه
واضحى لسان الدمع عنا يكالمه

وصبر راحل وهوى مقيم
نهبناها بقربكم يهيم

وعاند الدهر فى تفريقنا وقضى
او ينتفى بالتنائى عنكم عوضا

ما راعنا فيها حضور رقيب
فى ظلمة الظلما بياض مشيب
يأتى الصباح بها قبيل غروب
وسواد أحداق لنا وقلوب

واحبس الدمع والاشواق تجريه

شابت ذوائب آمالي وما نجحت
ولا هب الوجد في الاحشا يخمده
رفقاً بقلب المعنى في هواك فما
وكيف يقوى على الهجران ذو كبد
صب رماه الهوى في كل مهلكة
ما زال جيش النوى يغزو حشاشته
يا من نأى وله في كل جارحة
هل انت بالقرب بعد اليأس منعطف
فقد تمادى الجوى فينا ورق لنا
فاستخبر الليل عن وجد اكابده
وان سمحتم لا جفاني يزور كرى
عساه يشفى عيلا بالنوى بثست
وحملوا الريح من انفاسكم ارجا
وله رحمه الله :

الى كم مقاساة النوى و النوائب
و حتى متى سعى على غير طائل
و كم ذا أعانى لوعة بعد لوعة
اما آن للايام انجاز بعض ما
فيصبح روض الانس غضا ونجتنى
ويسمح بالعتبي زمانى وينثنى
فقد سئمت اتضاؤنا السير والسرى
و كلفت حمل الدل نفساً ابية

وليل هجرك ما شابت نواصيه
رجا الوصال وداعى الوجد بذكبه
أبقيت بالهجر منه ما يعانیه
جرت لطول التنانى من اماقيه
من الاسى حين ناجته دواعيه
حتى طواه الضنا عن عين رائيه
منى مقام اذا ما شط يدنيه
وراجع من لذيد العيش صافيه
قاسى قلوب العدا ما نقاسيه
فكم نشرت غراماً فى دياجيه
فيطرق الطيف منكم فى مطاويه
منه الاساة و اعياهم تداويه
يكون للروح روحاً فى مساريه

و تعليل نفس بالامانى الكواذب
وقطع الفيافى بالسرى والسباب
وأصبح من هذا الورى غير صاحب
و عدن به من نبيل بعض المآرب
ثمار الامانى من رياض المطالب
به البعض من آمالنا غير خائب
و كلت عن الشكوى متون التجائب
ترى دون ما حملت ضرب القواضب

وفلت عرى صبرى الجميل واصبحت
واصعب ما القى من الدهرهين
سوى سطوات البين شلت يمينه
غداة افرقنا والجفون قريحة
وصحى و قوف للوداع كأنما
نحدث عما فى القلوب من الجوى
فهل لكثير شنت البين شمله
فأسمى كئيباً نازح الدار باكباً
بشير يطيب الوصل يحيى بقربه
فيا برق يمم سفح لبنان ناشداً
وقل لهم ذاك الكئيب الذي نأى
مشوق ولولاً ما جنى الدهر لم يكن
له جسد مضمئى من البين ينطوي
يحن اذا ما شام بالشام بارقاً
عسك اذا ما ابت تهدي لمسمى
أحاديث اشهى فى النفوس على الظما
الى الله اشكو انه القادر الذي
جنايات دهر لا يديم لما جد
ولانال فيه مطلباً ذو مطالب
فما من مرید وجهه رد خائباً
ومن شعره رحمه الله :

هل من معين فى الهوى أو مسعد

ربوع اصطبأرى مقفرات الجوانب
وان عد كل من جليل المطالب
وتكديره من كل ورد مشاربى
وليل النوى والبين مرخى الذوائب
يودع كل منهم غير آئب
بدمع يروى ما حل الترب ساكب
وابعد عن اهله والحبايب
حليف الضنا الف المخطوب النواذب
صريعاً رماه البين عن قوس صائب
لقبى المعنى بين تلك الملاعب
على رغمه عن حبكم غير راغب
الى غيركم يلوى عنان الركائب
ضناه على قلب من الشوق ذائب
فيصبو ولا يصفى الى قول عاتب
احاديث هاتيك الظبا والربائب
من الري او وصل الحسان الكواعب
يرجى لدفع الحادثات النواذب
سروراً ولا يصفو به عيش ناجب
من الناس الاغاله بالسوالب
ولا غلقت أبوابه دون طالب
فلقد فنى صبرى وبساده تجلدي

وتطولت مدد الفراق فهل يرى
يا صاحبي قفا بأكتاف الصفا
وتنشدا قلبي بهاتيك الربا
فلقد سلبت هناك أفلاذ الحشا
واستخبرا رشاي لاي جنابة
وحرمت رشف برود رائق ريقة
واضاع بالاعراض عهدي والجفا
واستعطفاه على حليف صبابة
يقضي الدجى يرعى النجوم بناظر
ماشام برقاً من ثنيات الصفا
حيران ليس له اليه وسيلة
شغلته لوعته بحيران الصفا
يا منتهى ألمي وغاية مطلبي
هلا أعدت زمان وصل أن يعد
وطوبت مانشر الزمان من النوى
فشفيت علة مدنف بشى الاسى
أنساه هجرك انسه وسروره
وقف الغرام به عليك على شفا
مال حال بعدك عن موثيق الهوى
ما رام بعدك فى الورى متحسناً
وجد الخلاعة فيك أجمل خلة
فظوى عن اللاحى المعنف كشحه

للوصل عند أحبتي من موعد
كرماً وعوجاً نحو ذاك المعهد
وتعرضاً لظباء ذبائك النسدى
وضللت عن رشدى هناك ومرشدى
قطعت لجفوته حباك توددى
ظلماً فوظمأى لذاك المورد
حتى كأن وداده لم يعهد
ظام الى سلسال مرشفه صدى
من فرط لوعته عليه مسهد
الا تنفس عن فؤاد موقد
يطوى الظلوع على عناء مجهد
عن كل مرتبغ سواه ومجدد
ومرامي الاقصى وأسنى مقصدى
يسعف بوصلك من قطعت ويسعد
وشفى غليل عواذلي والحسد
من بربه وجفاه أدنى العسود
وحباه صدك كل عيش انكد
تلسف وحر صبابة متوقد
لالبسم بعد أو تغير مبعد
يصبو اليه ولا تعشق أغيد
ورأى التهتك فيك رأى المهتدى
ولوى المسامع عن مقال مفند

الهاه ذكرك عن تذكر قومه
 يرضى الهوان لذبك في طوع الهوى
 لولاك لم يكن الغرام له هوى
 فاذا بخلت يطيب وصلك فاسمحي
 فلقد جفا بجفائك اجفاني الكرى
 لانال منك مرامه من سره
 لو كنت املك فيك فاضل مهجة
 لو هبتها لمبشرى بك واجداً
 سقياً لليلتنا التي فزنا بهما
 بعدت ولما يبق اى من بعدها
 كانت لها مقل الزمان غوافلا
 فأحالها جور الليالى حسرة
 وطريف حبك عن هواه المتلد
 ويروح في أسر الغرام ويغتدى
 يصبو اليه ولم بهم في معهد
 بكري يزور به خيالك مرقدى
 وتركت أيامى كليل الارمد
 يوماً سواك ولا ارتوى من سؤدد
 ذهب الغرام بها وهجرتك من يدى
 اسعافه بقبولها أعلى يد
 بمنى النفوس وليتها لم تنفد
 غير المقال علالة لا تبعدى
 عنى وسهم البين غير مسدد
 بغنى الزمان وحرها لم يبرد

وكتب رحمه الله جواب لغز كتبه اليه بعض أصحابه : أيها المولى الجليل
 والفاضل النبيل المحيى موات الآداب والمجد ومعاهد الشعراء والكتاب ، قد
 تشرفت بمطالعة لغزك الرائق وكلامك الفائق ، فوجدته فى اسم أوله من المثات
 وثالثه من الاحاد وثانيه من العشرات ، ان نصفت زبر أوله ونقصت منه مضعف
 بيناته ساوي عدد عظام الانسان ، وان اشتد عكس مصحفه الى الاوطان دل على
 تلاشى احوال السكان ، وان نقصت من ثانيه مضعف ثالته ساوي مضعف عدد
 الابراج ، واذا حل مسماه فى ارض ظهرت عليها آثار الابتهاج ، ان أبقى على
 حاله كان غريباً وان صحف طرفاه يصير فارسياً ، وان اضيف الى مضروب زبر
 ثالثه فى نفسه بينات أوله ساوي عدد العقول ، وان نصف بينات ثالثه واسقطت
 منها زبره ساوت عدد المضروب المنتجة عند أهل المعقول ثانيه من حروف الجر

معدود ونصب الفعل بعده ايضاً معهود ، ان ضعف ثانيه وزيد عليه عدد الاشكال
حصل عدد مجموع الضروب في الحال ، وان قسمته على ثلثه خرج عدد الصحابة
المشهورين عند اهل الجماعات ، وان اضفت الى آخره عقيم ضروب الشكل
الاول ساوى عدد القضايا الموجهات مضعف ثلثه يساوي عدد البسائط ومربعه
يساوي عدد المركبات ، نصف ثانيه كمال ظهوري لسدسه ، وان اضيف
اليه مضعف تاليه كان كما لاشعورياً لخمسه ، وان ربت أحد طرفيه عادل موانع
الصرف ، وان زدت على ذلك بينات الاخر عادل حروف العطف ، وان
نقصت من وسطه مكعب طرفه ساواه ، وان قسم الاول على الثانى خرج عدد
الحروف المهموسة بلا اشتباه ، مربع ثانيه يساوي مربع ثالثه فى العدوان
كان التفاوت بينهما فوق الحد ، ان اضعف مربع ثلثه ساوى عدد العوالم وان
نصفت زبر وسطه واسقطت منه بينات طرفه كان بقدر أنواع الخيارات ، وان
زيدت بينات احد طرفيه على الاخر ساوى انواع ترجيح الاخبار ، وان نقصت
من مكعب احد طرفيه مضعف بينات الاخر ساوى علاقات المجاز ، وان زيد على
احد طرفيه مضروب بينات الاخر فيه ساوى أركان حساب الخطائين ، وان زيد
على ذلك سدسه يبلغ مقدار طبقات العين ، مربع أحد طرفيه يساوي ما تجب فيه
الزكاة ، وان نقص منه مضعف بينات الاخر يبقى عدد التكبيرات الافتتاحيات ،
وان زدت على احد طرفيه عدد الاجناس العالية للحميات ساوى عدد الاشياء التى
تحصل بها الزكاة ، ان أسقطت من مضروب ثانيه فى ثلثه مضعف بينات اوله
وأضفت اليه عقيم ضروب الشكل الثانى عادل حد الزانية والزانى ، وان اسقطت
احد حروفه وصحفت الباقي كان امرأ بما يدل على الحزن والكآبة ، وان غيرت
التصحيف كان امرأ باظهار الوجد والصبابة ، ان صحفت ذلك الاسم كان تاريخاً
للعام ، وهذا القدر كاف فى ايضاح المقام . اتفق انشاؤه فى شهر ذى الحجة

الحرام سنة ١٠٣٠ - انتهى كلامه اعلى الله مقامه وبلغه في الاخرة مرامه بمحمد وآله
صلى الله عليهم .

وله قصيدة مطلعها :

سئمت لفرط تنفلي البيداء وشكت لطول ترحلي الانضاء
ما ان ارى في الدهر غير مودع ولكم لعمرك في الوداع عناء
وهي طويلة ولا يحضرني بقيتها .

وله اخرى مطلعها :

متى يفوز بطيب الوصل مضناكى وقد جعلت التجافى من سجاياكى
لأنت منك مرادى فى الهوى ابدأ ان أطرب القلب الا طيب ذكراك
انت المرام وان عزت مطالبنا لديك ليس يروم القلب الاكى
يا مطلبى فى الورى ماذا عليك اذا اضفت للحسن يوماً بعض حسناكى
والقصيدة طويلة .

وله رحمه الله اشعار غير ما نقلته مثبتة فى اماكنها . وكان مولده سنة ١٠٠٩
تسع الف ولا يحضرني خصوص وقت آخر ، وانتقل الى رحمة الله ورضوانه
فى اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٠٦٤ اربع وستين بعد الالف
وكنت اذ ذاك فى مكة المشرفة اجتمعت معه يوم عرفة وبقيت فى خدمته الى ذلك
اليوم من تلك السنة ، ودفن مع والده فى المعلى قدس الله روحه ونور ضريحه
وآخر الصحبة الفراق وآخر العمر الموت ، نسال الله حسن الخاتمة بمنه وكرمه .
ولقد احببت ان أنقل قصيدته المخمسة يرثى بها الحسين صلوات الله عليه فى
هذا الكتاب ، فانها قصيدة جيدة رقيقة ، وهى قوله طاب ثراه :

سلبت لسوعتى لذيد الرقاد وكستنى ثوب الضنا والسهاد
ورمانى دهرى بسهم العناد وغرامى ما ان له من نفاذ
كل يوم وليلة فى ازدياد

لى حزن فى كل آن جديد
و التهاب يذوب منه الحديد
و عناء يشيب منه الوليد
قدبكى رحمة لى الحسود

و دموع تسح سح الغوادي

لست ابكى لفقد عصر الشباب
و تصدى عهد الهوى والتصايب
و صدود الكواعب الا تراب
و تنائى الخليط والاحباب

من سليمى وزينب وسعاد

قد نهانى النهى عن التشبيب
و اذكار الهوى و ذكرى الحبيب
و تفرقت للاسى والنحيب
مداتى زاجراً نذير المشيب

معلنا بالفنا حين ينادي

بل بكائى لاجل خطب جليل
و رمى بالعناء قلب البتول
اضرم الحزن فى فؤاد الخليل
و اسال الدموع كل مسيل

و تسردى الهدى ثياب الحداد

رزء من قد بكت له الفلوات
و هوت من بروجها النيرات
واقشعرت لموته المكرمات
و المعالى لفقده قابلات

غاب والله ملجأى وعمادى

فجعة نكست رؤوس الموالى
و رمت بالقذى عيون الكمال
و استباححت حمى الهدى والجلال
قد اناخت بخير صحب و آل

عتره المصطفى و اهل الايادي

يالها فجعة و خطباً جسمياً
و بقلب الامين حزناً مقيماً
اوقعت فى حشا الكليم كلوما
و اعادت جسم القسم سقيماً

جفنه للاسى حليف السهاد

يالها فجعة على الايمان
جرعت اهله كؤوس الهوان

وغدا الشرك في اعز مكان ظفرت اهله بنيل الامانى

قائلا قد بلغت اقصى مرادي

لهف نفسى على رهين الحتوف حين امسى نهب القنا و السيوف
ناوياً جسمه بأرض الطفوف وهو ذو الفضل والمقام المنيف

و سليل الشفيح يوم المعاد

منعوه ورود ماء الفرات وسقوه كأس الفنا والشتات

بعد تقبيل اهله والحماة و احاطت به خيول الطغاة

بمواضى الظبا و سمر الصعاد

فبكت حسرة عيون السماء ما زجات دموعها بدماء

بعدهما اظلمت نواحي الفضاء وغدا المجد في اشد عناء

معلناً بالبكاء في كل نادي

وغدا الدين عند ذلك يقول غاب نجم الهدى و حار الدليل

و دهانى خطب فضيع مهول فلدمعى مدى الزمان همول

آه مما جنت علي الاعادي

غاب بدري وخاب منى الرجاء وتناهى الاسى وعز العزاء

برح الحزن بى وزاد العناء فعلى العيش والزمان العفاء

بعد شمس الهدى ونجم الرشاد

آه مما جنت جيوش ابن سعد حين جاءت لهدم اركان مجدي

باذلات فى قصدها كل جهد شاهرات بالبقى سيف التعدي

طمعاً فى جوايز ابن زياد

قد اراقت دم الهدى و الرسالة عند ما جردت سيوف الضلالة

باياد تسوق سبي الجلالة سلكت بالعمى سبيل الجهاله

و اضاعت سبل النهى والسداد

هتكوا حرمة النبي الكريم

ورعوا ذمة الدعى اللثيم

فسيصلون حر نار الجحيم

ويجازون بالعذاب المقيم

يوم حشر الارواح والاجساد

واتوا يطلبون من غير عذر

بسيوف الضلال ثارات بدر

وشروا الدين والرشاد بكفر

فظووا منهج الهدى بعد نشر

و اعدوا للحشر اخبث زاد

وغدا المهر فى الفلاة يجول

حاملا حاله يراه النحول

قائلا و الدموع منه تسيل

زال عزي وفاتنى المأمول

ووهى جانبي وذل قبادي

بعد ماكنت فى مقام الفخار

صائلا صولة الاسود الضواري

فسأبكيه بالدموع الغزار

فى دياجى الظلام والاسحار

جاعلا مدمعى دماء الفؤاد

لهف نفسى لزينب و اساهها

حين جاءت تنعى الحسين أخواها

و تنادي اجدادها واباهها

و هى تذري الدموع لما دهاها

محن قرحت عيون العباد

و احسيناه يا ملاذ العفاة

وسراج الظلام فى المشكلات

وسليل الكرام والطاهرات

و امام الهدى و زين الكفاة

ورجائى فى النايبات الشداد

آثما جنى الزمان العنيد

حين صالت على الموالي العبيد

وغدا السبط وهو فرد وحييد

قد أحاطت به هناك الجنود

بعد فقد الحماية والاجناد

ادركت ثارها امية منسى

بعد ما غاب نور وجهك عنى

ولقد خاب بعد فقدك ظنسي فالى الله اشتكى فرط حزني
والى المصطفى رفيع العماد
وتداعى عند النزال الرفاق الوداع الوداع حان الفراق
وخيول الفنا عليهم تساق ومياه الحياة منهم تراق
بأكف العناد في كل وادى
فغدوا بين مشخن بالجراح وقتيل بذابلات الرماح
وذبيح بماضيات الصفاح قد ارقبت بهم دما الصلاح
واسير يقاد في الاصفاد
آه واحسرتنا لذلك الصريع حين أضحى مذملا بالنجيس
ورموه بكل خطب فضيع واستباحوا حمى الجناب الرفيع
بالعوالى وبالماضى الحداد
فبكنه الوحوش والاطيسار وشموس الافاق والاقمار
وقفار القلاة والامصار والسماوات دمعها مدرار
لمصاب مفتت الاكباد
وبكى عند ذاك جبرائيل في ملوك السماء واسرافيل
وغدا في العشا ميكائيل ولعرش الاله دمع همول
وتداعت اسي ذرى الاطواد
لو وقت حقه ذو المعقول لبكنه مدى الزمان الطويل
وتأست في رزئه بالبتول طمعاً في رضى الاله الجليل
وجليل الحياء والاصفاد
وحداني على البكا والنواح حمل تلك الرؤوس فوق الرماح
بعد تقطيعها ببيض الصفاح فاخفى عند ذلك ضوء الصباح
وتردى النهار ثوب السواد

ورؤوس السراة أمست هدايا تترامى بها نسل البغايا
صيروها ظلماً أمام السبايا من بنات الرسول اذكى البرايا
وكرام الالباء والاجداد
وعلى الافق كل يوم جديد ومساء يغشى عيون الرقود
حلة صبغها دماء الشهيد نور عين الهدى سراج الوجود
صفوة الله خيرة العباد
ثم ساقوا سلالة الانبياء من ستور الوقار سوق الاماء
عند ما ضيعوا حقوق الوفاء واذاعوا العقوق بعد الخفاء
وابانوا ضغائن الاحقاد
ثم ساروا بالسبي سبي الجلال من نساء الحسين والاطفال
فى اسار الهوان والاذلال حاسرات على ظهور الجمال
باديات لاعين الحساد
يقطعون الفجاج والاكاما ويؤمون فى المسير الشاما
والمرامى اضححت بهم تترامى بعد ما جرع الحماسة الحماما
وغدوا فى مذلة الانقياد
والموالى تساق سوق العبيد فى اسار الهوان بين الوغود
فقدت عزها لفقد العبيد وبراهم السرى وهجر الهجود
ولها مدمع كصوب العهد
لهف نفسى للطاهرات العذارى من بنات البتول تسمى أسارى
فى قيود الهوان تمشى حيارى لو بدت لليهود اوللنصارى
حرمت اللسى لذيذ الرقاد
غابت الاسد فاستباح حماها معشر حاولوا بلوغ مداها

وأرادوا ادراك شامو علاها ضلة من عقولهم وسفاها
فأضاعوا عهد حفظ الوداد

أيها النادبون هذ الاوان فاندبو من بكتهم الاكوان
ووحوش القفار والحيتان والمحاريب دمعها هتان
لا يرجى لحزنها من نقاد

وبكتهم مدارس الايات وفروض الصيام والصلوات
وجليل الصلات والصدقات حين أمست لفقدهم عاطلات
من حلاها تسام سوم الكباد

جددوا الحزن كل عاشوراء واندبوا الطيبين اهل الولاة
فلقد جرعوا كؤوس الفناء بعد أن عابنوا اشد العناء
بسيوف الطغاة والاوغاد

كيف ترقى بعد الحسين الدموع ويلذ الكرى لنا والهجوم
وجناب الحسين ذاك الرفيع قد دهاه من العدى ما يروع
وقضى وهو في الهواجر صاى

كيف لا تهجر العيون المناما وبنات الرسول امست هيامى
في فيافي الفلاة تشكو الاواما فقدت عزها ثمال الايامى
وغدت بين حاسد ومعادى

مالها مسعد ولا من يعين دأبها النوح والبكا والحنين
نالها بالردى الزمان الخوون قرحت بالبكاء منها الجفون
تترامى بها أيادى البوادى

لو رأت فاطم البتول بنيتها بعد فقدان رهطها وذويها
وطيور الفنا تحوم عليها وسهام المنون تسمى اليها
عن قسى الضلال والالحاد

شغلت بالبكاء والاصاب عن لذيق الكرى وصافى الشراب
 واقامت ماتماً للمصائب تضرم النار في فؤاد السحاب
 وتبكي عيون كل جماد
 شاركوا في المصائب خير الانام سيد الرسل والموالي الكرام
 فهو في فجعة واوفى هيام تظفروا بالامان يوم الزحام
 وتسالوا مراتب الاسعاد
 واذكروا ما جرى لال النبي من جنود الدعى وابن الدعى
 فلقد ضيعوا حقوق الوصي واطاعوا الغوى نجل الغوى
 وحكوا في صنيعهم قوم عاد
 يا هداتي يا ساكنى كربلاء والغرى المعطر الارجاء
 وبقاع البقيع والزوراء وارضى طوس وسامراء
 انتم عدتى ليوم معادى
 عبدكم بالولاء زين الدين قد رأى ان حبكم فرض عين
 مسرف في الذنوب لكن يقينى ان اخلاص ودكم سيقينى
 حر نار السعير يوم التنادى
 وعليكم مدى الزمام سلامى ماغدت نحوكم ركوب الشام
 وبدا البرق فى دياجى الظلام وهمى بالسحاب جفن الغمام
 وبدا كوكب بسافق بلاد

[ترجمة مؤلف الكتاب]

ورأيت ان اذكر شيئاً من مجمل احوال هذا الفقير المضيق عمره في التضيق
 والتقصير، الراجي من مولاه الكريم الصفح عما جناه والعمو عما كسبت جوارحه

في أولاه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وأن يمن عليه
بالمخاتمة الحسنة وان بتفضل عليه بتبديل سيئاته بالمحسنة انه اكرم مجيب ومن
داعيه قريب .

وهو اني لما سافر والدي رحمه الله السى العراق كان عمري اذ ذلك نحو
ست سنين ، ووقع على بلادنا فتور عظيم احترق لنا فيه نحو ألف كتاب ، ثم
انتقلنا الى كرك نوح عليه السلام وأقمنا بها مدة ، ثم سافر اخي وسني اذ ذلك
نحو اثنتي عشرة سنة الى العراق، وكنت اولا اختلف الى المكتب وقرأ القرآن،
فختمته فيما يقرب سني فيه من تسع سنين ، وكانت والدي رحمه الله شديدة
الرأفة بي والشفقة علي ، ودائما توصي الذي اقرأ عنده ان لا يضربني ولا يهينني،
وتتفقد احوالي في اليوم مرارا لذلك .

ثم اشتغلت على من كان من تلامذة جدي ووالدي رحمهما الله وغيرهم ،
وهم الشيخ الجليل الفاضل الشيخ نجيب الدين قدس الله روحه وأخي الشيخ
زين الدين والسيد الاجل السيد نور الدين والشيخ حسين بن الظهير والشيخ
محمد الحرفوشي رحمهم الله جميعاً .

ولما سافر أخي عنى كنت مشغولاً مع صغرى بعيال ونظام الاملاك المخلفة
عن آبائي، ومع هذا كنت اشتغل بما يمكنني مع ذلك، وكتبت هناك كتباً متعددة
وكنت حريصاً على حفظ الكتب التي بقيت .

ثم سافرت الى مكة المشرفة بعد وفاة والدي رحمه الله ، وذلك في سنة
اثنتين أو ثلاث وثلاثين بعد الالف وسني اذ ذلك نحو ست عشرة سنة، وكنت
أرى من الهى جل شأنه عناية ولطفاً بي مع صغرى سني و وحدتي ، واتفق لي في
ذلك السفر أمور لا تخلو من غرابة :

(منها) انا لما سافرت من دمشق أول منزل كنت راكباً بغلة وتقدمت مع جماعة

في ارائل الحاج وجمالنا كانت وراء، وكان لنا رفيق ومعه عبد صغير هندي وكان معي سكين ف وقعت مني واتفق ان عبد ذلك الرجل نام على ظهر الجمل فوقع فرأى السكين في ذلك المكان ، فأتى بها الي في المنزل وكان يعرفها وذكر القصة .

انا لما وصلنا الى مكان يسمى مبرك الناقه بين جبلين وهناك معبر ضيق لايمكن فيه المرور الا بقطار أو قطارين ، فتقدمت مع بعض الرفاق راكبين بغالا ونزلنا في مكان ننتظر الى ان يفرغ الحاج من ذلك المضيق، فأبطأ ذلك علينا فعزم رفاقنا على التقدم الى بلد يقال له العلا ، فسرت معهم ونسبت في ذلك المكان بعض الاشياء التي صحبتها في السفر ، ومن قاعدتهم هناك أنه كلما تعدى ذلك المكان جماعة يبركون الجمال الى أن يجتمع جميع الحاج ثم يسرون ، فاتفق مناخ جمالنا ليلاني ذلك المكان ولما جاؤا الى المنزل اتوا بما نسيته .

(ومنها) ان الشيخ محمد الحر سلمه الله كان حاجاً تلك السنة وحاج الشام قسمان مقاطرية وشعارة يمشون عن يمين الحاج وشماله ووراءه، فوقع مني شيء من آلات السفر في الليل ، فنزل الشيخ محمد يمشى وهو مع الشعارة فلقى ما كان ضاع مني وأتى به الي .

(ومنها) اني لما دخلت مكة المشرفة سبقت الحاج أنا واثنان راكبين بغالا من عسфан، فلما وصلنا الى مكة المشرفة ذهبنا الى الحرم لطواف العمرة وانا وحدي، فدرت اولاحول البيت الحرام حتى عرفت الاماكن المعهودة التي ينبغي معرفتها وقت الطواف ، ثم أردت ان شرع في الطواف واذا رجل ممن هناك يطوفون الناس جاء لي وقال انا طوفك ، فقلت له انا رجل من اهل الشام وسبقت الحاج الشامي وما معي شيء من الدراهم أعطيك اياه ولا عندي شيء سوى ماانا محرم به فان كنت ترضى أن تعلمني بغير شيء والافسائر كنى أطوف لنفسى ، فجعل

ينازعني ويتكلم بكلام خشن ، فبينما نحن فسى ذلك اذ أقبل رجل ف جذب
ذاك وقال له أتركه يطوف لنفسه انت تريد تعلم هذا الطواف ، هذا وأبوه من
قبله بعلمان مائة مثلك الطواف أو قال معنى هذا اتركه يطوف ، فتركنى وطفت
كما اردت .

(ومنها) انا لما رجعنا من مكة المشرفة وكان المنزل بداراً وهي ما بين مكة
والمدينة، فلما طلع الصبح وكان معي رفيق واحدراكب حماراً، فنزلنا في فسحة بين
قطارات الحاج ، فتوضأنا وصلينا الصبح وكان معي سيف ووضعته حال الصلاة
على الارض والحاج ماش عن يمين ذلك المكان ويساره، فركبنا ونسيت السيف
وكان بيننا وبين المنزل ما يقرب من نصف فرسخ، فوصلنا وضربنا الخيمة فخطر
بيالى ذلك الوقت السيف ، فقلت لرفيقي تعال نركب ونذهب الى ذلك المكان
فان رأينا السيف والا تفرجنا على الحاج ورجعنا ، فقال هذا عبث، قلت اركب
معي فركبنا وسرنا حتى وصلنا الى قريب ذلك المكان فرأيت السيف من بعد
مكانه والحاج ماش من الجهتين، فقلت له أسرع بنا لئلا يستبقنا احداليه ، فأسرعنا
وأخذنا السيف والناس ينظرون الينا ويتعجبون من ذلك .

واتفق لي مرة أنى في أوائل الامر كنت أدرس شرح اللمعة ، فمرت عبارة
فيها لصدوقان، فسألني من يقرأ الصدوقان من هما فقلت له محمد بن بابويه وأخوه
وكان ذلك غلطاً منى ، فرأيت تلك الليلة في المنام جدى البرور الشهيد الثانى
وهو يقول لي يا ولدى الصدوقان محمد وأبوه .

و كنت سميت سعيماً زائداً على ان يرسل الي ما بقى من الكتب فى بلادنا ،
فما اتفق ذلك على طريق بغداد ، فأرسلت الى مكة وبقيت مدة بسبب انقطاع
الحاج فبدلت لرجل مهما أراد منى ان اتى بها و كنت فى انتظار خبر يأتينى لما
قرب مجيء الحاج ، فرأيت ليلة فى المنام ان رجلاً جاء الي ومعهُ طبق وفيه صدر

آدمى مع اضلاعه ، فسألت منه ما هذا؟ فقال هذا صدر الشيخ زين الدين جدك ،
وفي يوم تلك الليلة وصل الي خبر بأن ذلك أتى بالكتب وكان فيها كثير بغير جلود
وبعضها لحقه تلف من كثرة النقل والتحويل .

ورأيت مرة في المنام وجماعة آخذوه ، فسألت الى اين يأخذونه؟ فقالوا
يريدون قتله ، فقلت قاتلهم الله ما كفاهم القتل الاول حتى يقتلوه مرة أخرى ،
وبعد ايام جاءنى خبر أن اكثر الكتب التى بقيت في البلاد تلفت ونهبت . وكل
هذا من كراماته قدس الله روحه .

ومن غريب ما اتفق لى انى لما عزمتم على السفر من اصفهان الى مكة المشرفة
بعث بعض كتب كانت عندى خفية من غير أن تشتهر ذلك ، فجاءنى في اليوم الثانى
رجل خصي اسمه خواجه التفات وكان من توابع زينب بكم بنت الشاه طهماس
رحمهما الله ، فقال أريد أن تخبرنى هل بعث شيئاً من كتبك فى هذه الايام ،
فقلت له أخبرنى عن سبب سؤالك حتى اخبرك . فقال : أرسلت الي البكم في
هذا الوقت تطلبنى ، فلما ذهبت اليها قالت في هذه البلدة رجل اسمه الشيخ على
من أولاد الشيخ زين الدين؟ فقلت : نعم . فقالت : رأيت هذه الليلة في المنام الشاه
عباس وهو يقول مامعناه ان هذا الرجل يجىء الى بلادنا وكنا نطلب اباه فلم يقبلوا
أن يجيئوا الى عندنا وتصل حاله الى أن يبيع كتبه وانتم موجودون ، فلما سمعت
منه هذا أخبرته بالواقع وهو أنى بعث الكتب من غير اظهار لذلك .

ولما سافرت الى البلاد المعلومه لاموراقتضت ذلك لاعلى وجه الجبر واكلت
من مشتبهاتها وسلكت غير ما سلكه آبائى رحمهم الله في ذلك بان عنى ذلك الفيض
والصلاح الذى كان في اوائل السن ، ومن تساوى يومسأله لهنه لمغبون فكيف
بترجيح الاول على الاخر ، فكنت ككر كى تصغر فانكسرت رجل الدنيا ورجل
الآخرة ، والمرجو من عفو الله وكرمه حسن الخاتمة .

ولما توجهت مرة ثانية من تلك البلاد الى مكة المشرفة اتفقت لى أشياء
ببركة الحج والزيارة .

(منها) انه بلغنى ما بين اصفهان والبصرة أن رجلا من بلادنا مع الحاج قال:
انا مسافر الى مكة بقصد أذى فلان في مكة واشاعة أنه كان ببلاد العجم وانه كان
يفعل كذا وكذا، فضايق صدري لذلك، فلما كنا ببلديسمى بالدورق كنت جالسا في
الخيمة اذ مر علي فناديته وقلت له: بلغنى انك قلت كذا وكذا. فقال : نعم وسترى
ما أفعل . فقلت : موجب هذا ما هو ؟ فقال كلاماً حاصله : انك ما أعطيتنى شيئاً
في اصفهان وانا أريد افعل بك هذا. فقلت : اسأل الله ان يدفع عني شرك ، فلما
قام من عندي وذهب الى مكانه حم وبعد أيام قليلة وصل الى البصرة وتوفي بها
وكفى الله شره .

ووقع لي نحو ذلك في مكة ومنى من رجلين وكان ذلك لولم يدفعه الله عنى
موجباً لتلف النفس بل ربما سرى الى تلف أنفس ، ودفع الله ذلك ونقل ذلك
يخرج الى التطويل ، وكان ذلك من بركة حج بيت الله الحرام .

(ومنها) ما اتفق لي في ذلك السفر ، وهو انا لما خرجنا من بغداد متوجهين
الى اصفهان كان معنا ثلاث جوارى وحرم غيرهن ، فوصلنا الى منزل يقال له
بعقوبا وبه رجل من توابع الحاكم لثيم معاند يأخذ على كل من الجارية والعبد
أشرفيين وعلى الجمل أربع عباسيات سوى الاهانة والضرب ، فعبرنا هناك شطاً وهو
جالس على شاطئه ، وكلمنا طلعت امرأة من السفينة ينظر الى يدها يعلم أنها جارية ام لا
فركبنا فى السفينة فلما قربنا من الشاطئ جاء اليه رجل بشيء فقام مغضباً وركض
وبيده العصا ، فخرجنا من السفينة وضربنا الخيمة ووضعنا الجوارى وراء الكجاوات ،
فأرسل امرأة تتفحص في الخيام وتنظر ، وكنت خارجاً فلما جئت أخبرونى
بأن امرأة كشفت طرف الخيمة ورأت جارية واحدة ثم بعد ساعة جاء ذلك الرجل
وقال : كم عندكم جارية ؟ قلنا : واحدة ، ثم راح الى خيمة أخرى وفيها امرأة

وعندها عبد فقالت له : ان كنت ادلك على ثلاث جوارى ماتأخذ منى شيئاً على
عبدى . قال: نعم . قالت له : في تلك الخيمة - وأشارت الى خيمتنا وارسلت
زوجها معه يدله عليها، ولما قلنا له عندنا واحدة خفنا ان يظهر الخلاف وبحصل
منه اهانة عظيمة، فقلت للجمال: حمل كجائتين على جمل ونركب مع كل واحدة
من حرمنا جارية والايحصل علينا وعليك ضرر عظيم ، فقبل ذلك ووضعناهما مع
امرتين ، فجاء ذلك الرجل مع زوج المرأة فمارأى الا واحدة ، فضرب زوجها
ضرباً عنيفاً وذهب الى عندها واخذ العبد وقال : علي تكذابين . فقالت له : قد
أركبوها على جمل مع امرأتين وارسلوا الجمل وحده أولانم شرعوا في تحميل
الباقي ، فغضب وطلب فرسه وركبه وركضه ومر على ذلك الجمل وأعماه الله
عنه وسار نحو فرسخ ووصل الى من هناك من القافلة وفتش جميع الخيام فما
رأى شيئاً ، فرجع ومر على ذلك الجمل وهو ماش قبل أن يصل الى القافلة
مرة أخرى وأعماه الله عنه ، فرجع الى المرأة واخذ العبد وبعد تعب زائد
اخذ منها نحو عشرة قروش جريمة حتى اعطاها العبد ، وكانت اماكن الاخذ
في كل منزل الى الحدود بغداد وتنفق لنا نحو ذلك ولم نخسر شيئاً بتوفيق الله
سبحانه .

ولما وصلنا الى شهربان كانوا يأتون ومعهم امرأة يدخلونها الخيام ، فلما
وصلوا الى خيمتنا قالوا هذه اول ما ابتدانا بها ولم يكن دخلها منهم احد والباقي
نحو هذا .

وهذا الحقيق مضت اكثر أوقاته في بلاد الغربية مكدر العيش محزون القلب
ولم يحصل على شىء سوى الندم ، وكنت مع هذا مشغولاً بالمطالعة والبحث
والتدريس ولم يكن عندي كتب احتاج اليها ، فكتبت مما احتاج اليه مايزيد عن
سبعين كتاباً .

واتفقت لى برهة من الزمان كتبت فيها حاشية على شرح اللمعة مجلدين ،
و كنت شرعت فى شرح على أصول الكافى ظهر منه مجلد الى البياض ولم يتفق
تبييض بقية المسودات ، وجمعت هذا الكتاب الذي اكتب فيه الان ، وكتبت
كتاباً فى الرد على من شنع على علماء الشيعة من المتصوفة الحائدين عن طريق
علمائنا وانتصر لملاحدة المتصوفة سميته السهام المارقة من أغراض الزنادقة ،
و كتبت رسالة فى الرد على ملا محمد امين الاسترابادي وتشنيعه على علمائنا
وتكفيره اياهم من غير مادة له تقتضي معرفة مرادهم وهى فى اوراق متفرقة لم
اجمعها بعد ، وحواشى على معالم جدى رحمه الله لم يتفق ترتيبها، وحواشى على
من لا يحضره الفقيه كذلك ، و كتبت كتاباً جمعت فيه رسائل كثيرة فى فنون شتى
وفوائد وأشعاراً وحل احاديث وغير ذلك يقرب من اربعين الف بيت ، ومثله
كتاب آخر يقرب من اثنى عشر الف بيت ، ومثله كتاب آخر يقرب من خمسة
الالف بيت ومجاميع آخر .

وكان مولدى فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشرة وأربع عشرة بعد الالف.
وجدتني ام والدتى بنت المرحوم المحقق الشيخ على بن عبد العالى
الكركى قدس الله روحه ، ادركتها وهى طاعنة فى السن وانا ابن نحو تسع سنين
وقت وفاتها ، وربما قاربت من التسعين فما زاد ، وكانت على غاية من الصلاح
والتقوى والعبادة ، أوقاتنا مصروفة فى تلاوة القرآن والأدعية وغيرها ، رحمها
الله تعالى وكانت بى رؤوفة جداً وعلي عطوفة .

ومما شجاني فى هذه البلاد وحرم اجفانى لذيد الرقاد واضرم النار فى
احشائى وزاد مع ذل الاغتراب محنتى وحزنى وبلائى ، وجرعنى غصصاً تضيق
عن حملها الجبال ويتصرم لها القوى من حبال الاحتيال ، وسقانى كأس مصبرة
واظلم ليلتى بعد ان كانت مقمرة ، وأذوى غصنسى بعد النضارة وأورثنى حسرة

تتعنت لهاصم الحجارة وأداب جليد جلدي واذكى النار في فؤادي وكبدي
 وشفى في مبعضى وحسدي وكدر مصادري ومواردي ، فرجعت خائباً من مطالبى
 ومقاصدي ، وهدد القوى منى وكانت ضعيفة فلم يبق منها في الحقيقة الا اسم ،
 وأعقبني احوالا كضرب من الجنون لابل هي الجنون ، وجرت مدامعى ليلاً ونهاراً
 وعشبات وأسحاراً عيوناً من العيون ، فصارت الدموع عيونها العيون والعيون
 عيونها الدموع ، وحرمت لذة القرار والهجوع ، وجفا أجفانى الوسن وصار
 حليفى ونديمى الوجد والنوح والحزن ، فراق ولد كان قرّة عينى وثمرّة فؤادى
 وافلاذ كبدي وسواد ناظري ونتيجة عمري وفذلكة دهري وانيس وحشتى وجليس
 وحدتى ومسكن فؤادي وذخيرتى من طارفى وتلاذى :

ليس ما بى من السقام عجيباً عجبى من فراقه وبقائى

لو كنت ممن يفتدى لفديته بسواد عينى بل سواد ضمائرى

فارقته فالعين عين بعده والقلب قلب ، فالعين لا يرقى لها غرب كان العين

غرب ، ما كنت أحسب اننى ابقى وظهري بعد احبابى اجب .

والله ما طلعت شمس ولا غربت	الا وأنت منى قلبى و وسواسى
ولا جلست الى قوم أحدثهم	الا وأنت حديثى بين جلاسى
ولا تنفست محزوناً ولا فرحاً	الا و ذكرك مقرون بأنفاسى
ولا هممت بشرب الماء من عطش	الا رأيت خيالاً منك فى الكاس
يا سادتى هل يخطرن ببالكم	من ايس يخطر غيركم فى باله
حاشاكم ان تغفلوا عن حال من	هو غافل فى حبكم عن حاله
يا كوكباً ما كان أقصر عمره	وكذاك عمر كواكب الاسحار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه	فعلاه قبل مظنة الابدان
وهلال أيام مضى لم يكتمل	بدرأ ولم يمهل لوقت سرار

ابكيه ثم اقول معتذراً له وفقت حيث تركت الام دار
 جاورت اعدائي وجاور ربه شتان بين جواره و جوارى
 كان لم يمت حي سواه ولم تنح على احد الا عليه النوائح
 وكان ابتداء الذي بي مجوناً فلا تمكن أضحي جنوناً ، وكنت اظن الهوى
 هيناً فلاقيت منه عذاباً مهيناً ، وكيف لا يذهب لبي ويشتعل من نار فراقه كبدي
 وقلبي ولم أره من أول عمره الى آخره يميل الى لعب أو ينظر الى غير أدب ،
 لم يرفع طرفه الي اذا كلمني وبتلجلج لسانه بذلك حتى لا أكاد أفهم ما يريد ،
 ولم يطلب مني شيئاً بغير واسطة ، وكان منذ كان سنه نحو عشر سنين معتاداً لقيام
 الليل وصلاته وبنه النائمين للصلاة ، ويحیی جميع ليالي شهر رمضان بالعبادة
 والتلاوة والدعاء ، ولا يشكو الى احد مع كثرة عباله وتفطيري عليه في الجملة في
 المخرج ليعتاد القناعة ، وهذا مما اذا تذكرته كدت اذوب ندماً واسفاً ، ان جلس
 مع أحد لم يبتده بالكلام حياءً وحجاباً ، عمر نحواً من اثنتين وعشرين سنة
 وقرأ في هذه المدة القصيرة من الفقه علي الالفية ومختصر النافع والشرائع وكتبهما
 بخطه وشرح اللمعة وكتب حواشيه التي كتبتها عليه مفردة ومدونة ، ومن النحو
 شرح الاجرومية وشرح الفطر وشرح الفية ابن مالك وكتبهما بخطه ، وقرأ
 مغنى اللبيب على غيري ، وقرأ علي من الحديث من لا يحضره الفقيه بتمامه
 وكتب حواشيه التي علقتها عليه وسمع طرفاً من التهذيب ، وقرأ علي من الرجال
 الخلاصة وكتاب الدراية وكتبهما بخطه ومعالم الدين بعضها عندي وبعضها عند
 غيري وشرح الشمسية ومختصر التلخيص واكثر المطول وشرح التجريد و خلاصة
 الحساب ورسائل اخرى في الحساب وتشريح الافلاك وطرفاً من شرح الجفميني
 في الهيئة وقرأ اكثر تحرير اقليدس وكتبه بخط حسن وكان يثبت اشكاله من
 أول مرة ، وشرع في تفسير القاضي مع كتابته ، وقرأ حاشية الخطائي ووصل

في حسن الخط الى مرتبة عالية ، وكان يجداول الكتاب من غير معلم ويجلده من غير معلم ، فاذا رأته اقول له يا ولدي لاي شيء تخرج هذا المخرج على هذا فيقول انا جلده وجدولته ، ورآنى اعمل وقت ساعة فتعبت في تصحيحها فرأته عمل ساعة وساعتين وثلاثاً واربعاً وثمانياً ، وكان اذا رأى شيئاً هياً اسباب عمله وعمله .

ولما كان ابن نحو ثمان سنين سألتني فقال : الولد قبل البلوغ يدخل الجنة؟ قلت : نعم. فقال : ادع الله أن يميّتي وانا صغير لادخل الجنة. قلت له : والكبير اذا كان صالحاً يدخل الجنة ايضاً .

ووصل الى هذا السن ولم يجتر ان يسألني في اثناء الدرس حياء ، لكنى كنت اذا رأيت وجهه يتقبض عند التقرير أراجع المسألة فأرى اني قررتها على غير وجهها او انه لم يفهمها فأعيد تقريرها على غير ذلك الوجه أو عليه مرة اخرى فاذا فهمها تهلل وجهه .

وكنت أظن اولاً أن قلة كلامه عياً عن الكلام حتى اذا شرع في قراءة درس أو مقابلة كان لسانه امضى من السيف القاطع لم أسمع منه غيبة لاحد ، وكان يتألم مما يدخل الينا من وجوه المعاش ، واذا أردت ان اراه في ليالي شهر رمضان وسمع صوتي يرفع كتابه وقرآنه وسجاده ، فاذا دخلت عليه أقول له يا ولدي هذه ليالي عبادة وتلاوة وانت تجلس هكذا فينكس رأسه حياء ولا يجيبني ثم تخبرني زوجته بعد انه هكذا يفعل .

رزقه الله اولاً ذكراً ، وتوفي وهو ابن ايام وكنت ابكي عليه بكاء كثيراً وهو قليل البكاء يظهر عليه أثر الرضا بحكم الله ، ووجهه الله سبحانه بعده ثلاث بنات وكلما جاءت واحدة يظهر منه البشر ويسلى زوجته بأن ثوابنا صار اكثر ان طلبت احداهن منه شيئاً اورآها محتاجة اليه قام مسرعاً وذهب الى السوق واتى

به ، لم يطلب مني ركوب دابة قط مع وجودها وعدم احتياجي اليها حياء مني ،
ولا طلب خرجه المقرر الا بالارسال مع جارية أو ولد صغير . و كنت اذا أوصيته
ان لا يسرف يسكت وان اجابني يقول انت عندك عيال وعندي عيال فقس هذا على
هذا فأنظر فاذا هو أقل مما ذكر ، وغير ذلك مما لو عددته من صفاته الحميدة لطال .
ولما آن ان ينتقل الى جوار الله سبحانه ورضوانه ذكر لي أنه يريد زيارة الرضا
عليه السلام فقلت له : انا لا أطيق مفارقتك وان شاء الله أسافر معك في وقت آخر ، فقال
لي بعد هذا : قد تفألت في القرآن فظهرت هذه الآية « فلن أبرح الارض حتى يأذن
لي ابي او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين »^(١) فقلت له : لا آذن لك فى هذا
الوقت خوفاً عليك ، وبعد ايام قليلة مرض وبقي ثمانية ايام واختار له ربه دار
البقاء ، فحكم الله سبحانه له بارساله الى المشهد المقدس وبقيت حسرته في قلبي
ما دمت حياً ، فان الله وانا اليه راجعون ، وارجو من كرمه ان يعوضني صبراً جميلاً
واجراً جزيلاً .

وبعد مدة رآه ابن عمه فى المنام وانه جاء الى بيتهم ودق الباب فقال :
فخرجت اليه فرأيتة راكباً فرساً حسناً ، فقلت له ادخل فقال الان بيوتكم لاتعجبني
وأنا فى بيوت من اللؤلؤ والجوهر ، ولكن جئت أخبركم ان عندى كتاباً عارية
لرجل اسمه ملا افضل فاني لم اوص به ، وعندي ستة عشر هزاراً فى صندوقي ،
فأرسلت من فتح الصندوق واذا فيه كتاب الرجل المذكور وستة عشر هزاراً ،
وهذا دال على صحة المنام .

كان مولده فى آخر ساعة من نهار الثلاثاء ثامن عشر ذى الحجة سنة ست وخمسين
بعد الالف ، ووفاته فى الحادى والعشرين أو الثانى والعشرين من ذى الحجة
سنة ثمان وسبعين والالف ، واسمه حسين .

(١) سورة يوسف : ٨٠ .

وكان له اخ اسمه محمد توفي قبله بنحو سنتين وسنه نحو ثمان سنين ،
وكان زكياً فظناً اختار الله له دارالبقاء ، فجاءت هذه الحسرة فخيبت على تلك.

فراق اتى فى اثر هجر وما اذى بأوجع من كلم اصاب على كلم
حالت لفقدانهم أيامنا فغدت سواداً وكانت بهم بيضاً ليالينا
ان الزمان الذي قد كان يضحكننا بقربهم صار بالتفريق يبكيننا

والله المستعان، والمرجو من كرمه ان يمن على هذا الضعيف بحسن الخاتمة
والصبر على هذه المصائب والاجر عليها .

ولقد كنت فى اوائل عمرى اتعاطى نظم الشعر ، وكنت كلما نظمت شيئاً من
قصيدة وغيرها تطلب نفسى ما يكون أعلى طبقة من ذلك النظم ، وكنت لذلك
لا أثبت ما نظمته وبقي الان فى خاطرى بعض أبيات أثبت منها ما يحضرنى فى
وقت الكتابة ليكون تذكرة ، فمنه من قصيدة رثيت بها والدي محمد الاول الذي
رثاه أخى طاب ثراه وكان سنه نحو أربع سنين وكانت تظهر منه امور غريبة
نقل لى بعضها وانا اذ ذاك غائب عنه ، وهذا مما كان سبباً لتأثر اخى رحمه الله
واحتراقه عليه فرثاه بما تقدم ، وأول قصيدتى :

عرفت الليالى غثها وسمينها فسيان عندي سهلها وحزونها
فلا بروه يرجا جريح سهامها ولا داؤه بلغى دواء طعينها
اذا وهبت ثمدا السرور شمالها على غلظ غالته عمدأ يمينها
(منها) :

قوافل احزان فؤادي مناخها وانهار أشجان عيوني عيونها
تقر عيون الشامتين فلم يكن لنفسى شيء فوق ما بى يمينها
(ومنها) :

وماام خشف لم تجد طول عمرها سواه و لسم تظفره نجل بعينها

اضربه جرا الهجر فأصبحت
فلاح لها ماء فلما تعرضت
بأعظم منى لوعة يوم خبروا
فيا ليت سمعى صم قبل سماعه
فقد كان للعين القريحة نورها
على حاله فيها يجن جنونها
له نفسه واقته ثم منونها
بأنك فى تلك الفلاة دفينها
وباليت نفسى قبله حان حينها
فمذ غاب عنها ساورتها شؤونها

هذا ما حضرنى منها وقت الكتابة وهى طويلة . ومن مرثية له ايضاً ذهب من

خاطرى اكثرها أولها :

ما ان تعرض يوم ذر شارقه
ولا تذكرت اياماً بكم سلفت
شلت يمين النوى والبعدكم رشقت
فكم اجرع منه للاسى غصصاً
لو كان ما بى بلبنان لاوهنه
فلى باحشائه قلب عدمت له
(منها) :

لاتحسبوا رغبة عنكم اقامته

وانما زمن عاقت عوائقه

ومن قصيدة رثيت بها اخى الشيخ زين الملة والدين قدس الله روحه يحضرنى

منها هذا :

ألا يانسى ما قاصداً أرض لبنان
وقف وقفة ما بين اهلى وجيرتى
وبث لديهم لوعتى وصنابتى
وقل لهم ان الغريبين قد قضى
وحيداً كثيراً لا خليل يعينه
تحمل رعاك الله من بعض اشجاني
وقومى واخوانى وتربى واخلانى
وحزنى على من كان عينى وانسانى
عظيمهما والحزن قد اسر الثانى
بعبرة ذى وجد وانه لهفان

و قل لربوع أقفرت ومنازل
مضى اهل ذلك العلم والفضل والتقى
فتى كان يخشى الله سرأ وجهرة
ومما نظمته فى ايام الشباب :

لو تحمل بعض ما لقيت الصم
أوبت لكم قليل وجدى أحد
ومما نظمته :

يا من لفراقه طغى بلبالى
لو مثل شخصى لك من شاهدى
ولما توفى مرزا حبيب الله رحمه الله نظمت تاريخاً لوفاته ولنصب ولديه :

وفى حبيب الله امر حبيبه
فبكته أندية المكارم والعلى
قد كان للايتام والضعفا اباً
فلفقده قد جاء تاريخاً اب
لكن بحمد الله خلف بعده
فكلاهما علما زاد علاهما
فلتهدا الزفرات وليكن البكاء
فالجود حى و المكارم غضة
ولما سافرنا الى العراق صحبنا بعض من اقتضى الحال مدحه بهذه الايات :

هو اى وشوقى لا لنعم ولا سعدى
همام نسينا عنده ذكر حاتم
كريم سخى اربحى سميدع
اذا ما تثنى السمهرى بكفه
ولكن لمن حاز المكارم والمجد
و معن وقس فى الفصاحة ان عدا
سما فى ذرى العليا دون الورى فردا
رايت بروقاً لا تطيق لها عدا

حوى الجود كلما بل هو الجود نفسه
وان وردت اسيافه جيد ضده
وتلقاه حراً فى الكريهة والندى
فها بعض أبيات عجاله وقتها
مدحتك تأكيداً لصدق مودتى
وكتبت الى آخر في ذلك السفر :

اذا قيل لي اين السماحة والندى
فتى حسنت اخلاقه وصفاته
ولا عيب فيه غير أن قباهه
فلا زالت الامل منقادة له
وربع المعالي قلت يحيى بن هاشم
الى أن رقى أوج العلى والمكارم
اذا ما أقيمت أمها كل قادم
ولا برحت أيامه كالمواسم
ولما من الله تعالى بولدي محمد الاول نظمت له تاريخاً :

قد جاد مولاي على عبده
محمد لازال مشيراً اسمه
تاريخه اسأل مولاي أن
بعبده والله نعم الجواد
محمدأ من فضل رب العباد
يسلك به سبل الهدى والرشاد

ولما قرب رحيلنا من دمشق الى العراق كتبت كتابة ومن جملتها هذه الايات :

باق على الود وان شطت
صب لفاكم منتهى قصده
سميره اشجاناه والبكا
يرجو من الله اجتماعاً بكم
الدار به أو بعد العهد
انى وقد اتلفه البعد
ودأبه الاحزان والوجد
وهو المنى والسؤل والقصد
ولي قصيدة مطلعها :

خلى من البلوى فتى لم يفارق
وناج من الشكوى امرأ لا يهيجه
فكيف وقد شابت عليه مفارقي
ترنم طير أو تألق بارق

ومما نظمته :

يا سادة جسمي نأى عنهم
اني وان دهري اساء واجتري
وجدى وجدى وهو اى الهوى
سلاف تذكاركم احنسى
ويحضرني الان مطلع قصيدة :
يا دهر سؤلى الردى أبدى
لم تبق لي خلا استر به
فرقت شملا كان مجتمعاً
رغماً وقلبي عندهم باقى
بشت ملموم واخلاق
فيكم وميثاقي وميثاقي
ممزوجة من دم آماقي
كم ذا بغدري تبذل الجهدا
وتركتني بين الملا فردا
وتبت وصلا كان مشتهدا

وكتب الي الشيخ الاجل شيخنا الشيخ محمد الحرفوشي رحمه الله بهذه
القصيدة من دمشق الشام الى جيع بهنيني بالولد المقدم ذكره وهو محمد الاول :

هوا مقلتي ان زارني طيفكم اغفا
نأى اصطباري منذ بنتم وصحتي
ترحل قلبي معكم فتمطفوا
وقد كنت ارجو بعده عن جوانحي
وفي موقف التوديع ابصرت حالة
فمن كبد حري ودمع مرقق
وما انس لانس الزمان الذي بكم
ومنكم على الاكوار كل محجب
يحرك من داء الهوى كل ساكن
فلا در در البين كم بت غربه
واهاً لا يام مضيبي حميدة
وكيف يزور الطيف مشبهه وصفا
فلا غلتي تروى ولا علتني تشفى
عليه فقد زاد الغرام به ضعفا
فلما نأى عنى تذكركه الغسا
يرى دونها حاشاك اهل الهوى حتفا
حذاراً من الواشي ومن مهجة تلقى
سرت أنيق التفريق تستبق الطرقا
يفوق المهاطراً وريح الصبا لطفاً
ويضرم ناراً للصبا لا تطفى
على غرة جبل الوصال وما انكفا
قطفنا بها اللذات يانعة قطفاً

ومعهد انس ضم شملي بعبادة
مهفة الاعطاف مالت من الصبي
تضوع اذا فامت عنه او مابها
عقبلة حي لو تراعت لراهب
لاصباه منها نظرة اثر نظرة
ولكن من يهوى الدمى يتخذ له
سأصرفت نفسى عن غرام مبرح
وارحل عن دار بها الضيم لازب
واطوى بينت الارجية مفرداً
الى ماجد فرد الزمان مهذب
همام سري اريحي سميديع
امام أشاد الفضل بعد دروسه
عليم بما يأتي يكساد بفكره
له منطلق ماء الحجى منه صيب
متى ما علمت في الطرس منه أنامل
ترفع قدراً أن تحاط صفاته
ويزداد ما ازداد ارتقا تواضعاً
فيا ابن الاولى شادوا المعالي وارتقوا
ويا ابن الاولى حلوا مفارق دهرهم
تواصوا بما ينفي الدنية عنهم
هم بيت مجدلم يجد فيه منشدا الزمان
هم السابقون الاولون الى العلى

رشيقة قد تودع الازر الحققا
كما مال نشوان حسا قرقفاً صرفا
عبير وتولى الشمس اذ تنجلي كسفا
تردى رداء النسك يطلب الزلفى
وحل به ما لا يطيق له صرفا
ملابس سامت لابسيها بها خسفا
وامنع طرفي ان يرى عاده وطغى
واضرب وجه الارض معتسفاً عسفا
موامي لا تخفى عليها وقد تخفى
كريم غدا دون الانام لنا كهفا
جواد المعتل الرجا صاح قد أشفى
وهذب ما استعصى على الفكر واستخفى
يرفع عن مكنون غيب له سجفا
وافيته للوافدين غدت وقففا
انت در رفى النطق يرصفها رصفا
ولو ملا الكتاب في وصفه الصحفا
وهاتيك منه شيمة أبدأ تلفى
الى ذروة المجد التي اعجزت وصفها
بما اصطفوه من ما أثمر عطفها
وما فيه كسب الحمد عن سلف خلفها
على طول المدى أبدأ زخفا
بعزمة صدق غادرت ذا العلى خلفها

وهم عمر واربع الكمال الذي عفى
مياه العطايا حين هزوا لها عطفنا
أبت كل يفنى وما ذكره ينفى
نقاب التباس عنه أعبى الورى كشفا
واوفرهم فضلا واسمهم كفا
بدا غرة في جبهة المجد مستصفا
ولاح محياه الذى احرز الظرفا
بها اليمن والاقبال حين بدا احتفا
بحمد الورى اياه في الجهر والاخفا
شقيقك فرد الدهر ظل الورى الاضفى
مؤمل من رجى وكان من استكفى
من الناس ساوى في عزمته ألفا
لذلك مهما رام منه له وفى
صروف سيوفاً تذهب المخطب والصرفا
بنو عصره حتى استكانوا له ضعفا
تجرر ذبل القخر في سعيها زفا
على مهل تسعى وما شمخت أنفا
وجانبت الاقواء والردف والاكفا
تمنوا بأن صيغت فكانت لهم شفا
اليه صروف الدهر قد أقبلت زحفا
مر فه بال عيشك الارغد الاضفى
وما سجت ورقاء قد ذكرت ألفا

هم كرعوا من منهل الفضل وارتووا
هم القوم سحت من بطون اكفهم
هم بذلوا في طاعة الله انفساً
هم كشفوا عن وجه كل خفية
تهن بهم يا أكرم الناس محتسداً
ولا زلت مسروراً بمولودك الذى
أهل فواقي البشر عند ولادة
وأشرق شمس الفضل منه بطلعة
تفألت اذ قالوا تسمى محمداً
ودام لك العز المقيم بماجد
عماد البرايا معدن العلم والحجى
متى تأته تلمم به تلف واحداً
هصور يخاف الدهر سطوة بأسه
ويطبع من آرائه ان عرا الورى
جرى في العلى طلقاً تقصر دونه
ودونكها بكراً اليك زففتها
انتك على بعد المزار ضئيلة
حوت من جميل المدح أفضل حلية
يلذ بها سمع الكرام وربما
ولولاك لم بسمح بها خاطرى الذى
ودم حاوى الذكر الجميل مسدداً
وعش سالماً ماجاد روضاً غمائم

وكتب رحمه الله .

وارتجالاً تاريخه جاء دوماً هو في السعد والسرور المقيم
وبخط جدى المبرور الحسن ابى منصور رحمه الله ماصورته : ومن قصيدة
للفاضل السيد رحمت الله النجفى سلمه الله يرثى بها والدي رحمه الله أولها .

طرق المسامع طارق لا يسمع
والروح تزهرق لاتطبق سماعه
ذابت اسى فالدمع من ذوبانها
نعى الامام العالم الحبر الذى
رب التقى كنز الحجى علم الهدى
يا ايها الناعى رويداً انما
يا بومه ما كنت الا علقماً

فالقلب من تسماعه متوجع
والنفس من انفاسها تنقطع
هام يسح كمرزنة لا تطلع
بعلومه سمت الشريعة مهيع
لمن اهتدى والمقتدى المتورع
بهجاً تذيب اسحر وقلباً تفجع
يا بومه انت القبيح الاشنع

منها :

لله ذر أمسا اجل مصابه
جلت فجل بها المصاب وانها
طوراً تبوخ وفي الضمير دخانها

ومصيبة منها المصاب تخشع
نار الغضا حنيت عليها الاضلع
يرقى وطوراً تستشب فتلدغ

ومنها :

اشبيهنى اعنى التى فى ايكها
نوجى فقد هيجت حزناً كامناً
ما نحن ياورقاء فى حال سوا

بين الحمام فى الغباب تسجع
وصدعت قلباً كان لا يتصدع
فى الحزن بل حزنى اجل واوسع

ومنها :

للدن والدنيا انوح وانما
يا ظاعناً متمزلاً بدمائه

نحتى على الدنيا فخطبى اقضع
امسى لكائنات المنية يجرع

هذا لهذا تسابع ومشيح
بالقيد لاحام ولا مستشفع
حقاً اعز ملوكها والارقع
غضباً وما للشهب لا تنفشع
الدين لابل سيخها متوقع
الفضل الجزيل ووصله لا يقطع
اهل الفضائل تعفيه وتبتشع
ماحاولوا من ذى الجنابة ينجع
ناراً تاجح نورها يتشعشع
من دين احمد فهو بعدك مشرع
من جنة المأوى شدا يتضوع

حي و من الطافه متمتع
حزت الشهادة أم لفقدك أجزع
وجدأولست ارى التلهف ينفع

جد العزام به وماذا يصنع
اوذى جفاظ حقه قد ضيعوا
ان الردى لك عن قريب يصرع
واليوم قلبى آمن لا يفزع
بعد الشمس وشملنا يتجمع

لهفى عليك وحسرتى وتاسفى
لهفى عليك وقد غدوت مكبلا
ذلا تقادوانت عند ذوى النهى
ما للشوامخ لاتمور بأرضها
مستعظم مور الجبال لفقد زين
يا أيها الحبر الجليل ومن له
يا ايها العلم الذى بظهوره
ما ضرك الاعداء حقالا ولا
راموا خمودك حيث كنت عليهم
انى وقد احببت رسماً طامساً
نم لاجنح عليك في بحبوحه

ومنها :

وانعم فأنت لدى الاله منعم
أسر فى خطب اصابك اذبه
باللرجال لقد ضنيت تلهفاً

ومنها :

هل عارف ما حيله المضنى اذا
لله أى معظم قد صغروا
ماكان ظنى والظنون كثيرة
ماكان أخوفنى عليك من الردى
قد كنت آمل اندهرى يرعوى

ومنها :

فاليوم قد خاب الرجا وتنصت
لو كنت ذا قبر يزار ودونه
لقصدته ولثمت ترب ضريحه
هذا قليل من عبيد مودة
لذات عيشى حيث فات المطعم
بيض المواضى والعوالى شرع
وقطعت بيـدا لاتكاد تقطع
والحر يرضى بالقليل ويقنع
وبخطه ايضاً وللسيد عبد النجفى سلمه الله يرثى والدي رحمه الله .

لقد هوى من سما العلم والحكم
توى الامام الذى بث العلوم كما
آراه مشرقة في كل شارقة
ذاكبة الفضل والطلاب عاكفة
ألفاظه كنسيم الروض في لطف
كنز من العلم ينمو حين تنفقه
إذا البسراع نظاه يوم معظلة
وان ترى حمرة في الرمح يوم وغى
لزمت بسادر كم افنيت من عدد
وكم صرعت قروناً غير ضارعة
وكم رفعت مضافاً للهوان كما

نجم الهدى فبم التدليح في الظلم
بث النوال بيوم الجود والكرم
كالشمس تأتي على الاوهاد والاكم
به عطوف حجيج الله بالحرم
اولا كما ضممه اوحت على علم
فكم لبيب به اثرى من العدم
رأيت معنى أسود الغاب في الاجم
فانها خجلة من مرهف القلم
وكم نقضت بناء غير منهدم
وكم فلتت شيئاً صمصامة خدم
خفضت كل لبيب مفرد علم

[حديث صلاة الرسول الى القبلتين]

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضى الله عنه في الفقيه قال صلى رسول الله صلى
الله عليه وآله الى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشر سنة بمكة وتسعة عشر شهراً
بالمدينة ، ثم عبرته اليهود فقالوا له انك تابع لقبلتنا، فاغتم عما شديداً، فلما كان
في بعض الليل خرج عليه السلام بقلب وجهه في آفاق السماء، فلما أصبح صلى الغداة،

فلما صلى من الظهر ركعتين جاءه جبرئيل عليه السلام فقال له «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام»^{١)} الآية ، ثم أخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله فحول وجهه الى الكعبة وحول من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال ، فكان أول صلاته الى البيت المقدس وآخرها الى الكعبة - الحديث .

اقول : محل الاشكال في هذا الحديث قوله « حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال » ، والمعنى - والله أعلم - انه لما كان بيت المقدس الى جهة الشمال والكعبة الى جهة الجنوب كان مقام الرجال أولا أقرب الى بيت المقدس الذي كان قبلة ، ومقام النساء أبعد حيث ان الرجال يتقدمون النساء ، فلما حول عليه السلام وجهه حولوا وجوههم مع انتقالهم الى خلفه فصار الرجال مقامهم أبعد من مقام النساء باعتبار القبلة الاولى ومقام النساء اقرب من مقام الرجال باعتبارها ايضاً .

فان قلت : ما الذي دل على ما ذكرت من الانتقال مع التحويل . قلت : دل عليه قوله « حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال » ، ومن المعلوم المقرر تقدم الرجال على النساء وعدم جواز تقدم المأمومين على الامام . وروى محمد بن يعقوب رضي الله عنه بسنده عن الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام قال : سألته هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلى الى بيت المقدس ؟ قال : نعم . فقلت : كان يجعل الكعبة خلف ظهره ؟ فقال : أما اذا كان بمكة فلا وأما اذا هاجر الى المدينة فنعم حتى حول الى الكعبة . فهذا الحديث دال على كون بيت المقدس مقابلاً للكعبة .

هذا كله اذا كانت صلاته عليه السلام في وسط المسجد بحيث يبقى مع

التحويل لمكان تقف خلفه الرجال والنساء ، فلو كانت قريبة من طرف المسجد بحيث لو تحول من غير انتقال من موضعه لم يبق مكان للرجال والنساء خلفه كان المعنى انه لما حوله انتقل من مكانه الذي كان به متوجهاً الى الكعبة فصف الرجال خلفه والنساء خلف الرجال ، فصار مكان الرجال للنساء ومكان النساء للرجال ، كما اذا كان انتقاله الى ما وراء صف النساء فصار النساء مكانهن مكاناً للرجال وعكسه لتقدم الرجال عليهن .

وهذا الوجه اظهر من المقام ، وانتقاله عليه السلام يظهر من انتقالهم وقيام كل مقام الاخر . والله اعلم .

[نبذة من باب الاستخارة]

ومن ذلك نبذة أحببت نقلها من باب الاستخارة في القرآن بعد الجلالات :
أتانى رجل لا يعرفه ، فخرجت اليه فقال أريد استخارة ، فظهرت هذه الآية « يا ابراهيم اعرض عن هذا »^(١) فسألته بعد ذلك عن اسمه فقال اسمى ابراهيم .
وطلب منى آخر استخارة في القرآن الكريم ، فظهرت هذه « وما أنت علينا بعزير »^(٢) فسألنى عن الآية فأخبرته بها فتبسم وتعجب ، فقلت له : لاي شيء تفعل ذلك ؟ فقال : الاستخارة على رجل اسمه عزيز استخرت الله ان أجعله وكبيراً على ما يتعلق بى .

وكان رجل من الاعيان يطلب منى الاستخارة مكرراً ويرسل رقعة ويطلب الجواب بأنها جيدة أو غير جيدة ، فكنت اكتب له ذلك ، فأرسل يوماً يريد استخارة وكتب انى اريد ان تكتب لى الآية التى تظهر وترسلها مع الرسول ،

(١) سورة هود : ٧٦ .

(٢) سورة هود : ٩١ .

فظهر قوله تعالى « وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله »^(١).

وجاء الي رجل واراد مني استخارة على ولاية يريد السلطان ان يوليه اياها ، فقلت له : انا لا استخير على أمر غير مشروع . فقال : انا خائف من تلف النفس لو لم أقبل ، فظهر قوله تعالى « وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط »^(٢).

واستخار رجل على التزويج فظهر قوله تعالى « وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً »^(٣).

وظهرت غير مرة هذه الآية في امر التزويج « كلنا الجنة آتت اكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالها نهراً * وكان له ثمر »^(٤).

وجاءني اخوان يريدان السفر الى الهند ولهما خال في الهند وهو مشهور بالفسق وشرب الخمر ويريدان التوجه الى عنده، فظهر قوله تعالى « أما احدكما فيسقى ربه خمراً واما الآخر فيصلب »^(٥) الآية .

وكان رجل اعطى الحكومة على اليهود ، وكان يستخير مكرراً ويظهر له آيات تتعلق بموسى وهارون عليهما السلام وبني اسرائيل .

وظهر الاخر يريد الدخول على السلطان لغرض مهم ومطلب له عظيم « فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرقاً »^(٦).

وظهر لآخر في نحو هذا « رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري *

- (١) سورة الرعد : ٣٨ .
- (٢) سورة المائدة : ٤٢ .
- (٣) سورة الفرقان : ٥٤ .
- (٤) سورة الكهف : ٣٤ .
- (٥) سورة يوسف : ٤١ .
- (٦) سورة الكهف : ١٦ .

واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي»^(١) الآية .

ووقع لشخص مع زوجته خصومة من جهة جارية ، فاستخار على شراء جارية فظهر قوله تعالى « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » الى قوله تعالى « ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »^(٢) .

وكان قد وقع في الهند فتور زائد ، فاستخار رجل على السفر اليها فظهر قوله تعالى « أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود»^(٣) وبعد مدة قليلة جاء الخبر بذلك .

واستخرت لنفسي مرة على الخروج الى غير ما انا مقيم به ، فظهر قوله تعالى « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها »^(٤) .

واستخرت لرجل يريد الخروج ظاهراً ، فظهر قوله تعالى « ولو أرادوا الخروج لا عدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدین »^(٥) .

[اعراب بيت من قصيدة البردة]

ومن ذلك بيت في القصيدة المشهورة بالبردة ، وهو قوله :
ان لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلا والا فقل يا زلة القدم
وفيه اشكال من حيث ان الرفع لما تقدم فيصير المعنى ان أخذت بيدي فقل
يا زلة القدم أي أقل ذلك، وهذا غير المقصود من هذا .

(١) سورة طه : ٢٥ - ٢٩ .

(٢) سورة البقرة : ٣٥ .

(٣) سورة الهود : ٧٦ .

(٤) سورة النساء : ٧٥ .

(٥) سورة التوبة : ٤٦ .

أقول : انه خطر لي في توجيهه أوجه .

أحدها : أن يكون قوله « ان لم تكن » الخ بمعنى خذ بيدي فضلا والا فقل بإزالة القدم ، والنكته في العدول عن قول خذ بيدي الى الشرط للعدول عما هو في صورة الامر وان كان طلباً ودعاء ، كما تقول ان لم تقتل زيدا والافتلتك بمعنى أقتله والا قتلتك ونظير هذا قولك « ماقام غير زيد » ، فان ظاهر تركيبه نفي القيام عن غير زيد والمراد منه اثبات القيام له وحده .

الثاني : ان يكون جواب الشرط الاول محذوفاً دل عليه المقام ، وتقديره ان لم تكن في معادى آخذاً بيدي فضلا هلكت ، ونحوه كما تقول ان لم تدر كنى ، فالمعنى وان لم تكن اخذاً بيدي قلت بإزالة القدم ايضاً .

الثالث : ان يكون قوله « والا » تأكيداً للاول وان لم يكن اصطلاحاً ، والمعنى ان لم تكن في معادى آخذاً بيدي فضلا وان لا تكن في معادى آخذاً بيدي فضلا أقل بإزالة القدم . والظاهر ان قوله فقل مخاطبة لنفسه ، وذلك كما تقول ان لم تعطني كذا وان لم تعطني كذا مع كون ذلك شيئاً واحداً ، وان كان ترك الواو في هذا أنسب لكن مثله كأنه جائز .

[مكاتبة انشأها المؤلف]

ومن ذلك مكاتبة كتبها لبعض الاصحاب انشاء ، وهى : مولى موالى الدهر
روح جثمان الفخر ، انت المتفرد بالمعارف عقلا ونقلا الجامع لفنون المنطوق
والمفهوم شملا ، رأس الرئاسة الانفس بل روح حياتها مقناطيس قلوب الانفس
من كل جهاتها :

يكاد يحكيك صوب المزن منسكباً

لو كان طلسق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لولم يخن والشمس لو نطقت

والليث لولم يصد والبحر لو عذبا

ويا من أغنى بجميل خلافة عن التعرض لبيان حاله ، وخص بالشرف الشامخ

والشأن الرفيع البازخ وأقامت بباله العالى أنواع المكارم والمعالي :

فألقيت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر
شخص الانام الى صنيعك فاستعد من شر اعينهم بعيب واحد
يا كامل الاداب منفرد العلى والمكرمات ويا كثير الحاسد

رمت والثناء عليك كاخلاقك الغبر رياضى العبير والثناء يتألق من شمس
معارفك تألق ندى يديك فضفاضى الغدير في دولة ممتدة الرواق مشتدة النطاق
ثابتة الاوتاد شامخة الاطواد عالية المناد سامية المقدار ، ماسبح الله ملك ودار
بمشيته فلك ، وانى لم أرض بهذه الحصة اليسيرة من الثناء والسهم القليل من
الدعاء ، الابد اعتراف بالعجز عن عبارات تليق بشأنك ، ويدرك شأوها سامى
رتبتك وعلو مكانك ، وليس يزيد البدر حسناً وبهجة اطالة ذى وصف واطراء
مادح . كيف لا وأنت ثمرة الشجرة النبوية وشبل القسورة العلوية ، وحق على
ابن الصقر أن يشبه الصقرا . وكيف لا وانت شجرة فضل عودها ادب واغصانها
علم وحسب ، وثمرتها عقل وعروقها كرم ونيل ، تسقيها سماء الحرية وتغذيها
أرض المروة .

ثم المنهى الى الجناب العالى لازال محروساً من حوادث الايام وصروف الليالى ،
ولا برحت اغصان آماله مورقة وبحار سعوده واقباله معدقة ، وشموس فضله
وافضاله من افق التوفيق مشرقة ، ان هذا الداعى المخلص يهدى الى جنبه
جزيل السلام والدعاء وجميل التحية والثناء وخالص المودة والولاء ، والعين مع
تعظيمه مقدارها تقبل ما يهدى لها المرور مبتهلاً الى الله جل شأنه ان يطيل بقاء

تلك الذات محروسة من جميع الافات والبلبات في جد سعيد وعيش رغيد وامر
سديد بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين .

(مكاتبه اخرى انشأتها وكتبتها لبعض اعيان السادة) .

اهدى من تحف التسليمات لذلك الجنب العالى مابه يليق ومن لي بذلك ،
ومن جواهر التحيات ما يخجل عنده غوالى الجواهر وعوالى اللالى مما هو
به حقيق وانى لى بسلك هذه المسالك ، ومن غوالى الاثنية ما يفضح نشره ارج انواع
الغوالى بحيث يقابل به صاحب ذلك النسب العريق ومتى أقدر على التورط
في هذه المهالك ، ومن صوافى الادعية ما ينتظم في سلك دعاء الداعين من
الاولى والاخرى لتهب عليه نسمات القبول وتبعيض لا يليق بالعبء فكيف بالسيد
المالك ، وبالجملة :

فليس يزيد البدر حسناً وبهجة اطالة ذى وصف واطراء مادح

هذا وان تفضلتم بالسؤال عن احوال هذا المخلص فانه والله المستر بخير
داع لذلك الجنب يطول البقاء ودوام التوفيق وعلو الشأن وكتب الحاسد ورد
كيد المناوى والمعاند ، مبتهلاً الى الله سبحانه ان يذم عليه ما منحه من السعادة وان
يزيده من رفعة الدارين ما يتمناه منهما وزيادة انه جواد كريم .

[الارغام بالانف في السجود]

ومن ذلك ما ذكره الشيخ رضى الله عنه في التهذيب مؤيداً لكون الارغام
بالانف في السجود ليس بواجب وان تركه مكروه ، وهو قوله : والذى يدل
عليه على كراهيته مارواه احمد بن محمد بن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد
عن جعفر عن ابيه قال : ان علياً كره تنظيم الحصى في الصلاة ، وكان يكره أن
يصلى على قصاص شعره حتى يرسله ارسالاً .

اقول : محل الاشتباه في هذا الحديث قوله « وكان يكره » الخ ، ووجه كونه دالا على الارغام انه اذا ارسل شعره يكون ذلك فيما اذا وضع أنفه على الارض ونحوها ، فانه اذا فعل ذلك كان مرسلا لشعره ، بخلاف ما اذا سجد على قصاص شعره فان الشعر حينئذ يكون غير مرسل ، وكان سابقاً متعارفاً توفير الشعر من غير حلق ، فالمعنى فيه اظهر والله اعلم .

واستدلال الشيخ رحمه الله من حيث أن في الحديث لفظ « كره » ، وكان المراد بتنظيم الحصى عد الركعات بها فان ذلك قد يكون غالباً من باب الوسواس وفي بعض الاخبار من الشرك الخفى عد الركعات بالحصى . ووجهه أن فاعل ذلك يكون مستعيناً به ، فكأنه جعل له تعالى شريكاً يستعان به ، فلولم يتبع الوسواس لذهب ذلك عنه كما تضمنته أخبار ترك اطاعة الشيطان فيما يوسوس به وانه اذا رأى ذلك ترك صاحبه .

ويحتمل ارادة تنظيم الحصى عبثاً ، وهو بعيد وان قرب من جهة لفظ التنظيم . وما تقدم فيما اذا أمكن احصاء الركعات بغير نحو ذلك . ويمكن ان يكون مثل هذا لما كان أصله اطاعة وسواس الشيطان كان منهياً عنه ، فانه بعد ذلك ، قد يصل الى هذه المرتبة . والله تعالى اعلم .
وفي خبر حبيب الخثعمي قال شكوت الى ابي عبد الله عليه السلام كثرة السهو في الصلاة فقال : احص صلاتك بالحصى أو قال احفظها بالحصى .

[شرح بيتين للمتنبي]

ومن ذلك قول المتنبي في مطلع قصيدة .

فدالك من يقصر عن مداكا فما ملك اذا لا فداكا
ولو قلنا فدالك من تساوى دعونا بالبقاء لمن قلاكا

اقول : معنى البيت الاول ظاهر ، واما الثانى فان كان « يساوي » بالياء
المثناة من تحت فالمعنى انا لو قلنا يفديك من يساويك وفرض لك مساو لكنا
دعونا بهذه لمن يساويك ويكون بعيداً عن مرتبتك بكونه دونك فيكون القلا
بهذا المعنى ، واذا جعلنا المساوى فقط فذاك فمن لم نجعله فداء نكون قد اردنا
بقائه ، لانا اذا قلنا يفديك فلان واخترناه للفداء نكون قد تركنا غيره على حالة
البقاء فلم نزد له الفنا بالفداء له ، فيكون كالدعاء له بالبقاء لاستلزامه اياه استلزماً
خطابياً .

وعلى تقدير كون « تساوى » بالياء المثناة من فوق كما رأيت في نسخة فتحتمل
المعنى الاول ، الا ان الياء المثناة من تحت انسب بالمعنى الاول .
ويحتمل ان يكون المعنى انا لو قلنا فذاك من تساويه بمعنى المواسة
في مالك ونحوه دعونا ايضاً بأن من قلاك وابعد عنك ولم يكن ممن تساويهم
بان يكون باقياً ولا يفديك كما دعونا لك ، والدعاء له اما لانه غير موجود حيث
أن المساواة عامة لكل احد أو انا ندعو له بالبقاء لحرمانه مانع عليه ، فانه حينئذ
يبقى محتاجاً حيث لم يصل اليه فيضك عليه واحسانك اليه كغيره فتدعو له
بالبقاء على هذه الحالة لانه يكون بسىء الحال بدون ذلك .

ويحتمل معنى آخر ، وهو انا اذا فرضنا لك من يساويك فمع الحبر اياك
تدعو له بالبقاء حيث انه اذا فاته قريك يكون محروماً هذا الامر العظيم ، فبقاؤه
على هذه الحالة بقاء سهل كما قيل :

ومن صدعنا حسبه الصد والجفا ومن فاتنا يكفيه انا تفوته

ويحتمل معنى آخر ، وهو أن يكون من قبيل ما قيل في قوله تعالى « قل
ان كان للرحمان ولد فأنا اول العابدين »^(١) انه بمعنى التعليق على المحال ، وانه

(١) سورة الزخرف : ٨١ .

لو فرض هذا المحال كنت اول من يعيده والحال أن وجود الولد محال ، فالمعنى حينئذ انا لو فرضنا لك مساوياً كنا ندعوا لمن يهجرك ويبعد عنك ومساوياً لك محال وجوده .

[حديث صلاة جار المسجد]

ومن ذلك ما رواه الشيخ رضى الله عنه فى التهذيب عن محمد بن يعقوب رضى الله عنه بسنده الى زرارة قال : كنت جالساً عند ابي جعفر عليه السلام ذات يوم اذ جاءه رجل فدخل عليه فقال له . جعلت فداك انى جار المسجد لقومى ، فاذا أنا لم أصل معهم وقعوا في وقالوا هو كذا وكذا . فقال : أما لئن قلت ذلك لقد قال امير المؤمنين عليه السلام من سمع النداء فلم يجبه من غير علة فلا صلاة له . فخرج الرجل فقالوا له : لاتدع الصلاة معهم وخلف كل امام . فلما خرج قلت له : جعلت فداك كبر علي قولك لهذا الرجل حين استفتاك فان لم يكونوا مؤمنين . قال : فضحك عليه السلام وقال : ما أراك بعد الا ههنا يا زرارة فأى علة تزيد أعظم من انه لا يأتى به . ثم قال : يا زرارة ما ترانى قلت صلوا فى مساجدكم وصلوا مع أئمتكم .

اقول : معنى قولهم هو كذا وكذا انه رافضى او شيعى وانه لا يصلى معنا لعدم اعتقاده بهم ، وقوله عليه السلام له « لقد قال » الخ كانه وكن له على وجه التقية اعراف الرجل كان يعلم عدم جواز الاقتداء .

« من سمع الاذان فلم يجبه الى الصلاة من غير علة فلا صلاة له » بمعنى نفى كما لها او نفيها ان وجب الحضور .

وقوله عليه السلام « لاتدع الصلاة » الخ معناه لاتترك الصلاة معهم وخلف كل امام وان لم يكن اهلا للامامة ، بمعنى أن يكون متابعا لهم فى الصلاة ولا

يكون مقتدياً بالامام ، وزرارة فهم من ذلك الامر بالافتداء فقال كبير علي قولك ، فان غير المؤمن لايجوز الافتداء به فكيف بأمره بذلك ، فضحك عليه السلام تعجباً من مثل زرارة وانه لم يفهم ما اراد عليه السلام وقال له : ماأراك الاهننا بمعنى انك لم تصل الى مرتبة فهم مثل هذا وانت باق في مثل هذا المكان وهو عدم فهم مثله ، فأى علة تريد اعظم من انه لا يتم به فهذا ممن ترك الصلاة معهم واجافه قد امهم الصلاة معهم بقوله المؤذن « حى على الصلاة » فليس هذا ممن لاصلاة له . ثم نبهه على انه قال عليه السلام « صلوا في مساجدكم وصلوا مع أئمتكم » أي الذين يؤمنون الناس بمعنى ان تكون صلاتكم معهم لانكم تقتدون بهم ، ولو اراد الافتداء لقال صلوا مقتدين بهم ونحو ذلك .

[عبارة مشكلة في مختلف الشيعة]

ومن ذلك عبارة في مختلف الشيعة سئلت عنها قبل هذا الوقت بمدة طويلة ولم يحضرني الان ما أجبت به سابقاً ، ثم اشتهرت في هذه الاوقات وذهبت افكار الناس الى حلها على أوجه لايليق نقلها ، وقد سئلت عنها في هذه الاوقات فكتبت ماخطر لي في توضيح معناها، ولننقل أولاً العبارة بعينها وقد ذكرت في مسألة جواز الصلاة فى التكة والقلنسوة اذا كانتا من وبر الارانب ونحوها ، قال العلامة طاب ثراه : احتج الشيخ رحمه الله بأنه قد ثبت للتكة والقلنسوة حكم مغاير لحكم الثوب من جواز الصلاة فيهما وان كانتا نجستين أو من حرير محض ، فكذا يجوز لو كانتا من وبر الارانب وغيرها ، ولان الملزوم للمدعى وجوداً وعدمأ ان كان ثابتاً ثبت المطلوب وكذا ان كان منقياً .

والجواب عن الاول بالفرق بين كونهما نجستين وكونهما من وبر الماتحل الصلاة فى وبره وقد بيناه فيما مضى، وعن الثانى بالمنع من استلزام نفي الملزوم

حالتى وجوده وعدمه المطلوب، لجواز كون النفى راجعاً الى الذات لا الى وجودها مع فرض استلزامها وجوداً وعدمياً - انتهى .

وقال فى المسألة التى قبل هذه وهى مسألة الجواز فى الابريسم : احتج الشيخ بالاصل وعدم التكليف بالتحريم ولان تسويغ الصلاة فيهما مع النجاسة، واخراجهما عن عموم حكم الثياب فى ذلك يستلزم تسويغ الصلاة فيهما اذا كانتا من ابريسم محض ، لاشتراكهما فى المصلحة المطلوبة من الصلاة فيهما واخراجهما عن حكم الثياب واجاب العلامة رحمه الله هنا بأن المنع فى النجس عارض وفى الابريسم ذاتى فافترقا .

اقول : انى نقلت العبارتين لتعلق الحل بهما ، والذى خطر لى فى معنى العبارة الاولى أن الشيخ رحمه الله استدل لجواز الصلاة فى التكة والقلنسوة اذا كانتا من وبر الارانب وغيرها بأنه قد ثبت للتكة والقلنسوة حكم مغاير لحكم الثوب من جواز الصلاة فيهما وان كانتا نجستين أو من حرير محض ، فكذا يجوز لو كانتا من وبر الارانب ونحوها ، وقد تقدم قبل هذه المسألة استدلاله لجواز الصلاة فيهما اذا كانتا من ابريسم بالاصل وعدم التكليف بالتحريم وبأن تسويغ الصلاة فيهما مع النجاسة واخراجهما عن عموم حكم الثياب فى ذلك يستلزم تسويغ الصلاة فيهما اذا كانتا من ابريسم محض لاشتراكهما فى المصلحة المطلوبة من الصلاة فيهما واخراجهما عن حكم الثياب .

هكذا استدل الشيخ رحمه الله فى مسألة الجواز فى الابريسم كما ذكر العلامة طاب ثراه ، واجاب هناك بالفرق بين النجس والابريسم بأن المنع فى النجس عارض وفى الابريسم ذاتى فافترقا .

واستدل الشيخ فى مسألة وبر الارانب ايضاً بأن الملزوم للمدعى وجوداً وعدمياً بمعنى ان الملزوم - وهو جواز الصلاة فيهما فى غير وبر الارانب -

للمدعى وهو جواز الصلاة في وبر الارانب الذى هو لازم لذلك الملزوم ان كان ثابتاً وجوده ثبت المطلوب للزومه له، وكذا يثبت المطلوب لو كان وجود الملزوم منقياً ، ووجه ثبوته مع المنفى انا علقنا وجود اللازم بوجود الملزوم ونفيه ينفى وجوده ، ففي صورة النفي يكون المراد أن هذا الملزوم المنفى وجوده اذا وجد وجد اللازم .

فمعنى قوله « وكذا ان كان منقياً » انه يثبت المطلوب ايضاً ان كان الملزوم منقياً ، لان قوله « وكذا ان كان منقياً » معناه ان الملزوم في حالتي وجوده وعدمه لو كان منقياً لازم المطلوب ايضاً، حيث أن ذلك معلق على وجوده، فاذا وجد الملزوم وجد اللازم ، والذى فرض ملزوماً موجود فيلزم وجود اللازم .

وجواب العلامة عن الاول بالفرق كما تقدم ، وعن الثانى بأننا نمنع كون نفي الملزوم في حالتي وجوده وعدمه يستلزم المطلوب، أي اللزوم في حالتي الوجود والعدم ، لجواز كون النفي راجعاً الى نفس ذات الملزوم لالسى وجود الذات مع فرض استلزام الذات باعتبار وجودها وعدمها المطلوب .

وحاصله : ان الدليل مبنى على وجود الذات وعدم وجودها ، ونحن نمنع ذلك ويجوز رجوع النفي الى الذات ولا يلزم حينئذ اللزوم وجوداً وعدمياً ، لانه مع انتفاء اصل الذات لا يلزم ترتب الوجود والعدم عليها ، وانما يترتب على وجودها وعدمها بناء على ما في الدليل من قوله ولان الملزوم للمدعى وجوداً وعدمياً - الخ .

ويوضح ذلك ما اذ أردنا الاستدلال على وجود النهار بوجود الشمس وطلوعها . فقلنا النهار موجود لوجود ذات الشمس وطلوعها ، فيكون النهار لازماً لوجود الشمس وجوداً وعدمياً ، وذلك فيما اذا كانت ذات الشمس موجودة، فلو انتفت الذات اصلاً لم يستدل بما لاحقيقة له وجعله ملزوماً للنهار ليستدل عليه

بالملزوم وجوداً وعدمياً .

فان قلت: نراهم يستدلون باللزوم مع عدم وجود الذات ، ومنه قوله تعالى
« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »^(١).

قلت : فرق بين المقامين ، فان مانحن فيه ادعى فيه وجود اللازم لوجود
الملزوم الذى يلزم منه الوجود بوجوده والعدم بعدمه ، ومع نفي أصل الذات
وعدم وجودها لا يليق الاستدلال على وجود اللازم بوجود الملزوم الذى يحصل
منه الوجود بالوجود والعدم بالعدم . وهذا بخلاف فرض وجود الملزوم
واللازم كما فى الآية ، فان اللزوم هناك على تقدير الفرض ونفيه ، وهذا لا ينافي
عدم وجود الذات اصلاً ، فان المعنى لو وجد كذا لو وجد كذا .

وبالجملة فالمقام هنا مبنى على الوجود وان لزم العدم بالعدم بمقتضى
الزوم مع المساواة . وايضاً فالآية فيها رد على من ادعى تعدد الاله - فتأمل .
واعلم انه كان يمكن تأدية ما ذكر بكلمات قليلة لكن المقام اقتضى زيادة
البسط لزيادة التوضيح .

[شرح بيتين لمجنون ليلي]

ومن ذلك قول مجنون ليلي :

اتوب اليك يا رحمان مما جنيت فقد تكاثرت الذنوب

واما عن هوى ليلي وتركي زيارتها فاني لأتوب

أقول : الاشكال مشهور فى البيت الثانى ، وهو قوله « وتركى زيارتها »

وقد خطر لي فى توجيهه ان معناه وان اترك بالبناء للمفعول زيارة لها ، من قبيل
رجل عدل وانما هى اقبال وادبار ، وهذا معنى واضح . والتركي بهذا المعنى

(١) سورة الانبياء : ٢٢ .

مستعمل كثيراً، ومنه قوله تعالى « وتركهم في ظلمات لا يبصرون »^(١).

وقول عنزة :

فتركته جزر السباع ينشئه ما بين قلة رأسه والمعصم

وجزر السباع نحو زيارتها وان اختلفا بالفاعل والمفعول .

وربما وجه البيت بكون الواو للقسم ، وهذا مبنى على اصطلاح غير عربى

مع بعده .

وسألنى سائل فقال انه ورد فى الحديث الرياء شرك وتركه كفر ، فأجبت

على تقدير ثبوت الحديث ان تركه كفر بمعنى ما تقدم فى بيت المجنون ،

والمعنى ابقاء ذلك والمداومة عليه كفر، والكفر والشرك يستعملان فى غير الشرك

والكفر الخاصين كما هو واقع كثيراً فى الاخبار .

ويحتمل وجهاً آخر، وهو أن يكون المراد بالرياء المفعول على وجه الرياء

كالصلاة مثلاً فانه يقال هذه الصلاة رياء وهذا الصوم رياء، فالمعنى فعل هذا

الشيء رياء شرك وترك هذا الشيء من غير رياء فعل كفر كفعل الصلاة مثلاً رياء

وتركها .

[حديث عمار جلدة بين عينى]

ومن ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : عمار جلدة بين

عينى تقتله الفئة الباغية . وفى رواية اخرى : عمار جلدة بين عينى وانفى .

اقول : ان هذا مثل مشهور مستعمل فيمن يكن له عزة عظيمة عند القائل .

وكان وجه تخصيص الجلدة التى بين العين والانف أن العين لما كانت أعز من

غيرها من أجزاء البدن باعتبار كان ماجاورها أعز من غيره ، وكان ما بين العينين

(١) سورة البقرة : ١٧ .

محفوظاً بعضوين عزيزين فكان المشبه بها كالمحاط بذلك . ولو أريد ما هو
أبلغ من هذا قيل فلان عيني ، وهذا غير مناسب منه عليه السلام في هذا المقام .
وربما كان زوال هذه الجلدة سبباً لتلف ضوء العين او نقصه أو تلفها أو
بعضها بخلاف ما جاورها في غير هذا المكان فان زواله لا يؤثر تأثير زوال هذه
الجلدة .

وحديث افراد العين لا ينافي حديث الثنية ، لا مكان وقوع كل منهما منه
عليه السلام ، ولا استعمال العين في المتعدد كقول الهذلي :

والعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهي عور تدمع

فقال حداقها وهو جمع حدقة وقال عور وهو جمع ايضاً ومثل هذا واقع
في غيرها ومن ذلك ما احببت نقله هنا . قال الزمخشري في ربيع الابرار: وعن
هند بنت الجون قالت : نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيمة خالتها
ام معبد ، فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج في عوسجة الى
جانب الخيمة ، فأصبحنا وهي كأعظم دوحة وجاءت بشمر كأعظم ما يكون في
لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع الا شبع ولا ظمأ
الا روى ولا سقيم الابرار ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة الا درلبنها ، فكنا نسميها
المباركة وينتابنا من البوادي من يستشفى بها ويتزود منها ، حتى اصبحنا ذات
يوم وقد تساقط ثمرها واصفر ورقها ففرعنا فمارعنا الا نعى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ، ثم انها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها الى
اعلاها وتساقط ثمرها وذهبت نضرتها ، فما شعرها بمقتل امير المؤمنين علي
عليه السلام فما اثمرت بعد ذلك وكنا نتفح بورقها ، ثم اصبحنا واذا بها قد
تبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها ، فبينما نحن فزعون مهمومون اذ اتانا امر
مقتل الحسين عليه السلام ويبيت الشجرة على اثر ذلك .

وقال الشيخ نصر الله بن محلى وكان من ثبات أهل السنة : رأيت فى المنام
 علي بن ابي طالب عليه السلام فقلت له : يا امير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون
 من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين عليه السلام يوم الطف
 ما تم . فقال لي : اما سمعت أبيات ابن الصبغى فى هذا فقلت : لا . فقال : اسمعها
 منه فاستيقظت وبادرت الى دار الحيص بيص ، فخرج الي فذكرت له الرؤيا
 فشقق ووجش بالبكاء وحلف بالله ان كانت خرجت من فمى أو حظى الى احد
 وان كنت نظمتها الا فى ليلتى هذه ثم أنشدها .

ملكنا فكان العفو منا سجية	فلما ملكتم سال بالدم ابطوح
وحللتكم قتل الاسارى وطالما	غدونا عن الاسرى نعف ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا	وكل اناء بالذى فيه ينضح

ذكر هذا وهو المنام ابن خلكان فى تاريخه وظننى نقلته اولاً من كتاب دمية
 القصر للباخرزى أو من غيره ثم بعد ذلك رأيت فى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة
 الحيص بيص .

[حديث شأن انا انزلناه]

ومن ذلك حديث فى الكافى فى كتاب الحججة فى (باب شأن انا انزلناه فى
 فى ليلة القدر) وفى تركيب بعض ألفاظه ومعانيها اشكال احببت ان أوضح ما خطر لى
 فى توجيه ذلك ، والحديث وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : بينا ابي جالس
 عليه السلام وعنده نفر اذ استضحك حتى اغرورقت عيناه دموعاً ثم قال : هل
 تدرين ما أضحكنى؟ قال : فقالوا لا . قال : زعم ابن عباس انه من الذين قالوا
 ربنا الله ثم استقاموا . فقلت له : هل رأيت الملائكة يا ابن عباس تخبرك بولايتها
 لك فى الدنيا والاخرة مع الامن من الخوف والحزن .

أقول : معنى هذا أنه لما ادعى انه داخل في قوله تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولا هم يخرجون »^(١) قال له عليه السلام: الملائكة أخبرتك بذلك وانك آمن من الخوف والحزن ، وغرضه عليه السلام تنبيهه على انه غير مستقيم كما سيبينه له بعد .

قال : فقال : ان الله تبارك وتعالى يقول « انما المؤمنون اخوة »^(٢) وقد دخل في هذا جميع الامة ، ظاهره ان مراد ابن عباس انى داخل لا من حيث اخبار الملائكة بل من جهة دلالة قوله تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله » الآية ، فانه عام لكل من قال ذلك ثم استقام ، كما ان قوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » عام فيدخل كل من آمن في الاخوة .

(فاستضحكت) يمكن ان يكون ضحكه عليه السلام تعجباً من استدلاله بذلك لانه غير مستقيم، بناء على ما أتى في الحديث مما يبينه له من ذلك .
(ثم قلت صدقت يا ابن عباس) هذا يحتمل ان يكون معناه انك صدقت في دلالة الايتين على العموم ، ولكن سيظهر لك انك غير داخل فيه في الآية .
ويحتمل ان يكون أراد به معنى سلمنا لك ذلك لكن يأتي ما يظهر منه خلافه وعدم الدخول .

(أنشدك الله) أي أسألك بالله (هل في حكم الله جل ذكره اختلاف ، قال فقال لاقلت ماترى في رجل ضرب رجلاً أصابعه) هذا يدل بعض من كل (بالسيف حتى سقطت ثم ذهب) وفي التهذيب فما ترى في رجل ضربت أصابعه بالسيف حتى سقطت فذهبت (واتي رجل آخر فأطار كفه فأتى به اليك وانت قاض كيف انت صانع ؟ قال : اقول لهذا القاطع اعطه دية كفه، وأقول لهذا المقطوع

(١) سورة الاحقاف : ١٣ .

(٢) سورة الحجرات : ١٠ .

صالحه على ماشئت وأبعث به) فى التهذيب أو ابعث به ، والمعنى اما ان تعطيه
الدية أو تصالحه أو تبعث به (الى ذوى عدل) ليوفقا بينهما .

(قلت : جاء الاختلاف فى حكم الله عز ذكره ونقضت القول الاول) وهو
الاعتراف بعدم الاختلاف فى حكم الله (أبى الله عز ذكره أن يحدث فى خلقه
شيئاً من الحدود ليس تفسيره فى الارض اقطع قاطع الكف اصلاً) أي
قاطعها من أصلها أو اقطعها من أصلها (ثم اعطه دية الاصابع) لانه ليس له عليه
الا الكف .

(هذا حكم الله ليلة ينزل فيها امره ان جحدتها بعد ما سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وآله فأدخلك الله النار كما اعمى بصرك يوم جحدتها علي بن
ابى طالب) هذا دعاء منه عليه السلام عليه أنه ان جحد ليلة القدر مرة اخرى
بأن يدخله الله النار كما اعمى بصره لما جحدها فى المرة الاولى . وتر كيب
جحدتها علي بن ابى طالب ان علياً مفعول أول والضمير مفعول ثانى مقدم للاتصال
وعدم الالتباس، يقال جحده حقه . ويحتمل نصب على بنزع الخافض بتضمين
معنى يناسبه، وضمير جحدتها يرجع الى ليلة القدر .

(قال فلذلك عمى بصري) هذا استفهام من ابن عباس ، وظاهره الانكار .
ويحتمل كونه غير انكارى ، ويحتمل كونه اعترافاً منه بذلك، ويؤيده قوله عليه
السلام بعدما تكلمت بصدق مثل أمس .

(قال : وما علمك بذلك) أي انك لاتدرى وجه عمى بصرك من أي شيء
(فوالله ان عمى بصره الامن صفقة جناح الملك) .

هذا الكلام منه عليه السلام للنفر الذين عنده ليخبرهم به ان عماسه كان
من صفقة جناح الملك وقع معترضاً بين ما قبله وما بعده . ويحتمل ان يكون
من قول ابى عبدالله عليه السلام وان نافية . وعماسه يجوز كونه مصدرأ مضافاً الى

بصره اي ما عمى بصره الا من ذلك ، ويجوز كونه فعلا وبصره فاعله أي ما عمى
الا من ذلك .

(قال فاستضحكت ثم تر كته يومه ذلك لسخافة عقله) استضححا كه عليه السلام
اما لاعترافه أو لانكاره ذلك ، والاول انسب بالتكلم بالصدق (ثم لقيته فقلت
يا ابن عباس ما تكلمت بصدق مثل أمس ، قال لك علي بن ابي طالب ان ليلة القدر
في كل سنة وانه ينزل في تلك السنة امر لسنة ، وان لذلك الامر ولاة بعد رسول
الله صلى الله عليه وآله . فقلت : من هم ؟ فقال : انا واحد عشر من صلبى ائمة
محدثون فقلت : لا أراها كانت الا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فتبدى
لك الملك الذي يحدثه فقال : كذبت يا عبد الله) من قوله قال لك علي الى هنا
ابتدأ بيان لابن عباس لما صدر منه وان سبب العمى ذلك (رأيت عيناي الذي
حدثك به على ولم تره عيناه ولكن وعى قلبه ووقر في سمعه) هذا من كلام
الملك بعد قوله له كذبت يا عبد الله ، ومعناه ان الذي حدثك به كان بالنسبة الى مما
رأيته بعيني على وجه المجاز ، بمعنى رأيت من ألقاه الى من ملك آخر بعيني
ولم تر ذلك عينا علي بن ابي طالب ولكن وعى ذلك قلبه وألقى فيه وسمعه ولم
ترنى عيناه (ثم صفقك بجناحه فعميت) أي بعد أن قال لك ذلك صفقك بجناحه
فبين له سبب عماء .

(قال فقال ابن عباس : ما اختلفنا في شيء فحكمه الى الله) هذا جواب من
ابن عباس ، وحاصله انه اذا وقع اختلاف يرد ذلك الى الله أي الى كتابه ونحوه
او ان الحكم الواقعي الله اعلم به وما اختلفتم في شيء فحكمه الى الله .

(فقلت له فهل حكم الله في حكم من حكمهم بأمرين قال لا) لما قال ابن عباس
انما اختلفنا في شيء فحكمه الى الله اجابه عليه السلام بأنه هل يوجد في حكم
من احكامه الحكم بأمرين مختلفين . فقال لا فثبت ان حكم الله لا يكون الا

واحداً وان الذى يرد حكمه الى الله مع الاختلاف ان يرد الى من يعلم الحكم الذى يرتفع به الاختلاف .

(فقلت ههنا هلكت واهلكت) أي من هذا او مثاله وعدم الاعتراف بما قال لك علي بن ابي طالب مما لو رجعت اليه لظهر لك وجهه وارتفع الاختلاف هلكت واهلكت .

هذا ما يظهر مما تضمنه هذا الحديث فى شأن ابن عباس والله تعالى اعلم ، وبعض هذا الحديث فى التهذيب وهو ما يتعلق بالقصاص ولم ينقله بتمامه .

[حديث الولاة]

ومن ذلك ما رواه محمد بن قيس فى الصحيح عن الباقر عليه السلام قال: قضى فى رجل حرر رجلاً فاشترط ولاءه فتوفى الذى اعتق وليس له ولد الا النساء ثم توفى المولى وله مال وله عصابة ، فاختلف فى ميراثه بنات مولاه والعصابة ، فقضى بميراثه للعصابة الذين يعقلون عنه اذا احدث حدثاً يكون فيه عقل .

أقول : هذا الحديث نقله جدى المبرور قدس الله روحه فى شرح الشرائع مستدلاً به على ان المعتق اذا لم يخلف اولاداً ذكوراً بل خلف النساء فقط يكون ميراث المعتق بالبناء للمفعول لعصابة المعتق بالبناء للفاعل ، وقد استدل به على ذلك العلامة فى المختلف والشيخ الطوسى فى الاستبصار ، وافتى بمضمونه فى النهاية والايجاز وكذلك القاضى وابن حمزة وغيرهم ، وفى الاستبصار باب ان ولاء المعتق لو ولد المعتق اذا مات مولاه الذكور منهم دون الاناث فان لم يكن له ولد ذكر كان ذلك للعصابة ، ونقل هذا الحديث وفيه « وترك مالا » بدل قوله وله مال وكذا فى التهذيب والمختلف بلفظ وترك مالا ، فكان ما فى شرح الشرائع

منقول من غير الكتب المذكورة او من الكافي ولا يحضرني هذا الموضوع منه وقد وقع في احاديث متكررة التعبير بالورثة وأولى الارحام اذا كانوا للمعتق مبنياً للمفعول وانهم يقدمون على اهل الولاية في الميراث .

اذا تقرر ذلك فقد اعترض بعض المعاصرين على جدي قدس سره بأن هذا الحديث لا يصلح للدلالة ، لان المراد بالعصبة في قوله « وله عصبة » عصبة المعتق والمراد منهم الوارث لاعصبة المعتق نظراً الى مجرد القرب ، فيعود الضمير اليه لقربه .

وهذا من ضيق العطن بمعرفة تراكيب الكلام وأسلوبه وعدم ملاحظة ما يناسب المقام ، فان استعمال العصبة بمعنى الوارث استعمال غريب لا يظهر وجه العدول اليه عن مثل الورثة وأولى الارحام مع ان العصبة شرط كونهم وارثين فيه بخلاف المشهورة ، ولو سلم فأى فائدة في القيود المذكورة على هذا التقدير وهى قوله « الذين يعقلون عنه اذا احدث حدثاً يكون فيه عقل ، فانها حينئذ لغو لا فائدة فيها ، لان اخراجه عن موضوعه واستعماله كذلك أي وجه لها لربطها به وأى مناسبة ، بخلاف ما اذا أريد بها عصبة المعتق ، فان فائدتها ببيان كون العصبة هم الذين وصفهم كذا وكذا ، وهذا مما صرف أفهام من قال من علمائنا رضوان الله عليهم بذلك الى حمل العصبة على عصبة المعتق وترك مرجع الضمير القريب ، ومن المعلوم المقرر أن القرينة اذا وجدت حالية أو مقالية عقلية او نقلية تصرف ما يظهر او يحتمل الى غيره . ولولا هذا امكن ان يقال المجاز مع القرينة يعارض الحقيقة وتعارضه ونحو ذلك .

وقد فهم هذا مثل العلامة والشيخ الطوسي وغيرهم رحمهم الله ممن قال بهذا القول واستدل بهذا الحديث ولم يظهر رد استدلالهم به ، وهؤلاء من أئمة اهل اللسان والعارفين بمواقع الكلام ، وليس هذا حجة بل مجموع ما ذكرهنا

وغيره مما ذكرته في موضع آخر من القرائن مما يدفع عنهم الاعتراض في فهم هذا الحديث مع شهرة مسألة مستحق الولاء من الورثة والعصبة وتكرار القول والنزاع في ذلك من المخالف والموافق كما يظهر لمن تتبع ذلك في كتب الحديث والفروع والخلاف وغيرها كالمختلف والمبسوط والخلاف والتهذيب وغيرها .

فان قلت ، لاي وجه آخر قوله « وله عصبه » عن قوله « وترك مالا » وهلا قال وله عصبه بعد قوله الا النساء .

قلت : لهذا وجه ينبغي تأمله وفهمه على وجهه ، وهو انه ذكر أولا وفاة الرجل المعتك وان وارثه النساء فقط ، وهذا لايناسبه ذكر العصبه حينئذ ، ان المعتك لم يمت حينئذ بل المناسب لذكرهم تأخرهم عنم يكون لذكرهم به مناسبة ، وذلك بعد موت المولى وبعد موته ناسبه ذكر مايتعلق به بعد موته من كون العصبه يدعونها تركه من المال المتروك فذكر الاول موت المعتك وذكر وارثه ثم موت المولى وذكر العصبه ونزاعهم مع النساء .

وفي المختلف ورووا عن الائمة عليهم السلام ان امير المؤمنين عليه السلام قضى في امرأة اعتقت رجلا واشترطت ولاءه ، فاختصم في ولاءه بعدها اولادها وعصبتها فحكم بالولاء لعصبتها . ومثل هذا كثير يفضى نقله الى التطويل .

على ان قوله « وله عصبه » لايدل على ان له عصبه فقط ، فلو كان له غير العصبه ممن هو اقرب لم يكن له ميراث ولو اريد له وارث لم يكن لقوله « الذين يعقلون » الخ فائدة .

وفي قوله « الذين يعقلون » الخ ايماء الى ان البنات ليست لهم هذه الصفة فلا يرثن وان كن اقرب من العصبه ، وايضاً فالمقام مقام مستحق الولاء الذي هو مشروط للمعتق وهو حق له .

شرح بيتين للمتنبي |

ومن ذلك بيتان للمتنبي مطلع قصيدة وهما قوله :

لا الحلم جادبه ولا بمثاله لولا اذكار وداعه وزياله
ان المعيد لنا المنام خياله كانت اعادته خيال خياله

اقول : معناهما اني لولا كثرة تذكري وداعه وفراقه بحيث لا يزول عن خاطري حتى في المنام لم يسمح الحلم به ولا بمثاله ، فبسبب ذلك ظهر منه ما هو كالجود ، فسامه جوداً لصدوره عنه للعلمة المذكورة والا فهو بخيل بذلك ، ونسبة البخل اليه والى المحبوب في بخله بالزيادة حتى في المنام شائع متعارف وقد تكرر نظمه ثم قال على وجه الاضراب عن الاول وهو جوده به وبمثاله ان الحلم لا يسمح به ولا بمثاله مع هذا بل ولا بخياله بل بخيال خياله .

ويحتمل وجهاً آخر ، وهو ان يكون من باب عيادة نحو المريض ، وعاد يتعدى بنفسه الى مفعول واذا ادخلت عليه الهمزة تعدى الى مفعولين مثل اكسبته اياه وابلغته اياه بمعنى جعلته كاسباً اياه ونحو ذلك مما هو كثير وهذا يحتمل وجهين :

احدهما : اني صرت من اسقم لوداعه وفراقه كخيال خياله ، فكانت اعادته خياله لي اعادة لما هو خيال خياله .
والثاني : ان اعادته كان اعادة خياله لخيالي ، و اضافته اليه لانه سبب لاني صرت خيالا يزور خياله خيالي .

وعلى هذين الوجهين المعيد هو المحبوب ويجوز كونه الحلم ايضاً وليس في هذين الوجهين احتياج الى دفع المنافاة بالاضراب كما في الاول وهو جود الحلم به بمثاله ، فانه يكون كلاماً مستقلاً على الوجهين ، وعلى الاول يكون

اعادته بعد الوداع والمفارقة من العود لا من العيادة ، والاعادة ، حينئذ مسندة الى المنام .

وعلى الوجهين يكون المنام بمعنى الظرف والاسناد الى المحبوب ويجوز الى غيره باعتبار، ويمكن ان لا يعتبر معنى الاضراب على الاول ايضاً .

[عبارة في تفسير القاضى فى الراسخين فى العلم]

ومن ذلك عبارة فى تفسير القاضى فى قوله تعالى فى أواخر سورة النساء « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجراً عظيماً »^(١) قال بعد قوله « والمقيمين الصلاة » نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لا اولئك أو عطف على ما انزل اليك ، والمراد بهم الانبياء، أي يؤمنون بالكتب وبالانبياء ، وقرىء بالرفع عطفاً على الراسخون أو الضمير فى يؤمنون أو على انه مبتدأ والخبر اولئك سيؤتيهم ، والمؤتون الزكاة رفعه لاحد الاوجه المذكورة .

اقول : ارى أن هذه العبارة غير محتاجة الى الايضاح ، وتوضيحها لمن يحتاج اليه أن الراسخون مبتدأ وخبره اما جملة يؤمنون أو جملة اولئك سنؤتيهم وعلى تقدير كون الخبر جملة يؤمنون لا جملة اولئك سنؤتيهم يمكن نصب المقيمين على المدح أو جره على العطف على ما انزل ، وعلى قراءة الرفع فعطفه على الراسخون او على ضمير يؤمنون بناء على جوازه او انه مبتدأ وخبره جملة اولئك سنؤتيهم ، ورفع المؤتون بأحد الاوجه المذكورة فى رفع المقيمين ووجه كسوت النصب على المدح مبنياً على كون يؤمنون خبراً أنه غير مناسب

(١) سورة النساء : ١٦٢ .

وقوعه منصوباً مع كون الخبر جملة اولئك سنؤتيهم لانه غير ملائم لسياق المبتدأ
وما عطف عليه مما هو كالمبتدأ وما يتعلق به وكون الاخبار عن الجميع من المبتدأ
وما عطف عليه ، وهذا بخلاف ما لو كانت جملة يؤمنون خبراً .

وحاصله ان المحكم على محكوم عليه ينبغي ان يكون متعلقاً بالجميع ،
والمبتدأ وما بعده من جملة وغيرها يحمل الخبر فيها على الجميع ، ومع النصب
له على المدح لا يكون المنصوب محكوماً عليه ، والسياق يقتضى دخوله فيمن
يؤتى الاجر العظيم . والله اعلم .

وفي جعل اولئك خبراً تجوز ، فان الخبر الجملة لاولئك وحده ، وقد صرح
به بعد ذلك .

| مسألة صلاة الجنازة |

ومن ذلك ما اتفق من حضوري جنازة رجل من أعيان المؤمنين رحمه الله
فجرى ذكر صلاة الجنازة فقلت: انى اتعجب من شىء وهو أنى فى هذه المدة
المتطاولة فى هذه البلاد ما رأيت احداً يصلى على الجنازة ويستأذن من ولي
الميت اماماً كان او غيره ، وكان فى المجلس رجل يدعى الفضل فقال : هذا
معتبر فى الامام دون المنفرد . فقلت له : لافرق بينهما ، مع ان الامام ايضاً ما
رأيت يستأذن قط نعم اذن الفحوى فى مثل ذلك كاف . فأرسل ذلك الرجل الي
رقعة بعد نقله فى المجالس ان كلامى لا وجه له ، وهذه صورة ما كتبه بالفاظه
من غير زيادة ولا نقصان ولا اصلاح لبعض ألفاظها . وبعد التحية الوافية لا
يخفى على جنابكم ان الفقهاء ذكروا أن الاولى لميراث الميت هو اولى بأحكامه ،
وهذا الكلام لا يدل على ان صلاة المنفرد مشروط باذن من له الاولوية ، فان
تمسكتم بهذه العبارة فلا يدل على مدعاكم من ان صلاة المنفرد مشروط بالاذن .

نعم ذكروا هذا الاشرط في تحقق الامامة لامطلقا . وبالجملة الاولوية لا بد على
الاشرط مطلقا لكن في الامامة قد صرحوا به وان كان لكم دليل آخر فلا بد
لكم من البيان ، فان الامر مخفى علينا والجرم في هذه المسألة من مثلكم بلا
دليل بعيد فبينوا توجروا .

فكتبت له الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهى الى الجناب العالي حرسه الله بعد اهداء جزيل السلام والدعاء ،
هو انه كان بلغنى انكم كتبتم رسالة تتضمن ما يتعلق بمسألة ولى الميت ، والرقعة
وصلت الي في هذا اليوم وهو يوم ارسال الجواب ، فتأملت ألفاظها المنيفة
ومعانيها الشريفة وما تضمنته من ارادة الجواب عما ذكرته في ذلك الوقت من
انه لافرق بين الامام والمنفرد بناء على ماهو التحقيق مما وصل اليه نظري القاصر
في هذه المسألة ولم أجد القائل بالفرق بين الامام والمنفرد .

وحاصل الجواب انكم اعترفتم بأن الفقهاء ذكروا أن الاولى بميراث
الميت هو أولى بأحكامه ، ومن المعلوم أنه ليس المراد مشاركة غيره له في
الولاية ، بل المراد منه مستحق الولاية على الخصوص الا لشارك الوارث غيره
وولى الميت غيره ، وهذا غير مراد قطعاً ، والتفضيل باعتبار لا يخفى . أو انه
ليس بمراد من هذه الصيغة كما وقع في غيرها بهذه المعنى مما هو مذكور في
محاله ، وقد صرحوا بافادة هذه الصيغة هذا المعنى .

قال الشيخ ميثم البحراني رحمه الله في كتاب النجاة في القيامة في تحقيق
امر الامامة : ان اهل اللغة لا يطلقون لفظ الاولى الا فيمن يملك تدبير الامر
المتصرف فيه ، فانهم يقولون السلطان أولى باقامة الحدود والولد أولى بالميراث
والزوج أولى بامرأته ، وليس مرادهم الا ما ذكرناه واتفق المفسرون على ان

قوله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم »^(١) ان المراد به أولى بتدبيرهم والقيام بأمرهم - انتهى .

فدلت العبارة على اختصاص الولي باحكامه ومنها الصلاة، واذابث اختصاصه بهذا الحق ولم تدل العبارة على تقييد ولا تخصيص بقيت على اطلاقها أو عمومها، فتصرف غيره مطلقاً في هذا الحق بغير اذنه تصرف في حق الغير بغير اذن وهو غير جائز عقلاً وشرعاً ويأتى ما يدل على ذلك ايضاً ، فثبت بذلك ما ادعيته ، وكلامكم يتضمن دعوى الفرق فيلزمكم على هذا أن تثبتوا أن المنفرد يجوز له تحسب هذا الحق واخراجه من تصرف الولي دون الامام .

نعم لو دل الدليل على ان حق الولي منحصر في الامامة امكن الفرق والدليل لا يدل على ذلك ، واظهرية بعض افراد المطلق من غيره لو سلمت لا تقتضى التقييد .

ويمكن أن يقال : ان الامام قدرته على الغصب أقوى من قدرة المنفرد ، الا أن يجاب بأن الامام يشترط فيه العدالة ، فلهذا لم يعتبر الغصب فيه لانه ينافى العدالة . فالعجب من قولكم ان هذا الكلام وهو كلام الفقهاء لا يدل على المدعى من ان صلاة المنفرد مشروطة بالاذن ، فانا ان نظرنا اليه مجرداً لم نفرق بين الامرين ، ويأتى ان ما استدل به لا يقتضى الفرق وبالجملة فما ادعيتموه لنا لا علينا وعليكم لالكم، والعام أو المطلق يبقى على عمومه او طلاقه الى أن يوجد المخصص او المقيد وهو غير موجود على وجهه بغيره ، وكان اللائق ان تذكروا ما يدل على تقييد الذى دل عليه اطلاق العبارة فقط لا ان هذا الكلام لا يدل على المطلوب فانه خارج عن طريقه المتعارف .

هذا ما يتعلق بالعبارة، وأما ما يتعلق بدليل المسألة فقد استدلو بما فى مرسله

(١) سورة الاحزاب : ٦ .

ابن ابي عمير من قول ابي عبد الله عليه السلام: يصلى على الجنائز أولى الناس بها أو يأمر من يحب . ومراسيل ابن ابي عمير معلوم حالها في الاعتماد عليها، ومثلها مرسله ابن ابي نصر ، واستدلوا أيضاً بآية « أولى الأرحام » والحديثان دالان على أن الحكم حق لولي الميت وله الأذن لمن أحب ، ولا وجه بحسب الدلالة للفرق سوى ما ادعاه القائل به ويأتى عدم صلاحية لذلك .

ولنتقل هنا عبارة الشرائع والمدارك ، قال فى الشرائع : الثانى فى المصلى ، واحق الناس بالصلاة عليه أولاهم بميراثه . وقال فى المدارك : ذكر العلامة فى المنتهى ان المراد بالاولى هنا المستحق للميراث ، وكون المراد أن من يرث أولى بالصلاة ممن لم يرث الى ان أجرا ، وهذا الحكم مقطوع به فى كلام الأصحاب وظاهرهم أنه مجمع عليه ، واستدلوا عليه بقوله تعالى « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » وبما رواه الكليني عن ابن ابي عمير عن بعض أصحابه عن ابي عبد الله عليه السلام قال يصلى على الجنائز أولى الناس بها او يأمر من يحب وعن احمد بن محمد بن ابي نصر عن بعض أصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال : يصلى على الجنائز أولى الناس بها او يأمر من يحب .

ثم قال: قال جدي قدس سره فى روض الجنان : واعلم ان ظاهر الأصحاب ان اذن الوالى انما يتوقف عليها الجماعة لا اصل الصلاة لوجوبه على الكفاية ، فلا تناط برأى احد من المكلفين ، فلو صلوا فرادى بغير اذن اجزأ ، وقد يقال انه لا منافاة بين كون الوجوب كفايتاً وبين اناطته برأى بعض المكلفين ، على معنى انه ان قام به سقط الفرض عن غيره ، وكذا ان اذن لغيره وقام به ذلك الغير والا سقط اعتباره وانعقدت الصلاة جماعة وفرادى بغيره اعلا ومع ذلك لا بأس بالمصير الى ما ذكرنا لما قصرنا لما خالف الاصل على موضع الوفاق ان تم ، وحملنا للصلاة فى قوله عليه السلام « يصلى على الجنائز أولى الناس بها » على

الجماعة لانه المتبادر - انتهى كلام المدارك .

ويظهر منه لمن تأمله انه غير قائل بالفرق ، وان بناءه على مخالفة الاصل من حيث قدحه في اصل الدليل وفي قوله « ان تم » اشارة الى ما لا يخفى .
ودعوى التبادر مع الاطلاق والبناء على الدليل المذكور ممنوعة، ولو سلم انها تتبادر لكثرة وقوعها لاتدل على التخصيص .

وعندى كتاب المدارك بخط والدي رحمه الله وهو الذي قرأه على السيد محمد رحمه الله وعليه حواش كثيرة بخطه تتضمن تحقيقات وفوائد وقد كتب على قوله في المدارك قال جدي في روض الجنان « واعلم ان ظاهر الاصحاب » الخ ماصورته :

اقول: لا يخلو من نظر ، فان هذا ليس ظاهر جميع الاصحاب بل البعض والافلاك اكثر اطلقوا الحكم كما يعرفه من لاحظ كلام القوم ، فالعلامة في القواعد قال والاولى بها هو الاولى بالميراث بعد قوله المطلب الثاني في المصلى ، والمفيد في المقنعة قال وأولى الناس بالصلاة على الميت أولاهم به وقال العلامة في المختلف مسألة قال الشيخ اولى الناس بالصلاة على الميت اولاهم بالميراث .
والذي اظنه ان جدي قدس سره ظن من قول العلامة في محل آخر والمشهور بين الاصحاب ان الاولى بالميراث أولى بالامامة، ولا يخفى ان هذا لا يدل على أن غيره ليس أولى، بل هو في مقام ذكر الامامة كما يعلم من مراجعة كلامه .

على أن كلام العلامة ليس حجة مع وجود اطلاق العبارات والادلة ايضاً ، فانهم استدلوا بآية « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض » وبالحديث كمرسلة ابن ابي عمير عن بعض اصحابه عن الصادق عليه السلام قال يصلى على الجنابة اولى الناس بها . وهذا لا يخفى تناوله .

أما ما ظنه جدي قدس سره مسن أن الوجوب الكفائي يسن في الأذن ، فقد اجاب عنه في شرح الشرائع بأن الأذن لا يسن في الوجوب في أول باب احكام الميت وهذا لا فرق فيه بين الصلاة وغيرها وان كان فيه نوع كلام من حيث ان الجواب لا يفيد رفع السؤال . واقول : ان الحق في الجواب ان المتوقف على الأذن الفعل لا الوجوب - انتهى كلام والذي رحمه الله في حاشية المدارك .

ويظهر منه لمن تأمله حق التأمل ان من قال بالفرق بين الأذن للامام دون غيره قليل ، وان منشأ هذا ما فهم من عبارة العلامة وانها غير دالة على ذلك فانها متعلقة بالامامة وان جده في شرح الشرائع رد ما استدل به في شرح الارشاد للفرق وشرح الشرائع متأخر عن شرح الارشاد كما رده السيد محمد في المدارك ، وان القائل بذلك ليس له دليل واضح ، على أن ما في شرح الارشاد محتمل لمجرد نقل الظاهر وما استدل به لانه استدلال منه .

وقول العلامة المشهور بين الاصحاب الخ ، ربما اشعر بأن هذا وجهه الشهرة ، واذا عبروا بالمشهور أشعر ذلك بضعف الدليل كما هو متعارف في مثل ذلك مما اسند الى الشهرة .

هذا ان أريد غير ما أفاده والذي من مدلول عبارة العلامة ، وعلى ما أفاده لا يحتاج الى هذا . والله تعالى اعلم .

هذا ما خطر لي في توجيه ما ذكرته ، فلينظر فيه بعين الانصاف . وقد ظهر أنه لا جماع على الفرق ليكون كلامي خارقاً له ولا دليل ناهضاً عليه ومن فهم تأمل ما ذكرته ونقلته ظهر له وجهه نقلاً واستدلالاً . والمقام اقتضى البسط زيادة عما كان ينبغي .

[عبارة للبيضاوي في جنات عدن]

ومن ذلك عبارة في تفسير القاضى في سورة مريم عليها السلام في قوله تعالى «جنات عدن التي وعد الرحمن»^(١) الآية . قال : وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم أو علم للعدن بمعنى الإقامة كبره ، ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي .

اقول : معناه ان عدناً في « جنات عدن » علم لانه قبل الاضافة كان علماً ومع اضافة جنة وجنات لا يخرج عن العلمية بالاضافة ، فهو علم مع الاضافة ايضاً وجنة عدن علم ايضاً فهو مع الاضافة علم وبدونها ايضاً علم .

وقوله « ولذلك » الخ تعليل للوجه الثاني ، فمعنى لانه المضاف اليه في العلم ان الاضافة اليه وقعت في حالة كونه علماً لم يتغير بالاضافة ، وعلميته قبلها معلومة كالخلد والفردوس والماوى ، فاذا اضيفت الجنة الى أحدها كان المضاف اليه هو ذلك العلم وان كان مع الاضافة علماً ايضاً .

ومعنى تعليل الوجه الثاني أن تأنيث « التي » وافرادها مع كونه وصفاً لجنات باعتبار ما اضيف اليه جنات وهو الإقامة . ويحتمل أن يكون التعليل للقسمين . ووجه الاول أن جنات جمع والتي مفرد ، لكن لكونه جمع جنة عدن وجنة عدن علم مؤنث صح وصفه بالتي ، والعلم هو جنة عدن لاجنات عدن ، لبعد كون الجمع علماً .

[حكم خلق اللحية]

ومن ذلك مسألة تتعلق بحكم ازالة شعر اللحية بخلق أو جز أو نحو ذلك،

(١) سورة مريم : ٦١ .

سألني عنها بعض الاصحاب فكتبت فيما يتعلق بها ماخطر لي ، وهو هذا :
لا يحضرني الان تصريح بالتحريم من علمائنا رضوان الله عليهم في هذه
المسألة ، وقد خطر لي فيه وجهان لايبعد مع ملاحظتهما وجمع أطرافهما القول
بالتحريم .

أقول : ما اورده الصدوق « ره » في الفقيه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وآله : حفوا الشوارب واعفوا اللحى ولا تشبهوا باليهود . وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله : ان المجوس جزوا لحاهم ووفروا شواربهم وانا نحن
نجز الشوارب ونعفى اللحى .

وهذان الحديثان وان كانا مرسلين لكن ايراد الصدوق لهما مع اعتماده
على ما في هذا الكتاب والفتوى بما فيه يقوى الاعتماد عليها ، وقد أوردهما
الشهيد « ره » في الذكرى ، والحديث الاول يروى من طرق العامة ، وهو
المشهور في كتبهم .

والامر فيه باعفاء اللحى بمعنى ترك جزها ظاهره الوجوب ، وان لم يعفها
وجزها فقد ترك الأمور به . والاخذ من الشوارب استحباب بدليل لاينافي بقاء
الامر في غيره على الوجوب ، وربما يفرق بين حف الشارب واستحباب الاخذ
منه . ومثل ما ذكر له نظائر كما في تقسيم الاغسال . والتعبير عن الواجب والمستحب
منها بقوله واجب ، وقد أريد في بعضها من الوجوب الاستحباب المؤكد .

وفي الحديث من التأكيد ما هو من النهي عن التشبيه باليهود ، وظاهر
النهي التحريم أيضاً ، فان من تشبه باليهود يكون قد ترك المنهي عنه . وظاهر
الحديث أن اليهود كانوا يعفون الشوارب ويجزون اللحى كما في حديث
المجوس ، ولو كانوا يعفون الجميع كان التشبيه بهم من حيث اعفاء الشوارب .
وبالجملة ففي هذا الحديث بعد الامر بجز الشوارب واعفاء اللحى تأكيد

لذلك بقوله عليه السلام « ولا تشبهوا باليهود » ، ففيه أمر ونهي كل منهما ظاهره التحريم بالمخالفة . والحديث الثاني دل على ان المجوس هكذا فعلهم وانما نحن نفعل خلافهم ، فهو على خلاف فطرة الاسلام بهذا الفعل . ففي تضمن الحديث لفعله عليه السلام وفعل المجوس ما يخالفه ويخالف الفطرة ما يتأدى بقبح فعلهم وحسن فعله ، وهذا مما يتأكد به معنى الامر والنهي وبدل عليه .

الوجه الثاني : أنه قد قرر الشارع أن في شعر اللحية الدية اذا لم ينبت ومع النبات الارش . والمراد ازالة شعرها بأي وجه كان ، وما كان فيه الدية على الجاني ففعله حرام مع العمد ، فاللحية حكمها حكم النفس والاعضاء والمنافع ونحوها التي ثبت فيها الدية على بعض الوجوه وحرمتها كحرمتها .

وهذا لاشبهة في تحريمه اذا كان من فعل الغير ، حتى أن الدية قد ثبت مع العمد للاحترام المذكور ، والظاهر تحريم ذلك اذا وقع من نفسه ، فانه من المعلوم انه يحرم ان يقتل الانسان نفسه أو يقلع عينه أو يقطع يده عمداً ، فشعر اللحية اذا أزاله كان كغيره مما فيه الدية لامن باب القياس بل من الجهة المذكورة ، وليس هذا من قبيل الاموال لكون الناس مسلطين على اموالهم ، للفرق الظاهر على ان الاموال لو أتلفها صاحبها أو أسرف فيها أو كان على وجه السفه أو التبذير ونحوه كان حراماً . وحاصله : اللحية مما هو كمال الرجل وله حرمة شرعاً يلزم بانتهائها الدية اذا كان من الغير مع التحريم في بعض الصور ، والتحريم اذا كان ذلك من صاحب اللحية أو بأمره .

فان قيل : الدية تلزم ايضاً في شعر الرأس والانسان لو حلق رأسه او جزه لم يكن ذلك حراماً عليه .

قلت : هذا خرج بدليل ، والدليل دال ايضاً على الاستحباب من صاحبه او من يسأمره في الحلق وعلى الجواز في الجز ، وربما استحب ايضاً وقد

يجب الحلق بدليل ومع هذا لو كان بجناية من الغير كانت الدية ثابتة بالجناية ايضاً ، واللحية لم يرد فيها ما يقتضى استثنائها فتبقى على حكمها كغيرها مما فيه الدية مع التحريم .

واعلم ان الحديث ذكر فيه الجز ، وهو يحصل بالمقراض ونحوه مما يقطع به كالسكين ، وهو دال على ما يفيد الجز ، فما يحتال به مما هو شائع من ازالة شعر اللحية بالمقراض دون الحلق لدفع الشبهة لاوجه . له نعم تحريم الازالة بالحلق بطريق أولى ان لم يدخل تحت الجز ، ولولا ما فى الاخبار من ذكر القضية وان الزائد فى النار من الامر بتدوير اللحية ونحوه مما يدل على هذا لمكان الخبر مما يمكن فيه دخول نحو هذا فى بعض الفروض .

وفى بعض الاخبار ولا يحضرنى الان فى أى كتاب ما معناه ان قسوم لوط كانت فيهم عشر خصال أوجبت الغضب عليهم منها حلق اللحي واعفاء الشوارب ومنها الفاحشة المعلومة ، واطن ان الباقي مما هو محظور فى هذه الشريعة ايضاً والله أعلم .

وفى الكافى فى الحسن عنه صلى الله عليه وآله : من السنة ان تأخذ الشارب حتى يبلغ الاطار ، وفى القساموس الاطار ككتاب يفصل بين الشفة وبين شعر الشارب اذا طال يؤخذ منه ما كان زائداً الى ان يبلغ الاخذ الاطار .

قال الغزالي فى الاحياء « حفوا الشوارب واعفوا اللحي » أي اجعلوها حفاف الشفة وحفاف الشيء حوله ، ومنه قوله تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش »^(١) انتهى .

وفى النهاية يحفونهم بأجنتحهم أي يطبقون بهم ويدورون حولهم .
والحديث المتقدم فيه حفوا دون احفوا، فيدل على ما ذكر من معنى الحف

(١) سورة الزمر : ٧٥ .

لا الاحفاء والاحفاء يدل على المبالغة والاستيصال وليس في الحديث السابق، فاستيصال الشارب أو المبالغة مبنى على احفوا لاعلى حفوا، وحديث الاطار يدل على خلاف ذلك، ويناسبه تفسير الغزالي للحف، فاحفاء الشارب بعد ما تقرر مبنى على فهم اتحاد معنى الحف والاحفاء وقد ظهر الفرق بينهما، ولما كان احفوا وارد ايضاً عندهم قال الغزالي وفي لفظ آخر «حفوا»، وهذا يشعر بالاستيصال وقوله «حفوا» يدل على مادون ذلك - انتهى .

فاستشكل الجمع بينهما، ومع حفوا وحده لا اشكال، وقال في القاموس حف شاربه ورأسه احفاهما فكأنه حاول الجمع بين اللفظين . والله تعالى اعلم .
ورأيت بعدما كتبت هذا في قواعد الشهيد رحمه الله في الخنثى المشكل قال : ولا يجوز له حلق اللحية لجواز رجوليته - انتهى . وهذا تصريح لتحريم حلق اللحية للرجل بطريق أولى، لانه اذا حرم مع احتمال الرجولية كان ذلك أولى مع تحققها .

| لو نذر الصوم وعارض أيام التحريم |

ومن ذلك ما رواه الشيخ رضي الله عنه في التهذيب والاستبصار بسنده الى محمد بن الحسن الصفار عن القاسم بن ابي القاسم الصيقل قال: كتبت اليه ياسيدي رجل نذر أن يصوم يوماً من الجمعة دائماً ما بقي ، فوافق ذلك اليوم يوم فطر أو اضحى أو جمعة أو أيام تشريق أو سفر أو مرض هل عليه صوم ذلك اليوم او قضاؤه أو كيف يصنع ياسيدي؟ فكتب اليه : قد وضع عنك الصيام هذه الايام كلها أو تصوم يوماً بدل يوم انشاء الله .

قال جدي طاب ثراه في منتقى الجمان بعد نقل هذا الحديث : وأعلم انه يوجد في كلام بعض الاصحاب القدح في المكاتبه الاولى باقتضاها مساواة

يوم ليومى العبيدين فى المنع من الصوم ، وقد أجمع الاصحاب على خلافه ،
وأنت تعلم ان الاشارة فيها قابلة للتأويل ، ولكن فرض اتفاق اليوم المنذور من
الجمعة فيه يحتاج الى مزيد تكلف ربما يقوى به احتمال كونه مصحفاً-انتهى .
أقول : فى هذا الحديث اشكالان :

احدهما : ان نذر اليوم من الجمعة المراد به يوم من الاسبوع ولو مجازاً
ومن جملة الاسبوع يوم الجمعة . ويمكن توجيه هذا بأنه نذر مثلاً صوم يوم
قدوم غائبه أو شفاء مريضه دائماً فاتفق ذلك يوم الجمعة ، وهذا يصدق عليه أنه
يوم من الجمعة كغيره من أيام الاسبوع ، فانه يصير معيناً بتعليقه على ما ذكر .
والاشكال الثانى : من جهة صوم يوم الجمعة ، وهذا الجواب عنه يحتاج
الى التكلف .

ويمكن يكون هذا اللفظ زائداً أو مصحفاً أو أن المشار اليه بقوله « فى هذه الايام
كلها » هو ما عدا يوم الجمعة كما اشار اليه فى المنتقى ، أو يقال انه مبنى على
كونه عيداً .

وقد ورد اطلاق النهي من صوم العيد ، وورد عنهم عليهم السلام الاعياد
اربعة الفطر والاضحى والغدير ويوم الجمعة ، وفى حديث آخر أن هذا يوم
عيد جعله الله للمسلمين .

وربما كان وضع الصيام فى الجمعة باعتبار صومه دائماً والاجماع المنقول
ربما كان على صوم الجمعة لابقيد الدوام ، ومثل هذا كثير فى الاحاديث التى لم
يعمل بها أو لم يشتهر العمل بها . والله اعلم .

والتوجيه بأن صوم الجمعة مكروه غير مناسب ، لان الكراهة فى العبادات
لا تنفى اصل الرجحان ، والحديث دال على انعقاد النذر وانه يصوم بده . وكأنه
لا يستبعد ان يكون من نذر صوم يوم الجمعة دائماً ينعقد نذره ويصوم بدله وان
كان غريباً والله اعلم .

[معنى افادة المصدر التأكيد]

ومن ذلك عبارة في تفسير القاضي بعد قوله في سورة بنى اسرائيل « ولا
تسش في الارض مرحاً »^(١) قال أي ذامرح، وهو الاختيال، وقريء « مرحاً » وهو
باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر ابلغ من صريح النعت - انتهى .

وقال في الكشف : مرحاً حال أي ذا مرح ، وقريء « مرحاً » ، وفضل
الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد - انتهى .

اقول : معنى افادة المصدر على التأكيد أنه لما كان اصله ذامرح وحذف المضاف
وأقيم المضاف اليه مقامه يكون قد تعلق حكم النهي أولاً بصاحب المرح ثم تعلق
بالمرح، فهو في قوة النهي مرتين، وهذا يفيد تأكيداً ليس في صريح النعت فهو
صفة المشبهة ، فان حكم النهي يتعلق بها فقط ، والتعبير بصريح النعت في هذا
ونحوه وما يدخل فيه الحال ونحوه لا النعت الخاص .

ويمكن ان يقال : ان التأكيد من حيث ان مرحاً يتضمن معنى شيئاً مرحاً
وان كان لبيان النوع وكان حالاً فانه لا ينافي ذلك والاول أظهر .

ووجه كون الصفة ابلغ باعتبار الحكم انه قد تقرر أن صيغة فعل أبلغ من
فاعل كحذر ومهمز ، والقراءة المشهورة وهي كونه مصدرأ، وسباق الآية والمقام
يدل على النهي عن المشي مرحاً مطلقاً، فالعدول عن مارح ونحوه الى صيغة مرح
يكون - والله اعلم - باعتبار أن فاعل المرح ينبغي أن يكون مرحاً لا مارحاً ،
فالحكم عليه بالنهي يفسد كون الحكم أبلغ في الزجر عن ذلك أو ان الحكم
عليه بمرح ، وتعلق النهي به يكون أبلغ .

ونظير هذا قوله تعالى « وماربك بظلام للبيد »^(٢) ، وهو ما خطر لي من وجهه

(١) سورة الاسراء : ٣٧ .

(٢) سورة فصلت : ٤٦ .

ولعل غيرى ما ذكره ، وهو انه تعالى لو صدر منه ظلم وان قل يكون ظلماً .
فان قلت : رجل عدل كان فى عدل مبالغة بجعله نفس العدل ، فيكون فى
المرح مصدر ايضاً مبالغة فى الحكم .

قلت: كلام القاضى والكشاف مبنيان على كون مرحاً جاء بمعنى ذي-رح
وانه اصله ثم جعل المصدر حالاً ، ولم يقصد هنا جعل المصدر نفس ما يتعلق به ،
فلوقيل رجل عدل اصله ذو عدل كان من هذا القبيل مع وجود فرق بينهما يظهر
بالتأمل . والله اعلم .

[حل عبارة من رجال الاسترأبادى]

ومن ذلك عبارة فى كتاب الرجال للميرزا محمد رحمه الله فى الفائدة
الاولى من الفوائد التى فى أواخر الكتاب بعد نقل ما ذكره محمد بن يعقوب
قدس الله روحه من رجال العدة سابقاً الى أن قال : وكلما ذكرت فى كتابى
المشار اليه عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد الخ . وعبارة ميرزا محمد فلا
يضر اذا ضعف سهل مع وجود ثقة معه فى مرتبته ، على ان اتفاق الجماعة على
الكذب بعيد جداً . وهذه العبارة توهم ان المراد بالثقة ما فى رجال العدة مع
انهم ليسوا من فى مرتبته .

أقول : كان اولاً تخطر لي انها غير مستقيمة ثم تأملت ما فرأيتها مستقيمة لاغبار
عليها . وتوضيح ذلك : ان محمد بن يعقوب رحمه الله يروى بطريق العدة
تارة عن سهل بن زياد واحمد بن محمد كثيراً كما فى اول الزكاة وما يجزى من
الهدى وغيرهما ، وتارة يروى عنه مع محمد بن يحيى ، وتارة عنه مع غير مشاركتها
فيقول عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن احمد بن محمد بن ابي نصر أو
عن محمد بن الحسين أو على بن حسان ونحو ذلك .

إذا تقرر هذا فمعنى العبارة انه لا يضر اذن ضعف سهل اذا وجد معه ثقة في مرتبته على انه لو لم يجد معه ثقة في مرتبته ، فان لم يوجد احد أو واحد وكان غير ثقة ان كان اتفاق جماعة العدة على ما هو كذب منه أو محتمل للكذب بعيد جداً وكان محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب واخرجه من قم ، فعلى تقدير كونه يكذب اتفاقهم على رواية هذا بعيد عن كونه كذباً .

وللصدوق طاب ثراه في الفقيه في (باب ما يصلى فيه وما لا يصلى فيه) كلام يقرب من هذا المعنى بعد نقل حديث من جملته : وعن الرجل هل يصلح له أن يصلى والسراج موضوع بين يديه في القبلة ؟ قال : لا يصلح له ان يستقبل النار . قال : هذا هو الذي يجب ان يعمل به ، واما الحديث الذي روى عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال : لا بأس ان يصلى رجل والنار والسراج والصورة بين يديه لان الذي يصلى له أقرب من الذي بين يديه ، فهو حديث يروى عن ثلاثة من المجاهولين بأسناد منقطع يرويه الحسن بن علي الكوفي وهو معروف عن الحسين بن عمرو عن ابيه عمرو بن ابراهيم الهمداني وهم مجهولون برفع الحديث . قال : قال ابو عبد الله : ولكنها رخصة اقترنت بها علة صدرت عن ثقات ثم اتصلت بالمجهولين والانقطاع من اخذ بها لم يكن مخطئاً - الخ . وهذا الكلام يدل على نحو ما دل عليه كلام ميرزا محمد ، فان حاصل معناه ان رواية الثقات له تقتضى العمل به وحمله على الرخصة جمعاً بينه وبين ما تقدم .

بقي احتمال آخر في العبارة المتقدمة ، وهو ان يريد بالجماعة سهل بن زياد ومن شاركه ، وهذا لا يخلو من بعد وان قرب من جهة دلالة الاتفاق على الكذب ، فان الاول معناه الاتفاق على نقل الكذب ، ومعنى هذا الاتفاق على نفس الكذب وصدوره عنهم .

[توضيح عبارة من شرح اللمعة]

ومن ذلك عبارة في شرح اللمعة في كتاب الصيد والذباحة اشتهرت بالاشكال وأراها غير مشكلة برئت مما ينسب اليها من القصور ، وانا اكشف عن وجه حقيقتها لمن يحتاج الى ذلك ، قال طاب ثراه بعد قول المصنف رحمه الله (ذكاة الجنين ذكاة امة) هذا لفظ الحديث النبوي وعن اهل البيت عليهم السلام مثله ، والصحيح رواية وفتوى ان ذكاة الثانية مرفوعة خبراً عن الاولى ، فتنحصر ذكاته في ذكاتها لوجوب انحصار المبتدأ في خبره ، فانه اما مساو او اعم وكلاهما يقتضى الحصر ، والمراد بالذكاة هنا السبب المحلل للحيوان كذكاة السمك والجراد ، وامتناع ذكاة الجنين ان صح فهو محمول على المعنى الظاهر وهو فري الاعضاء المخصوصة ، أو يقال ان اضافة المصادر تخالف اضافة الافعال للاكتفاء فيها بأدنى ملابسة، ولهذا صح لله على الناس حج البيت وصوم رمضان ولم يصح حج البيت وصام رمضان بجعلهما فاعلين .

اقول : توضيح هذه العبارة انه اذا كان الثاني مرفوعاً حال كونه خبراً انحصرت ذكاته في ذكاتها لوجوب انحصار المبتدأ لخبره اذا كان المبتدأ مساوياً له او اعم منه ، وهنا اما أن يراد بسبب الحل او فرد واحد فيكون مساوياً وان اعتبرت ذكاته اعم انحصرت في ذكاة امة ، فكل منهما يقتضى الحصر ولا يرد اختلاف الذكاتين . ومعهما يتنفي التساوي أو كونه أعم ، لان المراد هنا السبب المحلل للحيوان سواء اعتبر مساوياً ام اعم كذكاة السمك والجراد ، فان الذكاة فيهما تدخل في السبب المحلل .

ولا يرد على هذا أنه حينئذ يمتنع ان يقال ذكيت الجنين اذا ذكى امة فقط، لانه يجاب اولاً بأن هذا غير ممتنع لانه اذا كان المراد السبب المحلل لم يمتنع

ان يقال ذكيت الجنين بمعنى أوجدت سبب حله كما يقال ذكيت الجراد وذكيت
السمان ، فان السبب يوجد بايجاد سبب ذكاة امه ، ولو صح ذلك وهو الامتناع
كان مجهولاً امتناعه على المعنى الظاهر وهو فري الاعضاء المخصوصة ، واما
على ارادة ايجاد سبب الحل فلا يمتنع .

أو يجاب بأن اضافة المصادر تخالف اضافة الافعال ، والمراد الاضافة لغنة
لالمصطلح عليها عند النحاة ، لعدم صحة اضافة الافعال عندهم ، فهي بمعنى
النسبة ونحوها سواء كانت مضافة بالمصطلح عليها ام لا ، ففي اضافة المصادر
يصح كذكاة الجنين دون الافعال كذكيت الجنين اذا كان المذكى امه فيهما ،
وذلك لانه يكتفى في اضافة المصادر بأدنى ملابسة ولا يكتفى في الافعال
بذلك ، ولهذا صح « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً » وصح
صوم رمضان باسناد الحج والصوم الى البيت ورمضان ، وقيد بهما فاعلين
لانهما لو كانا مفعولين لم يكونا من هذا القبيل ، والمراد من الاول الحج
المضاف الى البيت ومثله الصوم المضاف الى رمضان لا الاضافة اللفظية بمعنى
كون المضاف اليه مفعولاً ، وان صح فانه لا يناسب المقام لان الكلام مبنى على
النسبة في مثل ذلك ، وهذه الاضافة اللفظية ليست كذلك .

فان قلت : يصح ان يقال حج البيت على الفاعلية مجازاً مثل صائم نهاره
وقائم ليله .

قلت : بعد تسليم جوازه فهو مجاز ، والكلام انما هو في الاستعمال حقيقة
أو مجازاً شائعاً وهو كالحقيقة ، والاضافة المعنوية هنا من قبيل الحقيقة او المجاز
الشائع والمجاز غير الشائع غير معتبر في هذا المقام ولا تدل عليه .

واعلم ان قوله تعالى « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً »
ذكروا له وجهين :

احدهما : ان يكون حج البيت اضافته معنوية ، فالمراد الحج المضاف الى البيت من قبيل غلام زيد ونحوه ، وعلى هذا يكون من استطاع بدلا من الناس .

والثاني : أن يكون من باب الاضافة اللفظية ، فيكون البيت مفعولا مقدماً مضافاً اليه والفاعل من استطاع ، والكلام مبني على الاول والثاني لايناسب المقام وسياق الكلام كما تقدم وان صح ، ومثل حج البيت صوم رمضان في احتمال الاضافتين وعدم مناسبة الاضافة اللفظية ، ونحو هذا ذكاة الجنين فانه يحتمل الاضافتين ، والمراد منها المعنوية لان الحكم يتعلق بالذكاة المضافة الى الجنين ، فانه لبيان حكم هذه الذكاة لالبيان تذكية الجنين بمعنى المفعول فظهر أن البيت وصوم رمضان مطابق تمثيله لذكاة الجنين بالمعنى المقصود وفي الجميع احتمال الاضافة التي هي غير مقصودة ، وقد اشار الى انه لو حمل على الاضافة اللفظية امكن ذلك ايضاً بقوله « وامتناع ذكيت الجنين ان صح » الخ ، ولكن هذا غير محتاج اليه ولا يناسب سياق الكلام والمقام بعد ماظهر وتقرر .

وهنا دقيقة تدرك بالذوق والتأمل ، وهي أن تجوز في مثل جرى النهر وسال الميزاب وصائم نهاره وقائم ليله صح فيه اسناد الجريان والسيلان الى النهر والميزاب باعتبار وقوع ذلك فيهما من فاعل ذلك ، فصح اسناد فعل ذلك الفاعل الى ما وقع فيه الصوم والقيام ، فاذا قيل صام النهار مطلقا كان ذلك غير صحيح ولا يناسب ، فهو كما تقول صلى اليوم وطاف اليوم ومثل حج البيت حقيقة اسناد الحج الى احد قصد البيت ، فالمناسب للتجوز فيه أن يسند الحج الى مثل حامله ومركوبه ونحوهما لأن يجعل البيت الذي هو المفعول به فاعلا ، اذ لا مناسبة تقتضى ذلك ، فان

اسناد القصد الى البيت يقتضى مقصوداً غيره وليس سوى قاصده وقصد نفسه غير مفعول ، والقلب هنا لاوجه له . وفي صائم نهاره ونحوه لامعقول به ليرد فيه مايرد في حج البيت ومثله صوم النهار . وبهذا يظهر وجه قوله « ولم يصح حج البيت وصام رمضان » .

واعلم ان الاضافة قد تكون حقيقية وقد تكون مجازية ، واطافة حج البيت وصوم رمضان من قبيل الاضافة الحقيقية ، لان الحج معناه القصد المطلق ، واذا قال حج بيت على الاضافة المعنوية كان معناه القصد المضاف الى البيت . وكون الاضافة لامية لا ينافى ذلك ، لان من معانيها الاختصاص وشبه الملك ، فان اضافة مثل جل الفرس حقيقية وكذا صوم رمضان ، فان الصوم المطلق اذا اضيف الى رمضان كان حقيقية ، وكذا اذا اضيف الى غيره مثل صوم الخميس فانه يفيد اختصاص الصوم بالخميس . والمقام اقتضى زيادة بسط في الكلام والافدون هذا كاف .

[شرح جملة من دعاء المصباح]

ومن ذلك ما فى بعض أدعية مصباح الشيخ الطوسى رحمه الله « وزين الارض بالنبات وخفف عنها بالاحياء والاموات » .
اقول : معناه انه تعالى خفف عن الارض بأن جعل من عليها احياء وامواتاً ولم يجعل الجميع احياء ، فجعلهم احياء وامواتاً تخفيف بالنسبة الى جعلهم جميعاً احياء وان كان التخفيف بالاموات ، والتخفيف يقتضى بقاء شيء غير ما خفف به فلهذا اذكر الاحياء ، ويكون الثقلين الانس والجن لثقل الارض بهما او لثقلهما على الارض ليظهر وجه ذلك .

[تعدية لفظة زوج]

ومن ذلك ما هو المتعارف في مثل زوجت فلانة من فلان ، كقوله زوجت
موكلتى مسن موكلتك وبعث مال زيد من فلان ، مع ان كلا من الصيغتين
يتعدى بنفسه .

وقد خطر لي وجه لذلك ، وهو ان ذلك يتعدى بنفسه تارة وبالـحرف
اخرى ، وقد وضع في صورة الخطاب استعماله متعدياً بنفسه ، مثل زوجتك
فلانة وبعثك كذا ، واستعمال زوجتك من فلانة وبعث منك كذا غير معهود .
وأما مع الغيبة فانه يتعدى بالحرف نحو قوله تعالى « وزوجناهم بحـور
عين »^(١) ولهذا يقال زوجت فلانة لفلان وموكلتى من موكلتك ، ففي الغيبة يستعمل
متعدياً بالحرف وفي الخطاب بنفسه ، وان جاء بحسب اصل الفعل التعدى معه
مطلقاً . فظهر ان ما صار الان شائعاً من قولهم زوجت موكلتى موكلتك من دون
من نظر الى قوله تعالى « زوجناكها »^(٢) كما ترى ، فان هذا من الغيبة وزوجناكها
من الخطاب والله تعالى اعلم .

[التعدية في آية كريمة]

ومن ذلك ما خطر لي في نحو قوله تعالى « من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم »^(٣) ان وجه العدول الى عن في الايمان والشمائل
ان الانسان مثلاً اذا كان متوجهاً الى جهته كان السميت المقابل والمتأخر على

(١) سورة الدخان : ٥٤ .

(٢) سورة الاحزاب : ٢٧ .

(٣) سورة الاعراف : ١٧ .

خط يناسب فيه الاتيان بمن وجهه اليمين والشمال مايلة ومنحرفة عن ذلك سمت
فهى متجاوزة اياه ، فناسبها الاتيان بمن دون من والله تعالى اعلم ولا يحضرنى
ذكر هذا الوجه من أحد ولعل غيرى ذكره .

[تفسير التعجب فى ابيات ثلاثة]

ومن ذلك قول الشاعر :

ولست اعجب من جسمى وصحته فى حبه انما سقمى صحتى هو العجب

ويقرب منه قول الآخر :

ليس ماى من الفراق عجبيا عجبى من فراقهم وبقائى

وقول الآخر :

وما عجب موت المحبين فى الهوى ولكن بقاء الفاسقين عجب

واقول : معنى البيت الاول انى صرت فى حالة ألحق فيها بالمجانين
والحيوانات فى عدم الشعور بسبب حبه ، فلانا تعجب من صحة بدنى لانه لاحالة
لي ولا شعور بنا فى ان الصحة ، وانما اتعجب من السقم فانه انما يحصل لمن
له شعور وحزن وانالست كذلك .

ويحتمل أن يكون المعنى أنه لما كان سقمى فى تربته لاتعهد لاهل السقم
لزيادتها عما هو متعارف . ويكون معنى اول البيت ان حال صحتى ليست
محلا للتعجب لانه لايتعلق بها مايتعلق بالسقم ، بل ان صح جسمى كنت مثل
غيرى من الاصحاء بخلاف حالة السقم ، وفى هذا تأمل .

ويحتمل معنى آخر، وهو ان المحبة صارت كالغذاء للبدن والروح وذلك
يقضى الصحة فلانا تعجب منه ، والتعجب انما يكون حينئذ من السقم ، اذ مع
الغذاء الصالح ينبغى التعجب من السقم لامن الصحة وهذا الاحتمال خطر لبعض
الاصحاب .

[توضيح جملة في شرح اللمعة]

ومن ذلك قول جدى طاب ثراه في شرح اللمعة في كتاب الوصايا في وصية من بلغ عشرين قول مشهورين الاصحاح مستنداً الى روايات متظافرة بعضها صحيح الا انها مخالفة لاصول المذهب وسبيل الاحتياط - انتهى .
وقال في المسالك : لان هذه الروايات التي دلت على الحكم وان كان بعضها صحيحاً الا انها مختلفة بحيث لا يمكن الجمع بينهما ، فاثبات الحكم المخالف للاصيل مشكل - انتهى .

وحاصل مراده بما ذكر أن الاصل الذي ثبت كون البلوغ يحصل به هو المقرر البلوغ من الاحتلام أو الاثبات ، اذ بلوغ خمسة عشرة سنة في الذكر وان غير البالغ لا يمضى تصرفه، وهذا امر ثبت وتقرر وغيره مخالف له . ووجه الاحتياط ظاهر ، فان قيد اخراج المال عن ظاهره أنه له من طفل وغيره ولنقل الروايات ليظهر منها ما افادهن .

قوله « لا يمكن الجمع بينهما » ففي رواية ابن فضال : اذا بلغ عشر سنين جازت وصيته . وفي رواية اخرى : اذا اصاب موضع الوصية جازت . وفي رواية محمد بن مسلم اذا حضره الموت ولم يدرك جازت وصيته لذوي الارحام ولم تجز للغير . وفي رواية زرارة : اذا أتى على الغلام عشر سنين فانه يجوز له في مساله اعتق او تصدق واوصى على وجه معروف وحق فهو جائز . وفي رواية منصور قال : اذا كان ابن عشر سنين وأوصى بثلث ماله في حق جازت وصيته ، واذا كان ابن سبع سنين فأوصى من ماله بشيء . وفي رواية محمد بن مسلم : يجوز طلاق الغلام اذا كان قد عقل وصدقته ووصيته وان لم يحتلم . وفي رواية الحلبي قال : سئل عن صدقة الغلام مالم يحتلم؟ قال : نعم اذا وضعها

في موضع الصدقة . وفي رواية محمد بن قيس في رجل توفي وله جارية قد ولدت منه بنتاً وابنته صغيرة غير انها تبين الكلام فاعتقت امها فأجاز عتق الجارية لامها . وفي رواية الحسن بن راشد : اذا بلغ الغلام ثمان سنين فجسائز امره في ماله وقد وجبت عليه الفرائض والحدود، واذا تم للجارية سبع سنين فكذلك . وفي رواية هشام قال: انقطاع يتم اليتيم الاحتلام وهو اشده . وفي رواية عيسى ابن زيد : يحتلم لاربع عشرة . وفي رواية عبد الله بن سنان : اذا بلغ اشده ثلاث عشرة سنة ودخل في الاربع عشرة وجب عليه ما وجب على المحتملين احتلم او لم يحتلم - الى قوله : وجاز له كل شيء .

وهذه الاخبار نقلها الشيخ رحمه الله في التهذيب في وصية الصبي والمحجور عليه ، وفي شرح الشرائع في صحبة عبد الرحمان اذا بلغ الغلام عشر سنين جازت وصيته، وفي صحبة ابي بصير اذا بلغ الغلام عشر سنين واوصى بثالث ماله في حق جازت وصيته ، وفي صحبة محمد بن مسلم قال الغلام اذا حضره الموت فأوصى ولم يدرك جازت وصيته لذوي الارحام ولم تجز للغرماء . فهذه الاحاديث كما أفاده الجمع بينها مشكل والخروج بها عما ثبت من الاصل مشكل ايضاً والله اعلم .

[شرح عبارة لغوية في الصحاح]

ومن ذلك عبارة في الصحاح وهي قوله : وعرفات موضع بمنى ، وهو اسم في لفظ الجمع فلا يجمع، قال الضراء ولا واحد له ، وقول الناس نزلنا عرفة يشبه بمولد وليس بعربي محض ، وهي معرفة وان كان جمعاً ، لان الاماكن لاتزول فصار كالشيء الواحد وخالف الزبد بن بقول هؤلاء عرفات حسنة

بنصب النعت لانه نكرة وهى معروفة ، قال تعالى « فاذا افضتم من عرفات »^{١)}
قال الاخفش : انما صرفت لان التاء صارت بمنزلة الياء والواو في مسلمين ومسلمون
لانه تذكير . سار التنوين بمنزلة النون ، فلما سمي به ترك على حاله كما يترك
مسلمون اذا سمي به على حاله - انتهى .

قال فى القاموس : عرفات اسم فى لفظ الجمع فلا يجمع معرفة وان كان
جمعاً لان الاماكن لا تزول فصارت كالشئ الواحد مصروفة لان التاء بمنزلة الياء
والواو فى مسلمين ومسلمون - انتهى .

اقول : توضيح المراد قوله فى لفظ الجمع فلا يجمع يريد به أن جمع
المؤنث لا يجمع . لأن كل جمع لا يجمع .

وقوله « وهى معرفة وان كان جمعاً » تذكير ضمير كان باعتبار تذكير جمعاً كما
هى قاعدة فى جواز التذكير والتأنيث فى مثله اذا وقع بين مذكر ومؤنث .

وقوله « لان الاماكن » الخ معناه انه لما كان العلم الشخصى موضوعاً
للو احد لا لمتعدد وعرفات على تقدير كونه جمعاً لعرفه يكون علماً لمتعدد
وسماه متعدداً وهذا لا يناسب العلم . وجوابه انه لما وقع علماً لاماكن لا تزول ولا
تتغير كانت هذه الاماكن كالشئ الواحد ، فصح ان يكون عرفات علماً متعدداً
بهذا الاعتبار ، وهذا زيد بن زينبات فانه لا يكون علماً لانه يصدق على كل جمع
ولهذا كان نكرة ويدخل الالف واللام ، اذ ليس المراد به زيدون مشخصون
بحيث لا يصدق على غيرهم ، ومثل زيد بن ماسا يزول ويتغير فلو وضعنا علماً
لثلاثة زالت العلمية بزوال البعض ، فلا يقال لاثنين ولا الواحد زيدون ، هذا
بخلاف عرفات الذى هو جمع لعرفه وعرفه فان ترك ما هو مقتضى طبعها واذا
فعلى الخير يكون قد سماه لا يزول ولا يتغير ، وعلى تقدير الجمع يقال هؤلاء

(١) سورة البقرة : ١٩٨ .

عرفات حسنة فيشار الى افراد هذا العلم بهؤ لاء ولكونه معرفة وحسنة نكرة
كانت منصوبة على القطع .

وقوله «لانه تذكير» معناه ان مسلمين ومسلمون جمع لمذكر وهو تذكير
لجمع المؤنث ، فناسب أن تكون التاء فيه في مقابلة ما هو في تذكير .

[دوام الشر والخير]

ومن ذلك ما قيل انه ورد « شر لا يدوم خير من خير لا يدوم » .
اقول: يمكن ان يقال وجهه ان الانسان بمقتضى طبعه وشهوته يميل الى فعل ما
فيه شر وينفر عما فيه خير ومنه حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ،
فاذا فعل الشر ودوام عليه صارت المداومة مؤكدة لما هو مقتضى الطبع ومقتضى
للبقاء عليه ، فاذا لم يدوم عليه يكون قد جاهد نفسه على ترك ما هو مقتضى طبعها
واذا فعل الخير يكون قد خالف ما هو مقتضى الطبع والعادة ، واذا داوم عليه
تأكدت المجاهدة فاذا قطعه يكون قد ترك ما أتعب نفسه في اصله ، وليس في
الترك سوى الرجوع الى مقتضى الطبع ، وبه يضعف اعتبار العادة فترك دوام
شر اقوى من ترك دوام الخير فيكون خيراً منه بهذا الاعتبار .

والتفضيل في مثل هذا واقع كثيراً، وان لم يوجد الاصل في احدهما من حيث أن
عدم دوام الخير لا خير فيه كما في الحديث « لصوم يوم من شعبان أحب الي من
ان افطر يوماً من شهر رمضان » و « أبدلني بهم خيراً منهم وابدلهم بي شرأمني »
باعتبار اعتقاد الغير أنه عليه السلام فيه شر وان افطار شهر رمضان فيه محبة ،
وهذا مبني على ان المقام يقتضى ان المراد بعدم الدوام الرفع بالكلية لا على
معنى رفع الإيجاب الكلي وان دل هذا التركيب على الثاني .

ولو حمل على ما يدل عليه أصل التركيب بقي من الخير فيهما ما يحصل به

التفضيل ووجهه يظهر مما سبق ، فان ترك المداومة على الشرفية مجاهدة لمقتضى الطبع والعادة فى المتروك ، وترك مداومة الخير فيه فعل ما يقضيه الطبع من كراهة الخير فى المتروك ، ويحصل الخير فى الشر باعتبار ترك بعضه ويبقى فى الخير ما لم يترك منه .

ويحتمل وجهاً آخر، وهو ان فعل الشر غالباً يترتب عليه ضرر لفاعله ولغيره فى الدنيا والاخرة ، وترك الخير فيه غالباً ترك النفع لفاعله ولغيره وترك الضرر خير من ترك النفع .

[بيان عبارة للبيضاوى]

ومن ذلك عبارة للقاضى عند قوله تعالى « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر »^١ قال لا الشمس ينبغي لها يصلح لها ويسهل ان تدرك القمر فى سرعة سيره - الى ان قال : وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما أريد بها .

أقول : ايلاء مصدر مضاف الى مفعوله الاول وهو حرف النهى والشمس مفعوله الثانى ، وظاهر هذا التركيب ان المراد جعل الشمس والية بحرف النفي من غير فصل بينهما كأن يقال مع الفصل لا ينبغي للشمس ان تدرك القمر ويحتمل ارادة ايلاء النفي حرف النفي الشمس لا ايلاء الشمس حرف النفي، كأن يقال الشمس لا ينبغي لها .

اذا تقرر هذا فظاهر مراد القاضى بناء على الوجه الاول أن مقتضى الظاهر انه اذا أريد نفي الصفة عن ذات موجودة ان يتعلق النفي بها وحدها لا بها وبموصوفها كالايجاب ، فاذا قلت « زيد قائم » و اردت بسلب القيام عنه فانك

(١) سورة يس : ٤٠ .

تقول زيد ليس بقائم لليس زيد قائماً ، والشمس هنا موجودة والمقام والظاهر يقتضيان نفي قدرتها لا نفيها مع القدرة ، كما اذا أريد نفي قدرة زيد فانه يقال زيد لا قدرة له او ليس له قدرة كما تقدم ، فالعدول في الآية الشريفة عن هذا حيث دخل النفي على ذى القدرة وعليها لافادة سلب هذه الذات عن أن تكون قادرة ، فيفيد سلب القدرة مع سلب الذات . ووجهه على ما ذكره أن سلب الذات لفائدة ان هذه الذات ليست محللان توصف بالقدرة .

فان قلت : السلب على هذا يتعلق بنفي القادر على هذا المذكور ، وهذا لا يدل على نفي مطلق القدرة ليثبت كونها مسخرة .

قلت يمكن الجواب بأن سلب الذات وان تعلق به قدرة خاصة لكن السلب يدل على أن هذه الذات ليست محلا لمطلق القدرة ، لانها حينئذ تصير كالمعدوم بالنسبة الى القدرة ، وقد يكون مراده أن العدول لبذل ذلك على كونها مسخرة لا أن هذا يدل على كونها مسخرة ، فالمعنى ان هذه الذات اذا سلبت كانت كالمعدوم بحسب القدرة فينتفى مطلق القدرة ، وذكر فرد مما يتعلق به القدرة لا ينافى ذلك .

هذا ما يتعلق بالوجه الاول وهو جعل الشمس والية بحرف النفي من غير فصل بينهما ، وعلى الوجه الثانى وهو ايلاء حرف النفي الشمس لا ايلاء الشمس حرف النفي بمعنى تقدم النفي عليها دون العكس للدلالة على انها مسخرة الخ والمعنى على هذا انه اذا قيل زيد ليس بقائم دل على نفي القيام عن زيد ، فاذا قيل ليس زيد بقائم وعدل عن مقتضى الظاهر كما تقدم كان زيد وقائم واقعين بعد النفي ، وذكر الشمس بعد النفي أدل على كونها مسخرة من دخول النفي على ما بعدها فقط ، وذكر هذا وان افاد ما تقدم وكونه متفرعاً على الوجه الثانى ايضاً او يقال انه مع تقدم النفي على الشمس تكون القضية السالبة وهى

تصدق مع وجود الموضوع وعدمه ومع تأخره تكون معدولة المحمول وهي لا تصدق مع عدم الموضوع ، فالعدول عما يدل على تحقق وجود الموضوع وهو المعدولة الي غيره لتنزيل وجود الشمس من حيث عدم القدرة منزلة المعدوم وان كان الوجود متحققاً او منزلة ما يحتمل الوجود دلالة ذلك على التسخير أضعف من دلالة ما نزل منزلة المعدوم على ذلك أو ما احتمل الوجود والعدم ان لم تسلب الدلالة له حينئذ .

ومثل هذه التمسكات والوجوه جزئياتها ليست محصورة في علم المعاني ومن تتبع نكات صاحب الكشاف وغيره يرى منهم تصرفات اقتضاها طبعهم وفكرهم موافقة لمقتضى العقل والاعتبار ولما ذكر في علم المعاني وان لم تذكر بخصوصها وقد وقع في القرآن الكريم وغيره تنزيل ذى البصر والسمع والنطق منزلة الاعمى والاصم والابكم ومن يعقل منزلة من لا يعقل وغير ذلك ، فأجرى عليهم ما يجرى على من هو كذلك باعتبار عدم وجود ما يترتب على ذلك، فكان صاحبها كالفارق لها .

وهذا غير منحصر فيما ذكر بل يجرى في غيره أيضاً، فلا بعد في كون العدول الى غيره للدلالة على ما ذكر ، ولو ذكر هذا صاحب الكشاف أو غيره مما تقدم على القاضى لم يستعبد ولعله مذكور من غيره ولو لم يذكر فهو من أفاضل هذا الفن ، فاذا ذكر شيئاً موافقاً لا يستبعد .

ومثل هذه المقامات لا ينظر فيها الى اصل القواعد المنطقية أو جزئيات علم المعانى ، فانها ليست مبنية على براهين قطعية بل هي وجوه مستحسنة وخطايبات تفيد ما عليه بحسب مقتضى الحال .

ويمكن ان يقال : ان تقديم النفسى يدل على انها ليست ذاتاً تقدر ويصح منها ذلك ، وتأخيره يدل على انها ذات لا تقدر ولا يصح منها ، وانتفاء ذات القادرة

يدل على انها مسخرة ، وانتفاء القدرة عن الذات لا يدل على التسخير صريحاً ،
فانه مع عدم القدرة على هذا قد لا تكون مسخرة بأن تكون غير قادرة على هذا
الفعل ولا تكون مسخرة بل لعجزها عن ذلك كما في كل قادر يعجز عن بعض
المقدورات دون بعض . وحاصله الفرق بين نفي ذات قادرة على هذا ونفي
قدرة الذات عليه .

بقي احتمال بعيد ، وهو أنه قد ثبت كونها مسخرة بقوله تعالى « والشمس
والقمر والنجوم مسخرات »^(١) وقوله تعالى « وسخر الشمس والقمر »^(٢) فوقع
الشمس بعد لامن غير فصل بما تقدم يدل على أنها من المسخرات التي لا يصلح
لها ذلك ، كما اذا قلت المسخرات لا الشمس منها تقدر على كذا ، واذا قلنا لا
تقدر الشمس على كذا لم يكن فيه ولا القمر منها يقدر على كذا ولا النجوم منها
يقدر على كذا ، واذا قلنا لا تقدر الشمس على كذا لم يكن فيه هذه الدلالة وان دل
في الجملة على هذا الوجه ، فمسخرة على هذا غير داخل في كونه مسدولاً
عليه بل ما بعده ، كما اذا قلت افعال هذه المرأة تدل على انها امرأة سالحة
ويجوز حينئذ دخوله بمعنى ان ابلأها لا يدل على ذلك ، ووجهه قد يظهر مما
تقرر سابقاً . والله تعالى اعلم .

وما ذكر مما ظاهره التكرار لبعض المعاني بعد ملاحظته ليظهر من كل عبارة
نوع يندفع به التكرار ولو باختلاف العبارات المقتضى للتغاير في الجملة .

(١) سورة الاعراف : ٥٤ .

(٢) سورة لقمان : ٢٩ .

فهرس الكتاب

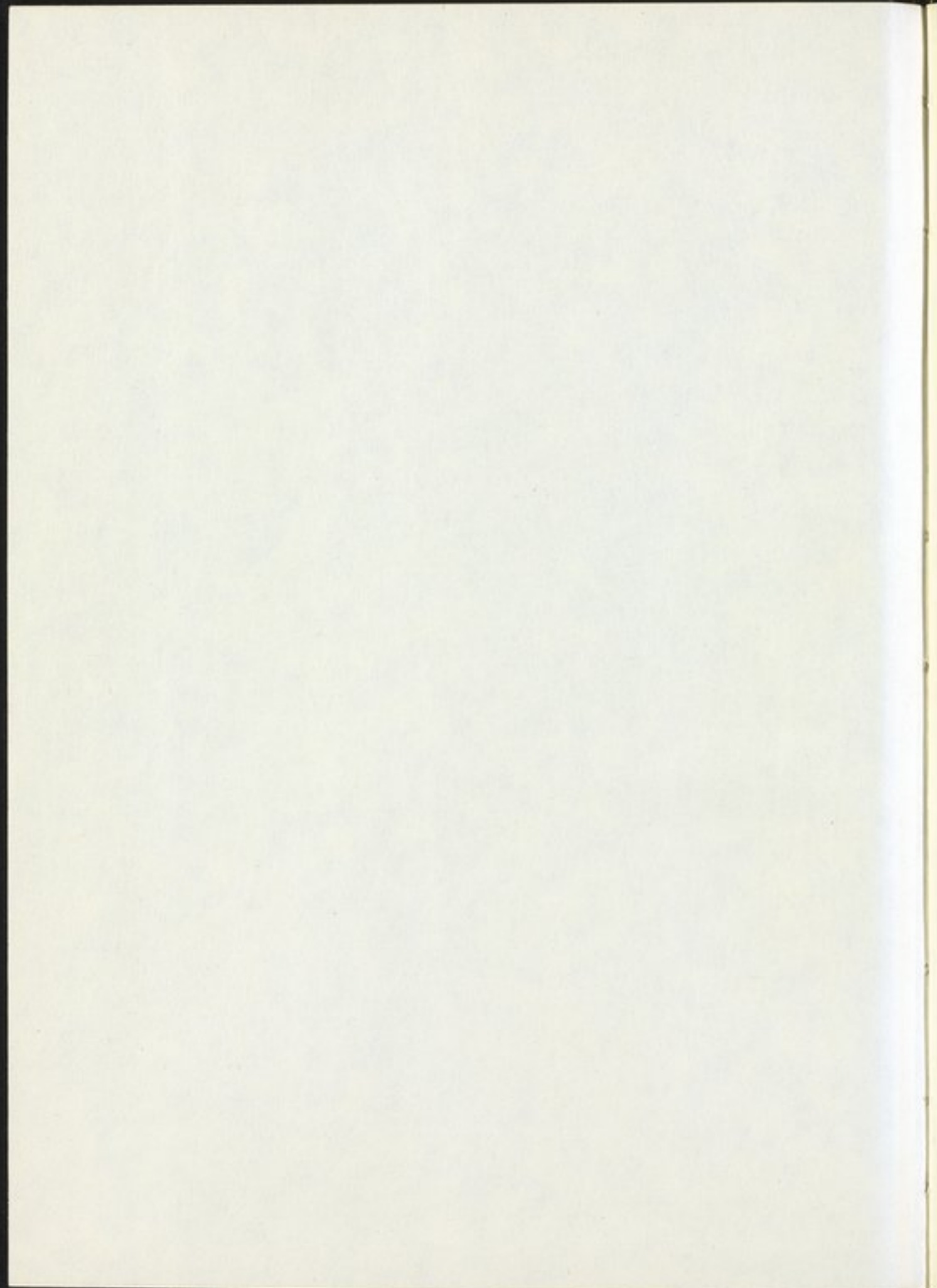
٣	حديث كون الصيام ثلاثين يوماً
٥	حديث انه تعالى لم يجعل شىء الا بشىء
٦	تفسير آية انه ليس من اهلك
٧	حديث تأخير استغفار يعقوب لبنيه
٨	خروج النور من بين اصابع يوسف
٩	حديث بكاء شعيب النبى
١١	حديث الناس يعقلون ولا يعلمون
١٣	حديث تسمية الحسن والحسين عليهما السلام
١٣	حديث خير الصفوف في الصلاة والجنابة
١٤	علة صوم ثلاثة أيام في كل شهر
١٥	شبهة حول البراءة الاصلية
٢٠	حديث معنى كان عزيزاً ولاعز
٢١	مسألة تقلص الظل وامتداده
٢٣	حديث لم يزل الله يعلم

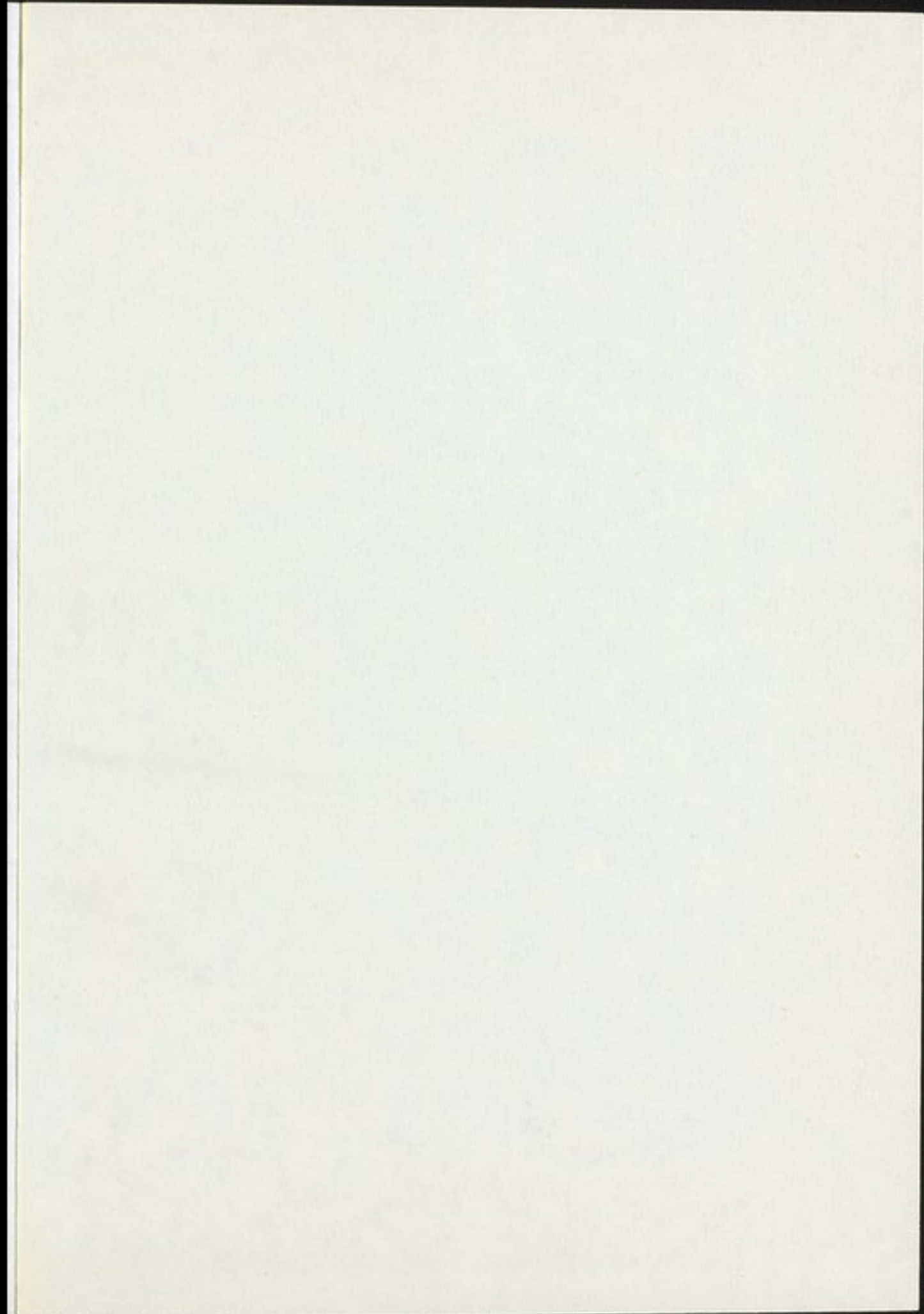
٢٤	حديث من مات ولم يشرك بالله دخل الجنة
٢٥	حديث خلق الايمان والجحود
٢٦	معنى البداء
٣٥	حديث الرد على القدرية
٣٩	حديث الاستطاعة بالله
٤٠	حديث الفرار من الفناء الى القدر
٤١	حديث لا تسبوا الدهر
٤٣	رؤية الهلال قبل الزوال
٤٣	حديث فرار موسى من امه
٤٤	ابيات للمؤلف في المعنى
٤٥	النافلة التي تزاحم الفريضة
٤٧	حديث مجارى العيون
٤٧	قول الصدوق وينام في المسجد
٤٧	وجه تغطية الرأس وقت التخلّى
٤٨	حديث ان العلماء ورثة الانبياء
٤٩	الاضداد اللغوية
٥٧	الافعال التي هي بالواو والياء
٦٠	نبذة مستحبة من لباب الاداب
٦٩	حل بيت من الشعر
٧١	تعيين موضع الكعب في القدم
٧٣	مسألة كون الدية اخماساً
٧٤	حل عبارة من شرح اللمعة
٣١٥	

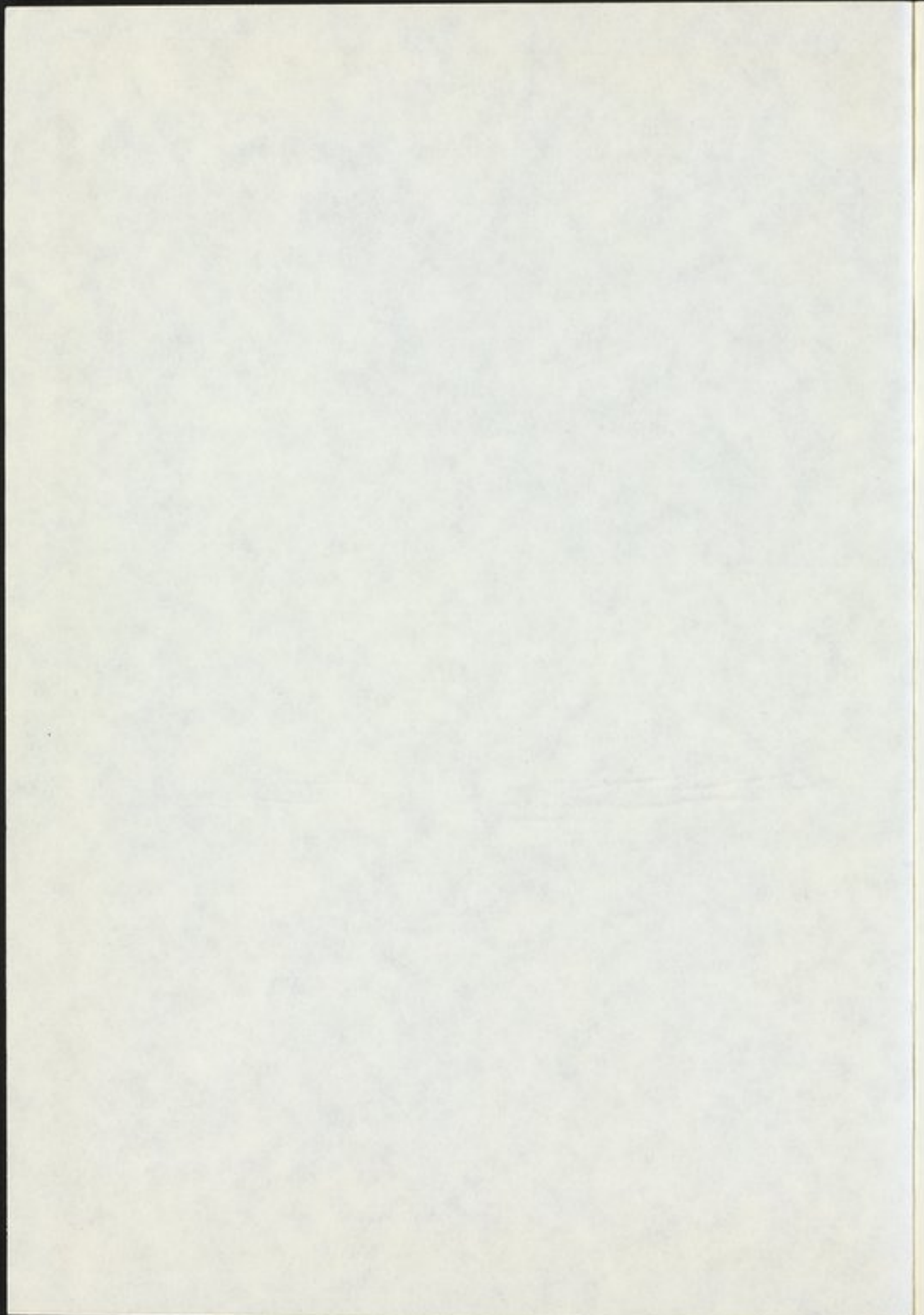
٧٥	شرح دعاء الوضوء
٧٦	اخبار الوافدات على معاوية
٧٦	وفود الزرقاء بنت عدي الهمدانية
٧٨	وفود عكرشة بنت رواحة
٧٩	وفود ام لبد بنت صفوان الهلالية
٨١	وفود ام سنان المذحجية
٨٢	وفود بكارة الهلالية
٨٣	وفود دارمية الحجومية
٨٥	وفود ام سلمى الذكوانية
٨٦	وفود ام الخير البارقية
٨٨	وفود اروى بنت الحارث
٩١	قصة امرأة تمدح علياً عليه السلام
٩٢	مقامة لبديع الزمان الهمداني
٩٥	مجربات ابن سينا
١٠٠	تحفة الدهر في المناظرة بين الغنى والفقر
١١٨	فصول من نسيم الصبا
١٤٥	معنى حاجيتك الوارد في الحديث
١٤٦	مسألة يعقوب من الصحاح
١٤٧	حديث حسن الخلق
١٤٩	بغية المرید فی الكشف عن احوال الشهيد
١٩٩	ترجمة الشيخ حسن صاحب المعالم
٢٠٩	ترجمة الشيخ محمد العاملي
٢٢٢	ترجمة الشيخ زين الدين العاملي

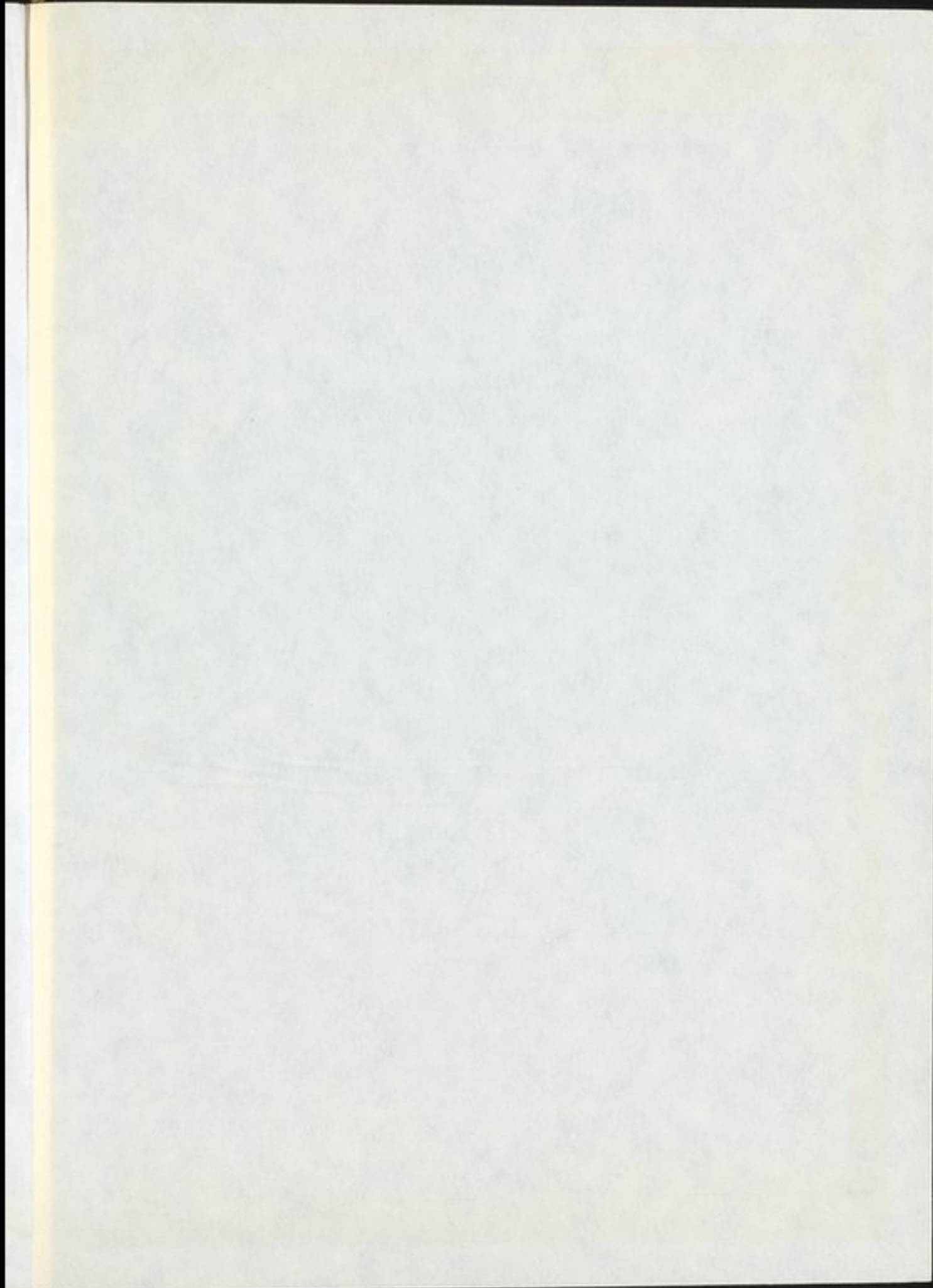
٢٣٨	ترجمة مؤلف الكتاب
٢٥٩	حديث صلاة الرسول الى القبليتين
٢٦١	نبذة من باب الاستخارة
٢٦٣	اعراب بيت من قصيدة البردة
٢٦٤	مكاتبة أنشأها المؤلف
٢٦٦	الارغام بالانف فى السجود
٢٦٧	شرح بيتين للمتنبي
٢٦٩	حديث صلاة جار المسجد
٢٧٠	عبارة مشكلة فى مختلف الشيعة
٢٧٣	شرح بيتين لمجنون ليلى
٢٧٤	حديث عمار جلدة بين عينى
٢٧٦	حديث شأن انا انزلناه
٢٨٠	حديث الولاية
٢٨٣	شرح بيتين للمتنبي
٢٨٤	عبارة فى تفسير القاضى فى الراسخين فى العلم
٢٨٥	مسألة صلاة الجنابة
٢٩١	عبارة للبيضاوى فى جنات عدن
٢٩١	حكم حلق اللحية
٢٩٥	لونذر الصوم وعارض ايام التحريم
٢٩٧	معنى افادة المصدر التأكيد
٢٩٨	حل عبارة من رجال الاسترابادى
٣٠٠	توضيح عبارة من شرح اللمعة
٣١٧	

٣٠٣	شرح جملة من دعاء المصباح
٣٠٤	تعديدية لفظة زوج
٣٠٤	التعديدية فى آية كريمة
٣٠٥	تفسير التعجب فى ابيات ثلاثة
٣٠٦	توضيح جملة من شرح اللمعة
٣٠٧	شرح عبارة لغوية فى الصحاح
٣٠٩	دوام الشر والخير
٣١٠	بيان عبارة للبيضاوى









FEB 03 1986

